

الشیعہ بن الامیة

ونشأة العلوم الإسلامية

دكتور
عبدالدين سيد عبد محمد الفزوي

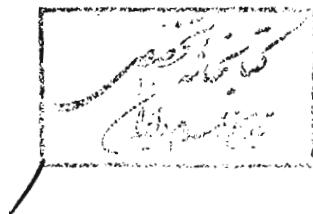


فَارِسْجَنْ
قَشْمَعْ

١٩

النَّسَاءُ الْأَرْبَعَةُ كُرْنَبَى

• حَمَّ الْمَقْدَسَةَ •



دكتور
عبد الرحمن شير محمد القزويني

الشيعة الإمامية و نشأة العلوم الإسلامية

الطبعة الأولى

١٩٨٦

اسم الكتاب: الشيعه الامامية
المؤلف: علاء الدين سيد امير محمد القزويني
الطبعة: الاولى
الناشر: مؤسسه الناشر: انتشارات الشريف الرضي
المطبعة: شهشت
العدد: ١٠٠٠ نسخة
التاريخ: ١٤١٣هـ - ١٣٧١ش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التي انعمت
على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه
وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين °

صدق الله العلي العظيم
الآية ١٩ من سورة النمل

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٧
الشيعة وعلوم الاسلام وأثرهم في الثقافة الاسلامية	١٩
١ - تأسيس الشيعة لعلم الكلام	٢١
٢ - علم النحو ومدارسه	٦٦
أولا : تأسيس الشيعة لعلم النحو	٦٦
ثانيا : الشيعة والمدارس النحوية	٧٠
١ - مدرسة البصرة النحوية	٧٠
٢ - مدرسة الكوفة النحوية	٧٨
٣ - مدرسة بغداد النحوية	٨٤
يعقوب بن اسحاق بن السكري	٨٦
٢ - علم التصريف	٨٨
٤ - علم اللغة	٨٩
٥ - علم البيان والمعانى	٩١
٦ - علم العروض	٩٢
٧ - علم التقسيم	٩٤
الامام على وجمع القرآن	١٠٠
٨ - علم غريب القرآن	١٠٤
٩ - علم معانى القرآن	١٠٦
١٠ - علم حكماء القرآن	١٠٩
١١ - اعراب القرآن	١٠٩

الصفحة	الموضوع
١١٠	١٢ - علم القرآن
١١٣	١٣ - علم الحديث
١١٣	تدوين العلم بين الأثبات والنفي
١١٧	Hadith al-Ghadir fi Kitab Ahl as-Sunnah
١٢٢	١٤ - علم غريب الحديث
١٢٤	١٥ - علم الفقه
١٣٦	١٦ - علم أصول النّاس
١٤٠	١٧ - الفقه المقارن أو الخلافى
١٤٤	١٨ - علم التاريخ والمفازى والسير
١٥٢	قول شيخ الاسلام ابن تيميه والجواب عليه
١٥٩	١٩ - علم الخفرائية
١٦٢	٢٠ - علم الاخلاق
١٦٤	٢١ - الشعور التعليمي
١٦٥	٢٢ - الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية
١٧٢	٢٣ - المنهج العلمي التجربى
نشأة الفكر الفلسفي عند الشيعة ، واثره في الفكر	
١٧٨	والثقافة الإسلامية
١٨١	المقدمة :
١٩٥	الكتاب
٢٠٤	أبو نصر القارابى
٢١٤	الشيخ الرئيس ابن سينا
٢٢٦	المقدار

مقدمة :

ان اى ابداع فى مجال العلوم الانسانية ، سواء كان فى مجال الفلسفة او الآداب او غيرهما من المجالات العلمية لابد ان يقوم على الذاتية والتفكير الحر المستقل ، وهذا على النقيض تماما مما نجده عند الشخص المقلد الذى لا يستطيع ان يشعر بذاتيته العاقلة المبدعة ، لأنه تنازل عنها بحيث تلاشت في خضم فكر الآخرين .

فالابداع والتجديد يرتبطان ارتباطا رئيسيا بالعقل ، فهو كفيل بأن يحرز تقدما نحو التجديد ، بحيث يجعلنا نتقدم خطوات في سبيل ابداع المذاهب الفلسفية(١) . ولهذا فان من اكبر الموانع في سبيل العقل عبادة السلف التي تسمى بالعرف والاقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية والخوف المهيمن لأصحاب السلطة الدينية(٢) . وما ينطوي عليه الباحث من عصبية تبعده عن تحري الواقع والوصول الى الحق .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما ي قوله الدكتور محمد أبوريان : « الحق أن الشيعة قد رأبوا على رد أصول الحركات الثقافية الكبرى في الإسلام إلى دائرة التشيع ، فكما أرجعوا حركة الاعتزاز إلى التشيع فكذلك ربطوا بين التشيع والتتصوف وردوا تلك الثورة الروحية الكبرى إلى أصول شيعية ، بل لقد أدخلوا الحركة الفلسفية في

(١) محمد عاطف العراقي : ثورة العقل في الفلسفة العربية - ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية - ص ١٧ .

الاسلام في دائرة انتاجهم العقلى مع ما في هذا الاتجاه من مبالغة كبيرة ، اذ ان المسلمين عامة على اختلاف فرقهم قد أسهموا في هذا التراث الثقافى العريق «^(٣) . ولهذا رد الدكتور أبو ريان القول القائل بأن واصل بن عطاء كان تلميذا لأبي هاشم بن محمد بن الحنفية بن على بن أبي طالب ، مع أن المعتزلة أنفسهم يعترفون بذلك كما ينقله الدكتور نفسه عن ابن المرتضى المتوفى عام ٨٤٠ هجرية^(٤) . بالإضافة إلى أن الدكتور أبو ريان يعتبر الكندي نفسه هو فيلسوف العرب وأول فلاسفة الاسلام . وهذا اعتراف منه بأن الفكر الفلسفى في الاسلام نشأ بين الشيعة لأن الكندي كان شيعيا^(٥) ، وهو أول من مهد الطريق لدراسة الفلسفة عند المسلمين حسب ما يراه الدكتور أبو ريان^(٦) .

ومن البديهي أن هذا الايحاء من الدكتور محمد أبو ريان ، هو ضوء كاشف لابد وأن يرتكز على المنطق العلمي المستند إلى أدلة وبغير ذلك فإنه مجرد تكهن وتخمين قابل للخطأ والصواب ومن هنا يظهر دور الباحث في مدى صحة هذا الایحاء أو عدم صحته مستندا إلى الدليل العلمي والغوص في أغوار الحقيقة ومتابعة المنهجية السليمة والملزمة ، ما دام البحث يقتضي الالتزام بالمنهجية العلمية دون التكهن والتخمين وتقليد السلف واتباع الأهواء . فالباحث الموضوعي المتبوع للمنهج العلمي هو الذي لا ينظر

(٣) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى في الاسلام - من ١٥٦ .

(٤) نفس المصدر : ص ٥٦ .

(٥) انظر المدرسة الفكرية في الاسلام من هذا البحث .

(٦) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى في الاسلام - من ٢٢٧ ، ٢٢٢ .

إلى معطيات من سبقه من العلماء في مجال تخصصه ، ويكون تابعاً لهم في اصدار حكمه على الظواهر العلمية القابلة للفحص والتمحيص ، لئلا يقلل من قيمة بحثه ، بل يسعى دائماً إلى أن يبدأ من جديد ليتوصل إلى الحقيقة الواقعية والا فهو ليس بباحث أساساً . ولو أن علماء الفكر سلكوا في بحوثهم هذا المنهج لما وقعوا في الأخطاء التي تجانب الحقيقة . وعلى هذا فالأمانة العلمية تقتضي اتباع هذا المنهج .

ان الكثير من التعبيرات في الحكم على ما تواجهنا من قضايا أو وقائع سواء كانت تاريخية أو غيرها هي مشاعر عاطفية ، قد تكون صادقة في آحادين كثيرة ، ولكنها لم تكن مجديّة لتحقيق هدف البحث العلمي ، لذلك ينبغي كبت المشاعر العاطفية لتصريفها في اتجاهات فكرية صحيحة فالاحترام الآراء المتوارثة احتراماً يقوم على المحاكاة وسوء الفهم معناه اتباع سبيل الأوهام والباطيل ، وقد يكون ذلك عقبة حقيقية في سبيل تقدم العلم ، خصوصاً اذا حاول الباحث أن يقلب الحقائق ويغير الواقع على خلاف الصياغة المنطقية في بحثه .

ومثال ذلك ما يذهب إليه زهدى جار الله في كتابه المعتزلة ، وأحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام وغيرهما في بعض القضايا الفلسفية والكلامية ، حيث يقول زهدى جار الله : « كان المعتزلة أول من بحث من علماء المسلمين في الجزء ، وسبب ذلك أنهم سبقوا غيرهم إلى درس الفلسفة اليونانية والاستفادة منها أما المسلمون الآخرون فانهم نهجوا في الجزء منهاج المعتزلة ، فمنهم - ولاسيما الاشاعرة - من اتبع قول العلaf، ومنهم وأخص بالذكر ابن حزم ، من تمسك برأى النظام » (٧) .

(٧) زهدى جار الله : المعتزلة - ص ١٢٢ - ١٢٣ .

اما آراء المعتزلة فى الابحاث الطبيعية كما يقول أحمد أمين : « فمثيل أقوالهم فى الروائح والطعوم والضوء ، فقد أثار النظام أسئلة وعرض آراء فى ذلك : المشومات والطعوم والأضواء ، أجسام أو أعراض ، وهو يقول : أنها أجسام لا أعراض ٠٠٠٠ » (٨) . ثم يعقب على ذلك بقوله : « والانسان يعجب أولا من سعة عقلهم فى التفكير ، وثانيا من دخول هذه المباحث فى علم الكلام . وقد أقر العلم الحديث نظرية النظام هذه فى المشومات فهو يقول : أننا نشم رائحة الوردة الجميلة بناء على ذرات انبعثت من الوردة فلامست الخيشوم ، وانا انما نتذوق حلاوة الشيء او مرارته بناء على ذوبان ذرات تلامس غدد اللذوق ٠٠٠ » (٩) .

فالصياغة التى اتبعها كل من زهدى جار الله وأحمد أمين هنا تخالف الواقع ويرفضها التاريخ . وقس على ذلك من تغيير الحقائق . فهذا ابن حزم يقول : « ذهب هشام بن الحكم الى أنه ليس في العالم الا جسم وأن الألوان والحركات أجسام واحتاج أيضاً بأن الجسم اذا كان طويلاً عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق لللون أيضاً ٠٠٠ وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء » (١٠) .

ويقول الدكتور أحمد صبحى عندما قصد النظام الكوفة : « ٠٠٠ وفيها التقى بهشام بن الحكم أكبر متكلمى الشيعة الاثنى عشرية على مر العصور وكانت بينهما مناظرات ونأثير متبادل ، عن هشام أخذ النظام أفكار :

(٧) أحمد أمين : ظهر الاسلام - ج ٤ - ص ٢٢ .

(٨) المصادر السابق : ص ٢٣ .

(٩) ابن حزم الاندلسي : الفصل فى الملل والأهواء والنحل - ج ٥ - ص ٦٦ .

الجزء الذى لا يتجزأ والقياس والاجتهد ، كما أخذ القول بالاطفرة والمداخلة وإن الأعراض كاللون والطعم والرائحة أحسام لطيفة ٠٠٠ (١١) ٠

يقول محمد جواد مغنية : « وقال هشام بن الحكم : إن الأصوات والألوان والطعوم والروائح والاضواء هى أحسام ، وليس أعراضا ، ووافقه على ذلك تلميذه الشهري (١٢) ٠ ولهذا يقول الشهري : « ووافق النظام هشام بن الحكم فى قوله أن الألوان والطعوم والروائح أحسام » (١٣) ٠ وفي ذلك يقول الدكتور النشار : « ثم تردد أى النظام - ففى شبابه على مجالس الفلاسفة الملحدين ، ثم صاحب فى كهولته هشام بن الحكم الرافضى الشيعى . فأخذ عن هشام ٠٠٠ قوله ببطل الجزء الذى لا يتجزأ » (١٤) ٠

ويقول البغدادى فى فرقه : وكان هشام يقول بنفى نهاية أجزاء الجسم ، وعنده أخذ النظام ابطال الجزء الذى لا يتجزأ (١٥) ٠ « وأخذ - أى النظام - عن هشام بن الحكم أيضا قوله بأن الألوان ، والطعوم والروائح والأصوات أحسام ، وبنى على هذه البدعة قوله بتدخل الأجزاء فى حيز واحد (١٦) ٠ ولهذا يقول الشيخ عبد الله نعمه : « وقد تناول مفكرو الشيعة منذ أقدم عصورهم مواضيع فلسفية دقيقة ، من ذلك الحركة ، وتحديدتها ومدى

(١١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - ص ٢٣٥ ٠

(١٢) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الإسلامية - ص ٦٢ ٠

(١٣) الشهري : الملل والنحل - ج ١ - ص ٥٦ ٠

(١٤) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - ص ٤٨٥ ٠

(١٥) البغدادى : الفرق بين الفرق - ص ٦٨ - ١٣١ ٠

تأثيرها في نظريات فلسفية رئيسية . وأقدم من عرف بهذا الموضوع من الشيعة هشام بن الحكم ، حين فسر الحركة بالفعل ، كما فسر السكون بعدم الفعل ، وقد فسر تلميذه النظام « بأن الحركة مبدأ تغير » وهو تفسير لرأى هشام في الحركة (١٧) . وقس على ذلك مما ينسب إلى المعتزلة من آراء وأفكار هي في الواقع من آراء علماء الشيعة ومتكلميهم . وبالجملة فالنظام في أكثر آرائه ما هو إلا أحد تلاميذ هشام بن الحكم متكلم الشيعة كما سيشير إليه الباحث .

ان مفهوم النقد العلمي قد استقر منذ عهد بعيد في أكثر الأوساط العلمية بجميع بلاد العالم المتمدن ، وأصبح جزءاً من الحياة العقلية ، يستحيل الاستغناء عنه ، ولا يمكن لأحد أن يجد فيه منقصة أو عارا . بل إن العلماء والمفكرين أنفسهم يربّون بالنقد ويطلبون إلى الآخرين باللحاح أن ينقدوهم ، إذ أن مثل هذا النقد هو الوسيلة الوحيدة لاختبار الآخر الذي يحدثه العمل العلمي في عقول الآخرين ، وهو معيار نجاح العمل أو اخفاقه . والنقد الموضوعي سواء أكان مدحه أم ذمماً في الحالتين له فائدته : فهو يحفز الناقد على التفكير بامتعان فيما يقرأ ويخلصه من داء القراءة السطحية المتعجلة ، أما ذلك الذي يوجه إليه النقد فسوف يعلم ، إذا تلقى المدح ، أنه سائر في طريق الصواب ، وإذا عيب عليه عمله ، كله أو بعضه ، أدرك أن عليه مراجعة خطواته ، وبذلك يتدارك خطأه قبل فوات الأوان ، ويغير خط سيره قبل أن يتمادى في اتجاه البطلان (١٨) . بشرط أن يتبع في ذلك الموضوعية وأن يستند إلى الدليل الذي يعتمد عليه في نقاده هذا .

(١٧) عبد الله نعمة : « للاسفة الشيعة - حياتهم وأراؤهم -

ص ٣٢

(١٨) فؤاد زكريا : آراء نقشية - ص ١٢٢ .

« ان البحث عن الحقيقة يجب أن يكون هو الغاية الحقيقية لنشاطنا ، فتلك الغاية هي الجديرة بذلك النشاط » كما يقول « هانرى بواتكاريه » فى كتابه قيمة العلم (١٨) .

« ان العقل وحده لا يستطيع ايجاد العلم ، ولكنه عامل لا مفر منه في الابداع ... والعلم ، بدوره ، يقوى العقل ... فقد جلب للانسانية موقفاً عقلياً جديداً ، علاوة على الوصول الى الحقيقة بواسطه الملاحظة والتجريب ، والتفكير المنطقى ... اذ من الواضح ان الاكتشافات الكبيرة ليست نتاج العقل فقط . فان العباقة يملكون الى جانب قوتهم على الملاحظة ، والفهم صفات أخرى مثل البصيرة والخيال المبدع ... ففي طريق البصيرة يتعلمون أشياء يجعلها الآخرون ، ويدركون العلاقات بين الغواهر شبه المفصلة ... وجميع عظماء الرجال وهبهم الله بصيرة ، فهم يعرفون دون تحليل أو تفكير ما هي الأشياء الهامة التي يجب عليهم أن يعرفوها » (١٩) . وهذا ما حصل عند أئمة الشيعة وعلمائهم ومفكريهم كما سنراه في هذا البحث .

« ان أى علم يحتاج الى العقول المتفوقة في بدء تاريخه أكثر منه عندما يبلغ ذروته وأوجهه ... » (٢٠) فالحقيقة التي يؤمن بها علماء الشيعة ومفكروهم ، والتي يحاول الباحث اثباتها أو نفيها ، معتمداً على الصياغة المنطقية السليمة ، وما دونه علماء المسلمين ، هي :

لقد ترك علماء الشيعة أثراً خالداً في الفقه الإسلامي ، والدوا كتب مفصلة ... وان من يطلع على تلك المؤلفات النفيسة . كما ذكرها صاحب أعيان الشيعة ، والذرية إلى

(١٨) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - من ١٢٢ .

(١٩) الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول - من ١٤٥ .

(٢٠) المصدر السابق : من ٦٣ .

تصانيف الشيعة يجد تراثا علميا ضخما في التشريع الإسلامي والعبادات والمعاملات وتحديد العلاقات الروحية والاجتماعية والعملية الخاصة بالانسان : ويidel ذلك التراث على عظمة علماء الشريعة الإسلامية ، وقدرتهم النادرة على البحث والتفكير والاستقراء والاستنباط والحكم الفقهية التشريعية التي تتفق مع الدين والعقل والمنطق حتى كانوا السابقين في ميادين التأليف والتأسيس لهذه العلوم ٠٠٠ ولم يكتفوا بما ألفوه من كتب قيمة في الشريعة الإسلامية . بل وضعوا أكثر فنون الإسلام وأسسوا ٤وانين اللغة العربية وقواعدها في النحو والصرف والمعنى والبيان والبديع ، والعروض، والقوافي والتفسير ، والحديث وغريب القرآن ، وعلم الكلام والعلوم الطبيعية واستنبطوا تلك القواعد والقوانين بطريقة مبتكرة دقيقة ، تدل على عقل منظم ، وتفكير سديد ورأى ناضج ، والمام تام بكل ما يتعلق باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم من نثر وشعر . ولم يترك علماء الشيعة صغيرة ولا كبيرة في اللغة الا بحثوها ودققوا الفحص عنها وتقننوا في الشعر وبحوره ، وحددوا أسسه وقوانينه بدقة متناهية ، حتى كانوا هم السابقين في تأسيس هذه العلوم وتجديد الشعر العربي وايجاد الشعر التعليمي (٢١) .

ولم يكتف علماء الشيعة بما ألفوه من الكتب في العلوم الدينية ، بل أسهموا في تدوين آثارهم وأعمالهم العمرانية والسياسية والاجتماعية ، وتركوا آثارا خالدة في كتب التاريخ والجغرافية ، وكان لهم أثر كبير في تأسيس علم التاريخ ودراسة الشعوب والبلدان دراسة جغرافية واسعة . وقد تأثر بهم فلاسفة الإسلام وعلماؤه ،

(٢١) انظر السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام .

وتتلذذوا عليهم وأخذوا منهم حتى كانوا تابعين لهم في كل فن من فنون الإسلام .

يقول شرف الدين : « وان الباحثين ليعلمون بالبداية تقدم الشيعة في تدوين العلوم على من سواهم اذ لم يتصد لذلك في العصر الأول غير على وأولى العلم من شيعته ، ولعل السر في ذلك اختلاف الصحابة في ابادة كتابة العلم وعدمهها ، فكرهها - كما عن العسقلاني في مقدمة فتح الباري وغيره - عمر بن الخطاب وجماعة آخرون ، خشية أن يختلط الحديث في الكتاب وأباحه على خلفه الحسن السبط المحببي وجماعة من الصحابة ، وبقي الأمر على هذا الحال حتى أجمع ، أهل القرن الثاني في آخر عصر التابعين على اباحتة(٢٢) .

يقول جرجي زيدان : « ٠٠٠ فانقضى القرن الأول وبعض القرن الثاني للهجرة وال المسلمين يتناقلون العلم بالتلقين ، ويعتمدون على الحفظ ، ولم يدونوا غير القرآن ٠٠٠ وكان أبو بكر قد توقف عن جمعه وتدوينه ، وقال كيف أفعل أمرا لم يفعله رسول الله ؟ أما ما خلا ذلك في التفسير والحديث والأشعار والأخبار والامثال . فقد كانوا يتناقلونها في صدورهم ، وأكثرهم يقرأون ولكنهم لا يكتبون ، وقد يكون بعضهم حافظا ومفسرا وهو لا يقرأ »(٢٣) .

وربما يقول قائل(٢٤) : ولم اختص الشيعة دون سائر الفرق بتأسيس العلوم الدينية ، واللغوية ؟ وهل يكفي

(٢٢) عبد الحسين شرف الدين : المراجعات - من ٣٠٥ .

(٢٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي - ج ٢ - من ٥٥ .

(٢٤) طرح هذا السؤال الاستاذ الدكتور احمد محمود صبّحي - عند مراجعته لبعض فصول هذا الكتاب .

للإجابة على ذلك أن الإمام علياً كان باب مدينة العلم ، ومن ثم فان هذه العلوم قد بدأت به ؟ . فانه يقال : ان التدوين والتاليف قد صاحب الشيعة منذ بداية تاريخهم ، بعد أن أبعد الإمام علي عن الخلافة ، فقد توجه هو والخلص من أصحابه إلى العلم والمعرفة ، وتابعه في ذلك أبناؤه وأحفاده والخلصون له ولأهل بيته ، حتى كان هو الأساس في تأسيس مدرسة المدينة ، كما سوف يتضح عند الكلام عن تأسيس الشيعة لعلم التفسير ، وتابعه في ذلك شيعته ، بالإضافة إلى ذلك ، فان الإمام علي وأصحابه ، قد اعتزلوا السياسة مدة خلافة الخلفاء الثلاثة ، وتوجهوا إلى العلم والتعليم والارشاد ، والبحث على التفكير والتعقل في كل شيء ، حتى نمت هذه الأفكار ، فأنتجت تلك العلوم .

والمأثور عنه كما قال ابن عبد البر : ان قول علي بن أبي طالب : « قيمة كل امرئ ما يحسنه » لم يسبق إليه أحد .

قال : وقلوا : ليس كلمة أحض على طلب العلم منها . . . وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجاها به ، وكلها بحسنه ، فمن ذلك ما يعزى إلى الخليل بن أحمد وهو قوله :

قيمة المرء كل ما يحسن المرء قضاء من الإمام على (٢٥)

ولهذا فالابداع في العلوم ، ما هو الا نتيجة للتعقل والتفكير ، والعقل ينمو على اثر التوجيهات الصحيحة حتى يظهر كمانه الباطلني ، وينتقل من القوة إلى الفعلية ، وهذا ما كان يدعو إليه الإمام على وأبناؤه وشيعته ، لأن التفكير يلعب الدور الأكبر في الحياة العلمية . يقول الإمام على لابنه الحسن : « . . . يابنى لا فقر أشد من الجهل ، ولا عدم

(٢٥) جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعزلة - ص ١٠٩ ، ١٠٨

أشد من عدم العقل . . . ولا عبادة كالتفكير في صنعة الله عز وجل ، يا بني العقل خليل المرء . . . » وقال أيضا « لا علم كالتفكير ولا شرف كالعلم(٢٦) . وجاء عن الامام الصادق : أفضل طبائع العقل العبادة ، وأوثق الحديث له العلم ، وأجزل حظوظه الحكمة ، وأفضل ذخائره الحسنات «(٢٧) .

بالاضافة الى ذلك ، فان الامام عليا وأبناءه ، كانوا يأمرن أبناءهم وشيعتهم بكتابة العلم والاحتفاظ به في منازلهم ، ولهذا سارعوا الى تدوينه وتاليفه ، ولهذا رواوا أن النبي (ص) قال : « قيدوا العلم بالكتابة »(٢٨) . وكان الامام الحسن بن علي يقول لبنيه وبيني أخيه : « يابني وبيني أخي تعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه - أو قال يرويه - فليكتبهوليضعه في بيته »(٢٩) . ولهذا سارع الشيعة الى التأليف والتدوين والتأسيس لعلوم الاسلام .

أما غير الشيعة فانهم انشغلوا بأمور السياسة ، والابتعاد عن العلوم العقلية بل ذهبوا الى تحريم الخوض فيها كما سنشير الى ذلك ، بالإضافة لمنعهم تدوين العلوم والخوض فيها ، خصوصا ما يتعلق بآيات الفران الدريم ، مما جعل الشيعة هم السباقون في هذه الحلبـة ، كما وان الآئمة من أهل البيت أخذـوا على عواتقـهم نشرـالعلم والدعوةـ اليـهـ والـحـثـ عـلـىـ تـعـلـمـهـ وـعـدـمـ تـحـرـيمـ الخـوضـ فـىـ

(٢٦) محمد باقر المجلس : بحار الانوار - ج ١ - ص ٩٥ .

(٢٧) نفس المصدر : ص ١٢١ .

(٢٨) الحراني : تحف العقول - ص ٢٥ . والسيوطى : المزهر - ج ٢ - ص ٣٠٣ .

(٢٩) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ٢ - ص ٢٩٩ .

العلوم العقلية ولا النقلية . ولهذا كان دور غير الشيعة في هذه العلوم دورا ثانويا ، لأن الفضل للمؤسس ، ولهذا تأخر عندهم التأليف والتصنيف ، وحدوا حذو الشيعة بعد ذلك .

وهذا البحث يتناول أولا : موقف الشيعة من العلوم الاسلامية وأثراهم في الثقافة الاسلامية ، وثانيا المدرسة الفكرية عند الشيعة وأثرها في الفكر الانساني .

- ١٥ -

الشيعة وعلوم الاسلام واثرهم

في

الثقافة الاسلامية

١ - تأسيس الشيعة لعلم الكلام :

من العلوم المستحدثة في الإسلام « علم الكلام » فهو علم إسلامي خالص . « فما كان لليونان علم بالحكم على فاعل الكبيرة ولا بصلة ذات الله بصفاته ولا بالنبوة ، إنها موضوعات قد انبثقت عن ظروف البيئة الإسلامية وهي وليدة مشكلات إسلامية خالصة ، لفقد أراد المسلمون أن يصوغوا معتقداتهم صياغة فكرية تمكّنهم من مواجهة الأديان التي غزّاماً الإسلام ، ومن ثم فان نشأة علم الكلام تتلمس من موضوعات الخلاف بين الإسلام وما واجهه من أديان في البلدان المفتوحة » (١) .

هذه وجهة نظر بعض الباحثين ، حيث ربط نشأة علم الكلام بالظروف العقائدية التي واجهها المسلمون دفاعاً عن العقيدة الإسلامية من الانحراف ، وفي هذا يقول الغزالى : فأنشا الله تعالى ، طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله . . . (٢) ولهذا يقول الدكتور فيصل بدير عون : « وما كان بوسع المسلمين أن يقوموا بذلك الا بتأسيسهم لعلم الكلام وما يماثله من أبحاث أخرى كلها كانت بقصد المحافظة على الدين وتقويمه وتقديم آرائه وأفكاره بصورة واضحة وبأدلة عقلية مقنعة » (٣) .

(١) أحمد محمود صبحى : في علم الكلام . المعتزلة . الاشاعرة - ص ١٠ .

(٢) الغزالى : المنقد من الضلال - ص ٩٩ .

(٣) فيصل بدير عون : علم الكلام ومدرسه - ص ٣٧ .

وقد وقع الخلاف في جواز الخوض في مسائل علم الكلام: «والى التحرير ذهب الشافعى وأمالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف ٠٠٠»^(٤) ، وهؤلاء جميعاً ذهبوا «إلى رفض الكلام ومحاجمة المتكلمين ووضعهم في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله ، وهي أسوأ درجة يمكن أن يوصف بها مسلم»^(٥) . وقد ذكر أن الشافعى قال أثناء موته : «لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فثارهم من الاست ٠٠٠ أما ابن حنبل فقد ذهب إلى أن علماء الكلام زنادقة» ، أما مالك فكانت حجته في رفض الكلام والمتكلمين أنهم قوم على استعداد أن يغيروا دينهم طبقاً لوجاهة البراهين التي تتعرض لهم أو تعرض عليهم ، فقال : «رأيت أن جاء عالم الكلام من هو أجدل منه أبدع دينه كل يوم لدين جديد»^(٦) .

هذا موقف علماء السنة والمحاذين منهم تجاه علم الكلام ، ولهذا فهم خارجون عن حريم النزاع ، فيما يتعلق بنشأة هذا العلم ، لأنهم لم يخوضوا فيه ، وليس لهم يد في تأسيسه ، وأما الخوارج فلا قائل باشتراكهم في نشأة هذا العلم ، فيدور الأمر في نشأة هذا العلم بين الشيعة والمعتزلة ٠٠٠ ولهذا لابد من الرجوع إلى الموضوعات الأساسية لعلم الكلام ، والتي أدت إلى نشأته ، لنرى الواضع الحقيقي لهذا العلم . مع العلم أن مؤسس مدرسة الاعتزاز بالاتفاق الجميع هو واصل بن عطاء المولود سنة ٨٠ للهجرة ، ولا يعقل أن يكون آراءه قبل العشرين من عمره ، ولهذا نقطع على أن التفكير الاعتزالي بدأ بعد المائة الأولى من الهجرة يقول الدكتور على سامي النشار :

(٤) عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل - ص ١٧٣ .

(٥) فيصل بدير عون : المصدر السابق - ص ٥١ .

(٦) المصدر السابق : ص ٥١ ، ٥٢ .

أما زمان طلب واصل للعلم وقدرته على الاجتهد فكان فى حدود المائة الأولى تقريباً ، وظهوره فى أوائل المائة الثانية ٠٠٠ (٧) ٠

ومن هنا يمكن لنا حل الاشكال ، وذلك بالرجوع الى موضوعات علم الكلام ، لأن موضوع علم الكلام ، يتالف من عدة قضايا ، أدت الى تأسيس علم الكلام بأصوله وقوانينه المميزة ، فإذا ثبت لنا بالأدلة القاطعة ، أن هذه المسائل طرحت على الساحة الاسلامية قبل وجود واصل بن عطاء ، وقبل أن يكون هناك معتزلة ، نقطع بأن علم الكلام نشأ على ايدى الشيعة ومفكريهم وأن المعتزلة تأثروا بآراء الشيعة ، ولهذا كانوا تابعين لهم فى هذا العلم ٠

وأما المسائل التى طرحت على الساحة الفكرية ، فهى مسألة حرية الارادة الانسانية ، ثم تلتها مسألة الصفات المتعلقة بذات الله ووحدانيته ، ثم النبوة والامامة ، هذه المسائل بمجموعها تؤلف موضوع علم الكلام ٠

وأما مسألة مرتكبى الكبيرة ، التى كانت سبباً لاعتزال واصل بن عطاء عن حلقة الحسن البصري ، الذى أدى الى نشأة المعتزلة ، كانت فى أوائل القرن الثاني للهجرة ، فهى مسألة متأخرة عن مسائل علم الكلام بأكثر من نصف قرن كما سيتضح ٠

أما مشكلة حرية الارادة الانسانية ، والتى تعتبر من أهم المشكلات الكلامية التى حدثت فى الاسلام فى عصره المبكر ، فيظهر من النصوص ، أن هذه المشكلة نشأت على

(٧) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - ج ١ - ص ٣٨٣ ٠

أيدي الشيعة في عصر الامام على عليه السلام ، وتبليورت معالها على أيديهم ، فهى محض نتاجهم وتفكيرهم ، وذلك قبل التقاء المسلمين بالثقافات الأخرى من فارسية ويونانية . يقول محمد أبو زهرة : « وقد كثر الكلام فى القدر فى عهد الامام على كرم الله وجهه ، وكان هو الذى يرد الشبهات ويكشف الغمة عن ادراك كل من يلتبس عليه الامر ويتحير »^(٨) ولهذا يقول محمود حب الله : « ولم تأخذ المشكلة شكلاً واضحاً الا في زمن « على » الخليفة الرابع وكان الجواب عنها وخاصة عند على ومربييه تأكيداً لاختيار الانسان »^(٩) .

يقول البحاثة الهندي السيد أمير على : « وأول من تكلم في حرية الانسان في أفعاله رسول الله (ص) ثم على بن أبي طالب أو القضاء والقدر ، فيما روى عن الامام على (رضى) . . . يهدينا إلى الرأي الاسلامي الصحيح في موضوع حرية الارادة الانسانية . . . وفي خطب الامام على ما يؤيد ذلك »^(١٠) وبهذا يقول الدكتور محمد عمارة « أما الامام على بن أبي طالب فان القائلين بالعدل والتوحيد سواء منهم المعتزلة أو الذين وقفوا في الامامة والسياسة مع فرق الشيعة يذكرون الكثير من الأقوال والموافق التي تثبت اشتراكه في هذا الصراع الفكري حول الجبر والاختيار ، ووقفه إلى جانب القول بحرية الانسان »^(١١) .

(٨) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - ص ١٤١ .

(٩) محمود حب الله : موقف الاسلام من المعرفة - ص ٢٦ .

(١٠) السيد أمير على : روح الاسلام - ج ٢ من ٢٩٧ إلى ٣٠٠ .

(١١) محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - ص

٢٠ - ٢١ .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : « وأما الحكم والبحث
في الأمور الالهية ، فلم يكن من فن أحد من العرب ٠٠٠
وأول من خاض فيه من العرب على عليه السلام ٠٠٠ وللهذا
انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار العقولات اليه
 خاصة دون غيره ، وسموه استاذهم ورئيسهم ، واجتذبه
 كل فرقة من الفرق الى نفسها ٠٠٠ » (١٢) ٠ وكل من
 بزع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتضى وعلى مثاله احتذى ،
 وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الالهي لأن شرف
 العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان
 هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام اقتبس عنه
 نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ ٠٠٠ وأما الإمامية والزيدية
 فانتماؤهم اليه ظاهر (١٣) ٠ ويؤيد ذلك « ٠٠٠ ما هو
 معروف من أهل السنة والجماعة من أنهم يرون في على بن
 أبي طالب أنه أول متكلميهم ويدرك أنه (إلى على) ناظر
 الخوارج في مسألة الوعد والوعيد وناظر القدرية في
 المشيئة والاستطاعة » (١٤) ٠ وللهذا يقول البغدادي في
 فرقه : « فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل
 السنة ٠٠٠ فأول متكلميهم من الصحابة على بن أبي طالب
 كرم الله وجهه ٠٠٠ » (١٥) ٠

يتضح مما تقدم أن مسألة حرية الإنسان في أفعاله ،
 أو القضاء والقدر ، المتعلقة بعدل الله ، نشأت على يد
 الإمام على بن أبي طالب ، في عصر الخلفاء الثلاثة أبي
 بكر وعمر وعثمان (رضي) وقبل أن تكون هناك فرقة تسمى

(١٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ -
 ص ١٥٦ - ١٥٧ ٠

(١٣) ابن أبي الحديد المعتزلي : شرح النهج - ج ١ - من ٦ ٠

(١٤) حسين مروة : النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية
 ج ١ - من ٥٥٦ ٠

(١٥) البغدادي : الفرق بين الفرق - ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ٠

بالخارج ، وفي ذلك يقول جوستاف : «أخذ الاهتمام بعلم الكلام ينمو نموا مطردا بعد أن قررت شقاشق الخمس والعشرين سنة الأولى بعد وفاة محمد (ص) (١٦) . وأن الكلام في حرية الارادة كان شائعا بين أهل البيت ، وأنهم اثبتو للانسان قدره (١٧) . وفي ذلك يقول الدكتور أحمد محمود صبحي : « وأما الحكمة فلم ينقل عن أحد من أكابر العرب أو أصغرهم شيء من ذلك أصلا ... وأول من خاض فيه من العرب على عليه السلام ، ولهذا نجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل في كلامه وخطبه ، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ، ولا يتعرض متكلمو أهل السنة كثيرا للرد على الشيعة في هذا المجال ، ويبدو أنهم لا يمانعون في التسليم لعلى بكتابته العلمية وأمامته للتراجم الإسلامية » (١٨) .

ونسوق بعض النماذج المتعلقة بمسألة القضاء والقدر ، أو مسألة حرية الإنسان في إفعاله ، والمتعلقة بالعدل الالهي ، ليتضح أن المؤسس لهذه المسألة الكلامية ، هو الإمام علي بن أبي طالب ، وأبناؤه وشيعته ، قبل أن يولدوا يصل بن عطاء بأكثر من نصف قرن ، وقبل أن يكون هناك اعتزال بأكثر من ثمانين سنة .

وينقل لنا الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وغيره (١٩) ، أن رجلا سأله الإمام علي بن أبي طالب بعد منصرفه من صفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين : أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام ، أبقضاء من الله وقدره ؟ فقال أمير المؤمنين

(١٦) جوستاف : حضارة الاسلام - ص ١٢٢ .

(١٧) محمد أبو زهرة : الإمام زيد - ص ٥٣ .

(١٨) أحمد محمود صبحي : نظرية الامة - ص ٢٦٩ .

(١٩) ثقة الاسلام الكليني : الكافي - ج ١ - ص ٢١٦ - ٢١٧ -

وأيضا السيد أمير علي : روح الاسلام - ج ٢ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(ع) أجل يا شيخ ، ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد
الا بقضاء من الله وقدره ، فقال له الشيخ : عند الله احتسب
عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال له : مه ياشيخ : فوالله لقد
عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم
وأنتم مقيمون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم
 تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطرين
فقال له الشيخ : وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين
ولا اليه مضطرين ، وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا
ومنصرفنا ؟ فقال له : وتنظر أنه كان قضاء حتماً وقدراً
لازمـاً ، انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر
والنهـى ، والزجر من الله ، وسقط الوعـد والوعـيد ، فلم تكن
لائمة للمذنب ، ولا محمدـة للمحسن ، ولكان المذنب أولـى
بالاحسان من المحسن ولـكان المحسن أولـى بالعقوبة من
المذنب ، تلك مقالة اخـوان عبـدة الأوـثان ، وخصـماء
الـرحـمـن ، وـحزـب الشـيـطـان ، وقدـرـية هـذـه الأـمـةـ وـمـجـوسـهاـ ·
ان الله تبارك وتعالـى كـلـفـ تخـيـيراـ وـنـهـىـ تحـذـيراـ ، وـأـعـطـىـ
على القـلـيلـ كـثـيـراـ ، وـلـمـ يـعـصـ مـغـلـوـباـ وـلـمـ يـطـعـ مـكـرـهاـ ، وـلـمـ
يـمـلـكـ مـفـوضـاـ ، وـلـمـ يـخـلـقـ السـمـاـواتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـاـ
بـاطـلاـ ، وـلـمـ يـبـعـثـ النـبـيـينـ مـبـشـرـينـ ، وـمـنـذـرـينـ عـبـشاـ ، ذـلـكـ
ظـنـ الـذـينـ كـفـرـواـ ، فـوـيـلـ لـلـذـينـ كـفـرـواـ مـنـ النـارـ · فـأـنـشـأـ
الـشـيـخـ يـقـولـ :

أنت الـإـمـامـ الـذـىـ نـرـجـوـ بـطـاعـتـهـ
يـوـمـ النـجـاهـ مـنـ الرـحـمـنـ غـفـرـانـاـ

أـوـضـحـتـ مـنـ أـمـرـنـاـ مـاـ كـانـ مـلـتـبـسـاـ
جـزـاـكـ رـبـكـ بـالـاحـسـانـ اـحـسـانـاـ

وهـذاـ النـصـ ذـكـرـهـ الدـكـتـورـ عـلـىـ سـامـىـ النـشـارـ عـنـ اـبـنـ
الـمـرـتـضـىـ الـعـتـزـلـىـ فـىـ (ـالـمـنـيـةـ وـالـأـمـلـ)ـ ثـمـ عـلـقـ عـلـيـهـ بـقـوـلـهـ :
ـ«ـ وـنـحـنـ نـرـىـ أـنـهـ اـذـاـ كـانـ هـذـاـ النـصـ حـقـاـ لـعـلـىـ ، فـعـلـىـ اـذـنـ

كان معتزليا قبل المعتزلة . فقد ورد فيه جميع المصطلحات المعتزلية التي ظهرت بعد عصر على بزمن طويل او بمعنى ادق يحاول المعتزلة هنا ان ينطقوها عليا بالذهب المعتزلي كاملا ، غير انى ارى من ناحية ان النص قد وضع ببراعة نادرة ، بحيث نرى فيه محاكاة ممتازة لاسلوب على . وأرجع ان الشخص موضوع ، ومن العجب ان الذين حاربوا الوضع في الحديث يلجنون هم انفسهم الى الوضع . (٢٠) .

وقد ذكر هذا النص الشيخ محمد ابو زهرة ، عن ابن أبي الحميد المعتزلي . وقد علق عليه بقوله « ونرى الامام العظيم يفسر القضاء بمعنى الامر ، وهو الحكم التكليفى ، والقدر بمعنى الحكم » (٢١) ولا شك ان كلام من تفسير القضاء والقدر بمعنى الحكم متعلق بأفعال الانسان .

اما ما ي قوله الدكتور على سامي النشار في تعليقه على النص ، فيرد عليه :

اولا : قوله : « ونحن نرى انه اذا كان النص حقا لعلى ، فعلى كان معتزليا قبل المعتزلة » وهذا التلازم غير لازم لبداية بطلانه ، وذلك في قوله فعلى كان معتزليا قبل المعتزلة ، فكيف يكون معتزليا قبل وجود المعتزلة ، وبالتالي باطل فالاول وهو كون على من المعتزلة مثله في البطلان . ثم ان هذا التصور من الدكتور النشار ، واعتباره ، ان كل من تكلم في مسألة القضاء والقدر ، المتعلقة بحرية الارادة الانسانية ، هو من المعتزلة ، كان اللازم من الدكتور ان لا يذهب الى هذا الذهب ، لأن هذه المسألة ليست حكرا

(٢٠) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ ص ٤١١ - ٤١٢ .

(٢١) محمد ابو زهرة : الامام الصادق - ص ١٤٢ .

فكريا على المعتزلة ، وما الداعى الى هذه الملزمة ، بين القول بحرية الارادة الانسانية ، والقول بالاعتزال ، حتى يذهب الى القول بأن الامام عليا كان معتزليا قبل المعتزلة ، وهل يتصور أن يكون الامام على أو من تكلم فى القضاء والقدر ، معتزليا قبل وجود المعتزلة بزمن بعيد ونحن نرثى بالدكتور أن يذهب الى هذا التصور ، بالإضافة الى ذلك ، فقد ورد عن الامام الحسن بن علي فى القضاء والقدر ، كما نقله الدكتور نفسه عن ابن المرتضى ، شبيها بكلام أبيه ، فالازم كذلك أن يكون الامام الحسن معتزليا قبل وجود المعتزلة ، فلماذا لا تكون المعتزلة علوية التفكير ما داموا متأثرين بمصطلحات أئمة الشيعة الكلامية ، لأن هذه المصطلحات سبقت ظهورها ظهور المعتزلة بأكثر من نصف قرن ، ولكن الذى درج عليه أكثر الباحثين ، من أن كل من تكلم فى القضاء والقدر كان معتزليا ، وذلك لما هو المرتكز فى تصوّرهم من غير تمحيص ، أن المعتزلة هم أساس هذا القول ، ومعنى ذلك أن كل من قال به يجب أن يكون معتزليا وأن لم توجد المعتزلة ، ولم يوجد واصل بن عطاء ، وهذا القول مما لا محصل له من الناحية العلمية ، بالإضافة الى ذلك ، فإن جميع أهل البيت النبوى تكلموا فى حرية الانسان قبل أن يوجد واصل فعلى رأى الدكتور النشار ، يجب أن يكون أهل البيت كلهم معتزلة ، وهو واضح البطلان .

ثانياً : وأما قوله : فقد ورد فيه جميع المصطلحات المعتزلية التي ظهرت بعد عصر على بزمن طويل . . . فهو تليل لا يقبل التشكك ، أن المصطلحات الكلامية ظهرت على يد الامام على ، وأولاده وشيعته فاللازم على الدكتور النشار أن يعتبر المعتزلة تابعين ومتأثرين بأراء الشيعة فى هذه المصطلحات ولكن الدكتور ، حاول أن يجد مخرجا لنفي كون الامام على أول من وضع المصطلحات الكلامية فى الاسلام ولهذا حاول أن يوهن هذا النص ، ويعتبره من

الموضوعات . وقد خفى على الدكتور أن علم الكلام بمبادئه وأصوله العامة ، أخذ عن الامام على باعتراف جميع الفرق الكلامية ، وبالأخص متكلمي المعتزلة . يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : « ... وكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفي ، وعلى مثاله احتذى ... ومن كلامه عليه السلام اقتبس عنه نقل ... » وعلى هذا كان من المفروض على الدكتور أن لا يوهن النص ويعتبره من الموضوعات ، خصوصا وقد أورده من مصادرهم ، هذا اضافة الى وجود هذا النص في مصادر شيعية وغير شيعية ، وهى أقدم من المصدر الذى ذكره الدكتور بفترة من الزمن طويلة كما مسر .

ولهذا قيل « ... أن أول من تكلم في القدر أبو الأسود الدؤلي » (٢٢) . وهو من التابعين الذين صحبوه على بن أبي طالب في حربه ضد أصحاب الجمل وصفين ، وقد توفي أبو الأسود الدؤلي سنة ٦٩هـ (٢٢) . ومن الثابت أن أبي الأسود الدؤلي كان تلميذا للإمام على ومتاثرا بأرائه الكلامية ، وعلى هذا فإن سؤال الرجل عليا عن القضاء والقدر ، لم يفت أبي الأسود لانه كان من المقربين اليه ، ولهذا قيل أن أول من تكلم بالقدر أبو الأسود الدؤلي من أصحاب علي عليه السلام .

يقول السيد أمير على في كتابه روح الإسلام : « ويقدم لنا احتجاج الطبرسي مادة جديدة تساعدنا على تكوين رأى صحيح بشأن مسألة الجبر في الإسلام ، فقد سأله رجل علياً أمير المؤمنين عن القضاء والقدر ، فقال الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك

(٢٢) محمد عماره : الإسلام وفلسفة الحكم - ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢٣) نفس المصدر : ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

العصبية والمعونة على القرابة اليه والخذلان لمن عصاه .٠٠٠
 لا تقولوا وكلهم الله الى أنفسهم فتوهنوه ، ولا تقولوا
 أجبرهم على المعاصي فتظلموه ، ولكن قولوا الخير بتوفيق
 الله والشر بذلان الله .٠٠٠ ثم قال في قوله تعالى : « يهدى
 من يشاء ويضل من يشاء » ليس معناه انه أجبرهم على
 فعل الشر او الخير ، لانه لو أجبرهم على أحدهما لم يجب
 لهم ثواب ولا عليهم عقاب ، ولكن المقصود بالهداية هو
 التعريف ، اى عرف لهم طريق الهدى ثم ترك لهم اختيار
 ما يشاءون « (٢٤) ٠

وهذا التصوير الوارد عن الامام على للقضاء والقدر ،
 او لحرية الانسان ، الذي كان يلقنه الى أبنائه وشيعته ،
 انتقل اليهم ، واذا بالامام الحسن بن علي بن أبي طالب
 يصوره بأسلوبه الكلامي الرائع كما نقله عنه المعتزلة في
 قوله : « من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن
 حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، ان الله لا يطاع استكراها ،
 ولا يعصى لغبته ، لانه الملك لما ملکهم ، وال قادر على
 ما قدرهم عليه ، فان عملوا بالطاعات لم يحل بينهم وبين
 ما فعلوا ، وان عملوا بالعصبية فلو شاء حال بينهم وبين
 ما فعلوا ، فاذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك ،
 فلو أجبر الله الخلق على الطاعات لأسقط عنهم الثواب ،
 ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب ، ولو
 أهملهم لكان عجزا في القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة
 بالطاعات كانت له المنة عليهم » (٢٥) ٠

وقد جاء عن الامام الصادق : « لا جبر ولا تقويض بن أمر

(٢٤) السيد أمير على : روح الاسلام - ص ٢٩٧ الى ٣٠٠ .

(٢٥) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - ج ١
 - ص ٤١٢ . نقلًا عن المنبيه والامل لابن المرتضى .

بين أمرين «(٢٦) . وقوله أيضا : « لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما »(٢٧) . وهكذا تبلورت فكرة حرية الارادة الانسانية على ايدى الشيعة ، كما نسبت هذه الفكرة من البيت العلوي(٢٨) . يقول الدكتور محمد عماره : « ويشهد لهذه الفكرية بالاصلاله فى تراثنا ، اتساع القاعدة والارض التى ضمت العديد من التيسارات والمدارس الفكرية والفرق الاسلامية التى قالت بالحرية والاختيار . . من فرق الشيعة : تيار كبير من الشيعة الامامية وغيرها ، يذكر من اعلامه فى كتب طبقات المعتزلة كثيرون منهم مثلا : الحسن بن على بن أبي طالب ، والحسين بن على بن أبي طالب ، والحسن بن الحسن . . وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، والحسن بن محمد بن الحنفية (٢٩) »

الى آخر من ذكرهم ، وهؤلاء كلهم قالوا بحرية الانسان ، وهم من رؤساء التشيع ، بل ان بعضهم من ائمة الشيعة ، كالحسن والحسين ، وهؤلاء وغيرهم تعرضوا لمسألة حرية الانسان قبل أن يوجد واصل بن عطاء ، وقبل أن يكون هناك اعتزال . .

ويتضح مما قدمناه ، أن أول من تكلم في حرية الارادة الانسانية او القضاء والقدر الامام على ، وجميع آل البيت والتابعين لهم ، يقول محمد أبو زهرة : « فقد كان ذلك القول رائجا في آل البيت ، وفي التابعين ، فلم يكن اختيار زيد له بداعا في آل البيت رضى الله عنهم ، حتى لقد نسب صاحب

(٢٦) أبو زهرة : الامام الصادق - ص ٢٢٥ .

والكتلاني : الكافي - ج ١ - ص ٢٢٤ .

(٢٧) الكليني : المصدر السابق - ص ٢٢٢ .

(٢٨) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - ج ١ - ص ٢٢٢ .

(٢٩) محمد عماره : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - ص

٢٤ ، ٢٥ .

المنية والأمل ذلك الرأى الى على زين العابدين رضى الله عنه «(٣٠)» . و «بهذا يتبين أن ذلك النظر كان رائجاً في آخر عصر الصحابة والعصر الأموي ، وينسب إلى كل آل البيت «(٣١)» .

وعمدة التحقيق ، أن الشيعة وحدهم هم الذين خاضوا هذا المعرك الفكرى ، لأن أهل السنة والجماعة ، قد حرموا الخوض فيه كما مر ، والمعتزلة لم تظهر على مسرح التاريخ الفكري إلا في أوائل القرن الثاني من الهجرة ، فيتعين القول بأن الشيعة هم أساس القول بحرية الارادة الإنسانية أو القضاء والقدر ، والذى يعتبر من أهم مسائل علم الكلام .

ونسوق المثال التالي ، ليتبين أن علم الكلام كانت له قوانينه وأصوله الخاصة به ، قبل وجود المعتزلة ، وأن هذه الأصول أوجدها الأئمة من أهل البيت ، وأن متكلمي الشيعة الأوائل تكلموا فيها وأحاطوا بها علما . واستقرت في حياة الإمام زين العابدين على بن الحسين المولود سنة ٢٨ هجرية . فمؤمن الطاق أحد متكلمي الشيعة البارزين ، الذي نص عليه أبو العباس النجاشي : « أنه أخذ العلم عن ثلاثة من الأئمة على بن الحسين ، ومحمد بن على وجعفر بن محمد ٠٠٠ » (٣٢) . يقول الشهريستاني : « وهو - أى مؤمن الطاق - تلميذ الباقر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم ، وأفضى إليه أسراراً من أحواله وعلومه ٠٠٠ » (٣٣) . وكان قوى السجدة كثير الجدل ينهرزم

(٣٠) محمد أبو زهرة : الإمام زيد - ص ٢٠٥

(٣١) نفس المصدر : ص ٢٠٦

(٣٢) هاشم معروف الحسني : سيرة الأئمة - ج ٢ - ص ٢٠٨

(٣٣) الشهريستاني : الملل والنحل - ج ١ - ص ١٨٦

أمامه الخصم مهما بلغ من العلم (٣٤) ولهذا يقول ابن النديم : « ٠ ٠ ٠ ولقى على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ، وكان حسن الاعتقاد والهوى ، حاذقا في صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب » (٣٥) . وبملاحظة قوله : حاذقا في صناعة الكلام ، أن علم الكلام كان صناعة في عهد الامام على بن الحسين ، وقد أخذ علم الكلام منه : « حمران بن أعين ، وهو من طبقة التابعين ، لأنّه هو والاحول مؤمن الطاق وقيس الماشر تعلموا الكلام من زين العابدين على بن الحسين » (٣٦) . أما زرارة بن أعين ، فهو تلميذ الامام محمد الباقر بن على بن الحسين ، وكان متكلما ، يقول ابن النديم : « زرارة بن أعين ، وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن على عليه السلام ، وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشريع » (٣٧) . وكان حمران بن أعين ومؤمن الطاق وقيس الماشر من التابعين ، ولاشك فإنهم كانوا من علماء الكلام قبل وجود المعتزلة بزمن غير قصير . وكل منهم قد ألف في علم الكلام .

ومن هنا لا يلتفت إلى من يزعم أن علم الكلام وجد على أيدي المعتزلة . مع أن المعتزلة حتى أواخر عصر العلاف الذي يعتبر من أكبر متكلمي المعتزلة ليس لهم معرفة بمسالك المتكلمين، وهذا ما نص عليه الشهريستاني في مللته ، والذي يعتبر من المصادر الأولية في معرفة أصول ورجال المعتزلة ، حيث يقول عن هشام بن الحكم : « والرجل فلسي المذهب ، إلا أنه روج كلامه على المعتزلة في معرض

(٣٤) هاشم معروف الحسني : سيرة الأئمة - ج ٢ ص ٢٠٨

(٣٥) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٥٨ .

(٣٦) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - ص ٣٥٩ .

(٣٧) ابن النديم : الفهرست - ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

الكلام ، فرآج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب «(٢٨)» . وهذا مما يدل على أن رجال الفكر وأصحاب الكلام هم الشيعة .

أما المسألة الثانية ، فهي « مسألة الصفات المتعلقة بذات الله ووحدانيته » فقد نشأت على أيدي الشيعة أيضا ، وأول من تكلم فيها « الامام على » ثم أبناؤه وأحفاده وشيعته ، وهذا ما تدل عليه النصوص ، يقول السيد أمير على : « وكان الامام على ينكر كل معنى من معانى التشبيه فى عبارات قوية ، اذ قال ما نصه : ان الله تعالى ، لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذى ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت محدود ، ولا أجل محدود ، أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير موصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله تعالى فقد قرنه ٠٠٠ كائن لا عن حدث ، موجود ، لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ٠٠٠ » «(٢٩)» .

وينقل لنا الحرانى أحد علماء الشيعة فى القرن الثالث للهجرة ، قول الامام على فى التوحيد :

« ان أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده ، نفى الصفات عنه ، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن له خالقا ، ليس بصفة ولا موصوف ، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من حدثه ٠٠٠ أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم ،

(٢٨) الشهريستاني : الملل والنحل - ج ١ ص ٨٥ .

(٢٩) السيد أمير على : روح الاسلام - ج ٢ - من ٣٤٢ .

و ذاته حقيقة ، و كنه تفرقة بينه وبين خلقه ٠٠٠ فمن قال : أين فقد بوأه ، ومن قال : فيم فقد ضمنه ، ومن قال الى م فقد نهاء ، ومن قال : لم فقد عله ، ومن قال : كيف ، فقد شبهه ، ومن قال : اذ فقد وقته ، ومن قال : حتى فقد غيابه ، ومن غياب فقد جزأه ، ومن جزأه فقد وصفه ، ومن وصفه ، فقد الحد فيه ، ومن بعضه فقد عدل عنه ٠٠٠ لا دين الا بمعرفة ، ولا معرفة الا بتصديق ، ولا تصديق الا بتجريد التوحيد ، ولا توحيد الا بالاخلاص ، ولا اخلاص مع التشبيه ، ولا نفي مع اثبات المضادات ، ولا تجريد الا باستقصاء النفي كله ٠٠٠ كل موجود في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكلما يمكن فيه يمتنع في صانعه ، لا تجري عليه الحركة ، ولا يمكن فيه التجزية ، ولا الاتصال ، وكيف يجري عليه ما هو أجراء ويعود عليه ما هو ابتداء ، ويحدث فيه ما هو أحداثه ، اذن لتفاوت ذاته ، ولتجزء كنهه ولا يمتنع من الأزل معناته ، ولما كان للأزل معنى الا معنى الحدث ٠٠٠ «(٤٠) الى آخر كلامه في التوحيد .

وجاء عن الامام الحسين بن علي كما عن الحراني : « ٠٠٠ بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لا تدركه الابصار وهو اللطيف الخبير . استخلص الوحدانية والجبروت وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن . لا منازع له في شيء من أمره ، ولا كفوله يعادله ، ولا ضد له ينافيه ، ولا سمي له يشابهه ، ولا مثل له يشاكله ، لا تتناوله الأمور ولا تجري عليه الأحوال ، ولا تنزل عليه الأحداث ولا يقدر الواصفون كنه عظمته ، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته ، لأنه ليس له في الأشياء عديل ، ولا تدركه العلماء بألبابها ، ولا أهل

(٤٠) الحراني : تحف العقول - ص ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ . وانظر حلية الأولياء للأصبغاني - ج ١ - ص ٧٢ ، ٧٣ .

التفكير بتفكييرهم الا بالتحقيق ايقانا بالغيب ، لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين ، وهو الواحد الصمد ما تصور في الأوهام فهو خلافه ٠٠٠ الى آخر كلامه في التوحيد(٤١) ٠

وجاء عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ، الذي عاصره متكلم الشيعة في وقته ، وكان تلميذه له ، وهو مؤمن بالطاق ، يقول ابن النديم : « وهو من أصحاب أبي عبد الله جعفر الصادق ، ولقي على بن الحسين ، وكان حاذقا في صناعة الكلام » (٤٢) ٠ حيث كان الكلام في زمن الإمام صناعة له قوانينه وأصوله التي وضعها أئمة الشيعة ، وأخذها عنهم واصل بن عطاء . يقول السيد أمير على : « وسار واصل على نهج علماء العلوبيين ، واحتضن المبادئ التي وضعوها ، والأراء التي نادوا بها » (٤٣) ٠

ومن هنا نشير إلى ما قاله الإمام علي بن الحسين في أصل التوحيد :

« الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده » ٠ فالشيعة تعتقد - بموجب هذا المبدأ الكلامي في التوحيد - أن الله سبحانه واجب الوجود لذاته ، ومعنى هذا أنه تعالى لا يزال موجودا بلا علة لوجوده ، وأنه الموجود الأول بلا ابتداء ، و دائم الوجود بلا انتهاء ، وأنه المبدأ الأول لكل الموجودات ، ولو أمكن عدم وجوده لحظة واحدة لم يكن واجب الوجود(٤٤) وبمثل هذا يبين

(٤١) نفس المصدر : ص ١٧٣ - ١٧٤ ٠

(٤٢) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٢١ ٠

(٤٣) السيد أمير على : روح الاسلام : ج ٢ - ص ٣٠٤ ٠

(٤٤) محمد جواد مغنية : في ظلال الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين - ص ١٣ ، ١٤ ٠

الامام على بن الحسين الأصول الكلامية التي يبنتى عليها علم التوحيد ، وكان الشيعة يتناقلونها صاغرا عن كابر منذ زمن الامام على بن الحسين ولنستمع الى ما يقول «وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ، ودلنا عليه من الاخلاص في توحيده ٠٠٠» دعا سبحانه العباد الى الايمان به والاخلاص له في العبادة وحده بلاند وشريك ، وما من شك أن الايمان ثمرة العلم وفرع عنه ، لذا أرشدنا سبحانه الى الطريق الموصل الى هذا العلم ، وهو امعان النظر في الموجودات الكونية وطبيعتها وتماسكها ووحدة نظامها حيث لا تغير معقول لذلك الا بقوة عليمة وحليمة (٤٥) وهكذا كان أئمة الشيعة يضعون المبادئ العامة لعلم التوحيد ، ويأخذها عنهم تلاميذهم والقربون إليهم بدءا من الامام على بن أبي طالب ، حتى استقرت هذه المبادئ ، وأصبحت صناعة لعلم الكلام في زمن الامام على بن الحسين في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ٠

أما مسألة النبوة وما يتصل بها من مباحث كلامية ، فقد نشأت أيضا على ايدي الشيعة ، يقول هنرى كوربان «أقدم المعطيات لإقامة علم النبوة الاسلامية نجدها في تعاليم الأئمة ٠ ونظرا للبراعث التي كانت تحرك هذا العلم، يمكن القول : إن الوسط الشيعي هو الوسط الذى كان ملائما لينشا فيه علم النبوة ، ويكون مدارا للتأمل والتطور ٠٠٠ وهذه الفكرة تشكل مع صلب الفكر الشيعي ، وحده لا تنفص ، ولهذا لا يجوز أن يخلو تاريخ الفلسفة الاسلامية من الفكر الشيعي (٤٦) «ولقد غنى الفكر الشيعي ، ومنذ البداية ، الفلسفة ذات النموذج

(٤٥) نفس المصدر : ص ٢٤ ٠

(٤٦) هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٨٦ ٠

النبوي «(٤٧)» فالنظرية الشيعية التي تنكر امكانية رؤية الله سواء في هذا العالم أم في العالم الآخر (على عكس الكرامية والاشعرية) هي نظرية وثيقة الاتصال ، حتى عند الأئمة أنفسهم ، بنمو العلم القلبي ، والمعرفة القلبية ، هذه المعرفة التي تشتمل على جميع القوى العقلانية والتي ترسم بذلك معلم العرفان الخاص بالفلسفة النبوية «(٤٨)» ولهذا يقول الدكتور أحمد شلبي : « ومن الموضوعات التي طرقها علم الكلام موضوع عصمة الأنبياء ، وقد اتبع علماء هذا اتجاه الشيعة » (٤٩) .

واما مسألة الامامة ، فالشيعة أول من فتق الكلام فيها منذ عصر الصحابي الجليل أبي ذر الغفارى ، ونمطت على ايدي علماء الشيعة ، ومتكلميهم كما سنشير اليه .

ومن هنا يتضح أن هذه المبادئ العامة لعلم الكلام نشأت في عصر مبكر من الإسلام ، وقبل أن يولد واصل بن عطاء ، فاسناد نشأة علم الكلام إلى المعتزلة مما لا محصل له ولا دليل عليه ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن الآراء التي تنقل عن المعتزلة ، ما هي إلا آراء مدونة في مصادر غير اعتزالية ومن هنا يقع الشك في استنادها إليهم ، خصوصاً وأن أكثر الباحثين الذين تعرضوا لمسائل علم الكلام . والفرق التي تناولتها ، لم يفرقوا بين المعتزلة وغيرهم ، حتى جعلوا كثيراً من علماء الشيعة ومفكريهم من المعتزلة ، كالسيد المرتضى علم الهدى ومرجع الشيعة في وقته ، والصاحب بن عباد ، والكميت وغير هؤلاء . بالإضافة إلى ذلك ، فإن المصادر التي تتكلم عن المبادئ العامة للمعتزلة ،

٤٧) المصدر السابق : ص ٦٨ .

٤٨) نفس المصدر : ص ٨٧ .

٤٩) أحمد شلبي : تاريخ المناهج الإسلامية - ص ٧٩ .

لا يعتمد عليها فى اثبات تأصيلهم لعلم الكلام ، لأنها متأخرة
 عما ألفه متكلمو الشيعة فى علم التوحيد ، وأهم مصادرهم
 فى ذلك ما كتبه القاضى عبد الجبار ، وابن المرتضى ، وكل
 منها متأخر عن هشام بن الحكم وأل نوبخت والحرانى
 والكلينى ، بل ومؤمن الطاق وغير هؤلاء من كتب فى علم
 الكلام ، وأما من كتب عنهم ، فانهم لم يتميزوا بين الشيعة
 والمعتزلة ، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه لهذا الخلط الواضح
 كما سيتضح . ومن أمثلة ذلك ما يقوله احمد أمين فى
 كتابه ظهر الاسلام :

« وكان قسم كبير من المعتزلة شيعيا أيضا ، أفسحت
 الدولة البوئية صدرها للمعتزلة ، فوجدنا الاعتزال
 يتربع فيها ، فابن العميد الذى كان واليا للبوئيين على
 اقليم الرى معتزليا ... وابن عباد اعظم وزراء البوئيين
 كان معتزليا أيضا ... وكان هو نفسه عالماً أدبيا حتى
 ألف فى اللغة معجماً كبيراً يقع فى سبع مجلدات سماه
 المحيط ، كما كان محدثاً ، كما ألف فى امامية على بن أبي
 طالب ... وعلى الجملة فهى « أى الرسائل التى كان
 يبعثها الى القاضى عبد الجبار » تدل على تشيع واعتزال
 عرفاً عن البوئيين » (٥٠) .

وهذا الخلط ، أدى الى عدم التمييز بين اراء الشيعة
 الكلامية وآراء المعتزلة ، و « احمد أمين » ، لما كان من
 غير ذوى الاختصاص بعلم الكلام ، اعتبر الصاحب بن عباد
 معتزليا ، ومع هذا فقد ألف الصاحب كتاباً فى اثبات امامية
 أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، ونحن لا نجد معتزليا
 ألف فى ذلك ، بل نجد أن واصل بن عطاء مؤسس مدرسة
 الاعتزال يذهب الى أن الامام علياً لو شهد عنده عاى باقة

(٥٠) احمد أمين : ظهر الاسلام - ج ٤ - ص ٤٣ - ٤٤ .

بقل لردت شهادته ، ومن هنا كان الفارق والمائز بين الشيعة وبقية الفرق الاسلامية هو القول بامامة على بن ابي طالب .

اما الصاحب بن عباد ، يقول فيه بروكلمان : « كافى الكفاة ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس ، الصاحب ٠٠٠ ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان أبوه كاتب ركن الدولة وعضد الدولة ابن بويه ٠٠٠ ويميل الى مذهب الشيعة غير الغلاة » (٥١) . ولهذا ينقل ابن الاثير ، أن الصاحب بن عباد أحسن الى القاضى عبد الجبار بن احمد المعتزلى ، وقدمه ووالاه قضاء الرى وأعمالها فلما توفى الصاحب ، قال القاضى عبد الجبار : لا ارى الترحم عليه ، لأنه مات من غير توبة ظهرت ، فنسب عبد الجبار الى قلة الوفاء » (٥٢) وعدم الترحم من القاضى المعتزلى على الصاحب بن عباد مع احسانه اليه لتشيعه .

واما ابن العميد الذى نسبه احمد أمين الى التشيع والاعتزال ، يقول فيه بروكلمان : « ابو الفضل محمد بن العميد ٠٠٠ الكاتب ، كان وزيرا لركن الدولة ابى على بن بويه الديلمى » ٣٦٦ - ٣٢٠ هـ « وكان ينشئ على مذهب الامامية ٠٠٠ » (٥٣) .

ومن هنا يحاول بعض الباحثين أن يغيروا الحقائق التاريخية لصالحهم ، وهذا خارج عن الامانة العلمية فى نقل الحوادث ، لأن الباحث الموضوعى ، لابد وأن يكون أمينا وصادقا فيما ينقله ، ويسجله للأجيال ، وهذه

(٥١) كارل بروكلمان : تاريخ الحضارة الاسلامية - ج ٢ - ص ٢٦٨ .

(٥٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - ج ٧ - ص ١٧٠ .

(٥٣) بروكلمان : المصدر السابق - ص ١١٩ .

الظاهرة – أى ظاهرة التغيير والتبدل – ظاهرة قديمة ، وهذا حذوها بعض المعاصرین ، اما تعمدا ، واما لقلة معرفتهم بعلم الكلام وتاريخ نشأته . يقول زهـى جـار الله فى كتابه المعتزلة : « ثم ان أبا الهذيل – العلاف – كان ينتهز كل فرصة لمناظرة زعماء المذاهب المخالفة وتقطيعهم وجـعوا بين أبـى الهـذـيل وبين هـشـام بن الحـكم الـرافـضـى فى مجلس بمـكـة حـضـره خـلـقـ كـثـيرـ ، وـهـوـ مجلس مشـهـور عند أهل الـكلـامـ ، فـظـهـرـ من اـنـقـطـاعـ هـشـامـ وـفـضـيـحـتـهـ ما صـارـ به شـهـرـةـ بيـنـ النـاسـ »^(٤) .

هـذاـ ماـ يـنـقـلـهـ الاستـاذـ زـهـىـ جـارـ اللهـ ، وـقـدـ نـقـلـ لـنـاـ التـارـيـخـ خـلـافـ ذـلـكـ .ـ يـقـولـ المـسـعـورـىـ :ـ فـىـ مـرـوجـ الذـهـبـ :ـ «ـ وـقـدـ نـاظـرـ هـشـامـ بنـ الـحـكـمـ أـبـىـ الـهـذـيلـ الـعـلـافـ فـىـ الـحـرـكـةـ ،ـ وـانـهاـ لـيـسـتـ بـجـسـمـ ،ـ فـانـقـطـعـ أـبـىـ الـهـذـيلـ ،ـ وـلـمـ يـرـدـ جـوـابـاـ أـمـامـ هـشـامـ بنـ الـحـكـمـ ،ـ وـذـلـكـ عـنـدـمـاـ قـالـ لـهـ اـذـاـ كـانـتـ الـحـرـكـةـ تـرـىـ فـلـمـ لـاـ زـهـمـتـ اـنـهـاـ تـلـمـسـ ؟ـ قـالـ لـاـنـهـاـ لـيـسـتـ بـجـسـمـ فـيـلـمـسـ ،ـ لـاـنـ الـلـمـسـ اـنـمـاـ يـقـعـ عـلـىـ الـاجـسـامـ ،ـ فـقـالـ لـهـ هـشـامـ :ـ فـقـلـ اـيـضاـ اـنـهـاـ لـاـ تـرـىـ ،ـ لـاـنـ الرـؤـيـةـ اـنـمـاـ تـقـعـ عـلـىـ الـاجـسـامـ »^(٥) .ـ وـلـهـذـاـ يـقـولـ الشـهـرـسـتـانـىـ «ـ وـهـذـاـ هـشـامـ بنـ الـحـكـمـ لـاـ يـجـوزـ أـنـ يـغـفـلـ عـنـ الزـامـاتـهـ عـلـىـ الـمـعـتـزـلـهـ ،ـ فـانـ الرـجـلـ وـرـاءـ مـاـ يـلـزـمـ بـهـ عـلـىـ الـخـصـمـ وـذـلـكـ أـنـهـ أـلـزـمـ الـعـلـافـ فـقـالـ :ـ اـنـكـ تـقـولـ :ـ الـبـارـىـ تـعـالـىـ عـالـمـ بـعـلـمـ ،ـ وـعـلـمـهـ ذـاتـهـ ،ـ فـيـشـارـكـ الـمـحـدـثـاتـ فـىـ أـنـهـ عـالـمـ بـعـلـمـ ،ـ وـبـيـاـيـنـهـ فـىـ أـنـ عـلـمـهـ ذـاتـهـ ،ـ فـيـكـونـ عـالـمـ لـاـ كـالـعـالـمـينـ ،ـ فـلـمـ لـاـ تـقـولـ اـنـهـ جـسـمـ لـاـ كـالـاجـسـامـ ،ـ وـصـورـةـ لـاـ كـالـصـورـ ،ـ وـلـهـ قـدـرـةـ لـاـ كـالـاـقـدـارـ ،ـ اـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ »^(٦) .

^(٤) زـهـىـ جـارـ اللهـ :ـ المـعـتـزـلـةـ – صـ ٤٠ .

^(٥) المـسـعـورـىـ :ـ مـرـوجـ الذـهـبـ – جـ ٤ـ – صـ ١٠٤ـ .

^(٦) الشـهـرـسـتـانـىـ :ـ الـمـلـلـ وـالـنـحلـ – جـ ١ـ – صـ ١٨٥ـ .

وهنا نلاحظ قوة الاستدلال العقلى الذى أدلى به هشام بن الحكم ، حتى أن العلاف لم يحر جوابا ، وذلك لأن العلاف يذهب الى القول بأن الله عالم بعلم وعلمه ذاته وقدرته وقدرته ذاته ، فأورد عليه هشام ، بأن الله اذا كان عالما بعلم ، فإنه يشارك الانسان لأن الانسان عالم بعلم ، ويخالفه بأن علم الانسان مكتسب وعلم الله ذاته ، فالله عالم لا كالمعالين وعلى هذا الزم بقوله ، فلماذا اذن لا تقول بأن الله جسم ولكنه لا كالاجسام وبهذا الزم العلاف . ولهذا يقول الدكتور أحمد محمود صبحى : « وأهم تلاميذ الصادق فى علم الكلام عامة والأمامية خاصة هشام بن الحكم . . . ودعاه الصادق بما قهره أحد بعد فى التوحيد »^(٥٧) . وموقف هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد ثانى شخصية اعتزالية بعد واصل بن عطاء . ومناظرته له فى مسجد البصرة أمام جموع من الحاضرين وهو لم يتتجاوز أنداك العشرين من عمره ، وافحاصه لعمرو بن عبيد ، لدليل على صحة ما قلناه^(٥٨) . وبذلك يتضح حقيقة ما نقله زهدى جار الله .

أن هشام بن الحكم كان نسيج وحده فى علم الكلام والفلسفة ، حتى أن المعتزلة تأثروا به وأخذوا عنه كما سوف يتضح ، ولكن نسوق هنا الدليل على صحة ما نقول . فقد جاء فى مقالات المسلمين عن أبي الحسن الأشعري قوله أن هشام بن الحكم يذهب الى « أن الانسان أسم لمعنىين : لبدن وروح ، فالبدن موات ، والروح هي الفاعلة الدرaka

^(٥٧) احمد محمود صبحى : نظرية الامامة - ص ٣٧٣ .

^(٥٨) المسعودى : مروج الذهب - ج ٤ - ص ١٠٥ . وأيضا دونلسن : عقيدة الشيعة - ص ٣٠٩ - ٣١٠ . وأيضا الكلينى - الكافي - ج ١ - ص ٢٢٨ - ٢٢٩ . وأحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - ص ١٤٤ . وأيضا هاشم معروف الحسينى : الشيعة بين الاشاعرة والمعزلة - ص ١٩٧ .

الحساسة ، وهى نور من الأنوار ٠٠٠ وقد ذهب من أهل زماننا قوم من النظامية الذين يزعمون أن الإنسان هو الروح إلى قول الروافض «(٥٩)» . وهذه النظرية تدور حول حقيقة الإنسان ، وأنه مركب من روح وجسد ، وقد تبنّاها بعد ذلك فلاسفة المسلمين ، وهي نتاج أئمة الشيعة ، القوّاها إلى تلاميذهم ، وسررت إلى مفكري الإسلام ، وهذا ما نشير إليه عند كلامنا عن الفيلسوف الشيعي ابن سينا ٠

ومما يستأنس به كذلك ما نقله ابن قتيبة في عيون الأخبار ، من أن هشام بن الحكم كان يناظر المخالفين عند الولاة العباسيين ، ففي ذات يوم : دخل هشام بن الحكم على بعض الولاة العباسيين ، فقال رجل للعباسي : - أنا أقرر هشاما بأن علياً كان ظالماً ، فقال له : إن فعلت ذلك فلك كذا ، فقال له : يا أبي محمد ، أما علمت أن علياً نازع العباس إلى أبي بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيهما كان الظالم لصاحبه؟ فتوقف هشام وقال : إن قلت العباس خفت العباسى ، وإن قلت علياً ناقضت قولى ، ثم قال : لم يكن فيهما ظالم . قال : فيختصم اثنان في أمر وهما محققاً جميعاً؟ قال : نعم ، اختصم المكان إلى داود وليس فيهما ظالم ، إنما أراداً أن ينبهاه على ظلمه ، كذلك اختصم هذان إلى أبي بكر ليعرفاه ظلمه ، فأمسكت الرجل ، وأمر الخليفة لهشام بن الحكم بصلة «(٦٠)» . والمكان هما اللذان بعثهما الله تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانيين ، وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة (ص) في قوله تعالى : «إن هذا أخي له تسعة وتسعون نعجة» «(٦١) الآية .

٥٩) أبو الحسن الأشعري : مقالات المسلمين - ١ - ص ١٣٢ .

٦٠) ابن قتيبة : عيون الأخبار - ج ٢ ص ١٥٠ .

٦١) نفس المصدر : ص ١٥٠ .

وأما ما قبل : من أن أول أصحاب مذهب الارادة الحرة في الاسلام هو معبد بن خالد الجهنى ، فعلى فرض التسليم به ، وأنه هو المؤسس لهذا المذهب ، فهو أيضا من الشيعة التابعين، وقد كان من تلامذة أبي ذر الغفارى، وكان أبو ذر ، من أعداء عثمان وعاویة ، كما يقول الدكتور النشار ، وقد روى معبد عنه ، كما روى عن معبد مجموعة من علماء البصرة وزهادها ، وقد أجمعوا كتب العقائد الاسلامية على أن معبد الجهنى هو أول من تكلم في القدر من المسلمين - حسب رأى النشار - نشأ في المدينة وتتلمذ على أبي ذر الغفارى ، وأنه رحل معه إلى الشام ، فان الأخبار تروي أنه استمع إلى أحاديث كان يرويها معاویة عن الرسول ، وهذا يدل على أنه كان في صحبة أبي ذر في رحلته المشهورة إلى الشام حين انكر على معاویة والاموية في دمشق ثراءهم ... ولا شك أن معبدا كان يلحظ الأحداث مع استاذه وحين نفى عثمان أبي ذر وأعاده إلى الحجاز عاد معبد وعاش في المدينة^(٦٢) .

يقول الدكتور النشار : « وفي المدينة نفسها ظهر معبد الجهنى « المتوفى عام ٨٠ هـ » هل كان معبد الجهنى صدى لهذه المدرسة العلوية . وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب حينئذ . كان معبد الجهنى مدينياً أولاً ، وروى عن أبي ذر الغفارى ثانياً . ونحن نعلم أن أبي ذر الغفارى كان علوياً ، يؤمن بأحقية على في الخلافة ، كما كان ينادي بنظرية الكثوز ... فلا شك اذن أن معبد الجهنى إنما كان تلميذا وأثراً لمدرسة محمد بن الحنفية^(٦٣) .

(٦٢) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام - ج ١ - ص ٣١٧ - ٣١٨ . وأيضاً الشيخ جمال الدين القاسمي - تاريخ الجهمية - ص ٧٢ ، ٧٤ .

(٦٣) على سامي النشار : نفس المصدر - ص ٢٢٢ .

يقول السيد أمير على : « وأحدث مذهب الجبرية ثورة بين المفكرين يتزعمها معبد الجهنى وأبو يونس الأسوارى، وغيلان الدمشقى ، وكان من الواضح أنهم استمدوا كثيرا من آرائهم من العلوين ، فنادوا بجراة فى عاصمة الأمويين وفي قلعة الجبرية بحرية الارادة الانسانية » (٦٤) .

ومما تقدم يظهر أن أول من تكلم فى القدر ، هم أهل البيت وشيعتهم ، ومن المعلوم أن من أهم مباحث علم الكلام القول بحرية الارادة ، أو القضاء والقدر الذى يتعلق بعدل الله ، وأن هناك ثلاثة من الاعلام يعتبرون العناصر الأولى فى نشأة علم الكلام كما يذكرهم الدكتور عمارة قيل عن كل منهم : أنه أول من تكلم فى القدر . وأول هؤلاء الثلاثة : أبو الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو (٦٩ هـ - ٦٨٨ م) وهو أحد الموالى التابعين الذين صحبوا على بن أبي طالب فى حروبها ضد أصحاب الجمل وصفين . ويروى الرواة فيقولون : كان « أول متكلم فى القدر أبو الأسود الدؤلى » . وثاني هؤلاء معبد الجهنى « المتوفى سنة ٨٠ هـ أو سنة ٩٥ هـ » وقد شارك فى الثورة التى قادها عبد الرحمن بن الأشعث ضد بنى أمية ووقع فى قبضة الحجاج ، فقتله صبرا ، وثالث الثلاثة هو أبو مروان غيلان الدمشقى : (المقتول بعد سنة ١٠٦ هـ) (٦٥) .

وهكذا كان معبد الجهنى من أكبر الشخصيات الإسلامية الأولى ، وهو يمثل امتداد مدرسة أبي در الغفارى ، وأن هذه المباحث القدريّة الأولى ، انما نشأت عن بنية المجتمع الإسلامي حينئذ ، مع اجتهاد عقلى فى النص القرآني وفي السنة » (٦٦) .

(٦٤) السيد أمير على : روح الاسلام - ج ٢ - ص ٣٠٢ .

(٦٥) محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٦٦) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ١ .

قال معاوية يوما - وعنه صعصعة بن صوحان وكان
قدم عليه بكتاب على وعنه وجوه الناس : الأرض لله ،
وأنا خليفة الله فما أخذ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه
كان جائزا لي ، فقال صعصعة : -

تمنيك نفسك ما لا يکو ن جهلا معاوى لا تأثم

فقال معاوية : يا صعصعة ، تعلمت الكلام ، قال :
العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يجهل ، قال معاوية : ما أحوجك
إلى أن أذيك وبالأمرك ، قال : ليس ذلك بيديك ، ذلك
بيد الذي لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول
بيني وبينك ؟ قال : الذي يحول بين المرء وقلبه «٠٠٠» (٦٧) .

وهنا نلاحظ أن معاوية يقول لصعصعة تعلمت الكلام ،
والمراد ، من الكلام هنا المناورة والجادلة لا خصوص
النطق ولذا رد عليه أن الكلام لابد وأن يكون بالتعلم . ومن
هذا يعلم أن أساس علم الكلام كان في زمن الإمام على
 وأنه علم شيعته لهذا العلم في مقام المجادلة والمناظرة .
ولهذا كان صعصعة بن صوحان من متكلمي الشيعة (٦٨) .

وخطا علم الكلام خطوة أخرى على يد الكميّت ، وذلك
عن طريق المناظرة والجدال ، إذ كان شيعياً يدافع عن حق
آل البيت ، فهاشميّات الكميّت مناظرات في حقوق
الهاشميّين ، لا تعتمد على الأقناع العاطفي وانما تعتمد
قبل كل شيء على الأقناع العقلي ، والكميّت فيها مناظر من
طراز ممتاز ، ولكنه يقف وحده ولا يسمح لأحد أن يدخل
معه في المناظرة ، والواقع أن الكميّت إذا كان في الظاهر
يقف وحده في مناظراته ، فإن في حقيقة الأمر كان يفترض

(٦٧) المسعودي : مروج الذهب - ج ٣ - ص ٥٢ .

(٦٨) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام -
ص ٣٥٥ .

دائماً وجود شخص آخر يجادله ويحاوره ويناظره ، ولعل هذا هو السر في حدة الأسلوب الجدلية عنده وقوه مجادلاته الفقاعية^(٦٩) . وفي ذلك يقول أحمد أمين : « وهو أول من احتاج في شعره على صحة المذهب الشيعي وأقام حججه وقوى براهينه ، حتى قال الجاحظ فيه أنه أول من دل الشيعة على طريق الاحتجاج »^(٧٠) .

يقول الدكتور أحمد الحوفي : « سلك الكميت في الاحتجاج لهم - أى لأهل البيت - مسلك المعتزلة في تفكيرهم وتدعيلهم على آرائهم معتمداً على القرآن الكريم وعلى القياس المنطقي ... ثم يذهب في تفنيد زعمهم مذهبياً عقلياً آخر ... »^(٧١) ثم يقول : « وهو في هذا متاثر بطريق المعتزلة في تفكيرهم واستدلالهم على آرائهم ، فقد عرفنا صلته بزيد بن علي زعيم الزيدية ، وعرفنا أن زيداً والزيدية كلهم كانوا متاثرين بواصل بن عطاء ، لهذا كان الجاحظ على الصواب في قوله : مافتح للشيعة باب الحجاج بالشعر إلا الكميت »^(٧٢) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : « خطأ الكميت بالمناظرة والجدال خطوة أخرى إذ كان شيعياً على مذهب زيد بن علي بن الحسين ، وكان في الوقت نفسه تلميذاً لواصل بن عطاء مؤسس الاعتزاز ومنشئه ، فألف على هدى استاذه وعقله واحتجاجه أول دفاع في تاريخ النحلة الزيدية ونحل الشيعة عامة »^(٧٣) .

(٦٩) يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة - من ٧١٤ .

(٧٠) أحمد أمين : ضحى الإسلام - ج ٣ - من ٣٠٤ .

(٧١) أحمد الحوفي : أدب السياسة - من ١٩٢ .

(٧٢) نفس المصدر : ص ٤٨٩ .

(٧٣) شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي - من ٩ .

وقد استنتج الدكتور شوقى ضيف على أن الكميٰت من المعتزلة بهذا الاستنتاج : « فقد ألف ديوانه « الهاشميٰات » انتصاراً لزيد بن على بن الحسين امام الطائفة المعروفة بالزيدية ، وكان زيد تلميذاً ، لواصل بن عطاء ، ومعنى ذلك أنه كان من المعتزلة ، وكذلك جميع الزيديّة ٠٠٠ وانـن فالكميٰت أيضاً يعد من المعتزلة » (٧٤) .

هكذا يستدل كل من الدكتور شوقى ضيف وأحمد الحوفي ، على أن يجعلـا من الكميٰت شخصية اعتزالـية ، وهذا الاستدلال لو صدر عن شخص لا يعرف طرق الاستدلال وقواعدـه ومقدماته لأخذـ عليه ، فكيف ويصدر عن مثلـ الدكتور شوقى ضيف والـحـوفي . هذه العـيـاغـة الاستدلـالية غير سـلـيمـة من وجـوهـ :

أولاً : ان هاشميـاتـ الكـميـٰـتـ قـبـيلـتـ قـبـيلـتـ قبلـ أنـ يـوجـدـ واـصـلـ بنـ عـطـاءـ ، وـقـبـيلـ أنـ يـكـونـ هـنـاكـ مـعـتـزـلـةـ ، فـلاـ يـعـقـلـ أنـ يـتـثـرـ الكـميـٰـتـ بـمـذـهـبـ فـكـرـىـ لـيـسـ لـهـ وـجـودـ فـيـ الـوـاقـعـ . لأنـ الكـميـٰـتـ ولـدـ سـنـةـ « ٦٠ـ لـلـهـجـرـةـ » ، بـيـنـماـ ولـدـ واـصـلـ بنـ عـطـاءـ وـكـذـلـكـ زـيدـ بنـ عـلـيـ سـنـةـ (٨٠ـ لـلـهـجـرـةـ) ، وـكـذـلـكـ عـمـرـوـ بنـ عـبـيدـ ، وـ«ـ أـنـ الرـجـلـيـنـ اللـذـيـنـ أـسـسـاـ مـدـرـسـةـ الـاعـتـزاـلـ وـهـمـاـ واـصـلـ بنـ عـطـاءـ وـعـمـرـوـ بنـ عـبـيدـ وـلـدـاـ «ـ سـنـةـ ٨٠ـ هـ » = ٦٩٩ـ مـ » فـلاـ يـعـقـلـ أنـ يـكـونـاـ قدـ بـدـءـاـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ الـفـكـرـيـةـ قـبـيلـ العـشـرـيـنـ مـنـ حـيـاتـهـمـاـ وـعـلـىـ ذـلـكـ يـكـونـ الـمـعـتـزـلـةـ قـدـ قـامـوـاـ فـيـ بـدـاـيـةـ الـقـرـنـ الـهـجـرـيـ الثـانـيـ فـيـ سـنـةـ مـحـصـورـةـ بـيـنـ «ـ ١٠٠ـ - ١١٠ـ هـ » وـهـذـاـ يـوـافـقـ مـاـ يـذـهـبـ إـلـيـهـ الـمـقـرـيـزـيـ مـنـ أـنـهـمـ ظـهـرـوـاـ بـعـدـ الـمـائـةـ الـأـولـىـ مـنـ سـنـيـ الـهـجـرـةـ » (٧٥) . معـ أـنـ

(٧٤) نفسـ المـصـدرـ : صـ ٨٠ـ .

(٧٥) زـمـدـىـ جـارـ اللـهـ : الـمـعـتـزـلـةـ - صـ ١٢ـ . وـانـظـرـ أـيـضـاـ طـاشـ كـبـرىـ زـادـهـ : مـفـتـاحـ السـعـادـةـ وـمـصـبـاحـ السـيـادـةـ - جـ ٢ـ - صـ ٣٧ـ .

الكميت كان في ذلك الوقت قد ناهز الخمسين عاما من عمره ، و قال ٠٠٠ الشاعر وهو صغير ، وكان لا يذيعه ولا يتكتب منه » (٧٦) . والهاشميات من أولى أشعار الكمييت حيث كان يعرضها على الفرزدق (٧٧) . وهذا يدل على أن الكمييت تكلم في العدل و حرية الارادة وجادل وناظر قبل أن يكون واصل بن عطاء ، وقبل أن يكون الاعتزال فليس من المعقول أن يكون الكمييت متأثرا بالمعزلة قبل وجودهم .

ثانيا : أن ديوان الكمييت لم يكن انتصارا لزيد بن على بن الحسين أمم الطائفة الزيدية ، مع العلم أن فرقة الزيدية ليس لها وجود في حياة الكمييت ولا في حياة الامام زيد ، وإنما وجدت بعد استشهاده رضى الله عنه .

ثالثا : أن مجرد كون زيد قد تتلمذ على يد واصل يجعل من زيد معتزليا ، ليس بأولى من أن يكون واصل شيعيا لأنه تتلمذ على يد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وعلى هذا فالمعزلة يعودون من الشيعة وهذا لا يصح . اذن فالصياغة التي اعتمد عليها كل من الدكتور شوقي والحوفى غير سليمة من الناحية المنطقية السليمة .

ويكشف ديوان الكمييت « عن مدى ما أصاب التفكير الفنى في هذا العصر من تطور ، اذ نجد هذا التفكير يتحول إلى جدال وطرق استدلال لم نكن نألفها في القديم ، فقد أصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة يؤمن بها و يجعلها محور شعره ، كما أصبح مثقفا بطرق الجدال

(٧٦) محمد عبد المنعم خفاجى : اعلام الأدب في عصر بنى امية -

ج ٢ - ص ٤ .

(٧٧) المسعودى : مروج الذهب - ج ٣ ص ٢٤٢ .

والحوار المعاصره وهو يطبقها فى شعره تطبيقا ، ويخلص
نفسه وفنه لأساليبها اخضاعا «(٧٨) . وهكذا يضع
الشيعة الأصول العامة لعلم الكلام قبل وجود المعتزلة .
ومن هنا يلاحظ التناقض فى الصياغة التى يعتمدها
الدكتور شوقي ضيف فى قوله : « والمسألة لا تحتاج حدسا
وتخيينا كما قدمنا ، فصلة الكميـت بـواصلـ وـاضـحة مـقرـرة
وقد أخذ يكتب تحت ضوء ما تلقـنه من هـذا الدـفاعـ الذـى
أخذ شـكـلـ جـداـلـ وـحـوارـ وـاسـعـ فهوـ يـحاـورـ وـيـجـارـدـ فـيـ حقـوقـ
الـشـيعـةـ وـفـيـ أـصـحـابـ الـخـلـافـةـ ، وـيـفـتـحـ فـيـ ذـلـكـ أـبـوـابـ
لـلـمـنـاظـرـ وـالـاسـتـدـلـالـ لـمـ تـكـنـ مـأـلـوـفـةـ عـنـ النـاسـ وـالـشـعـراءـ
مـنـ حـولـهـ «(٧٩) .

فالدكتور هنا يقرر أن الكميـت أـخذـ يـكـتبـ ماـ تـلـقـنهـ منـ
ـواـصـلـ ، وـأـنـ هـذـاـ التـلـقـينـ كـانـ لـصـلـةـ الـكـمـيـتـ بـواـصـلـ ، ثـمـ
يـقـرـرـ بـأـنـ الـكـمـيـتـ هـوـ أـوـلـ مـنـ فـتـحـ أـبـوـابـ الـمـنـاظـرـ
ـوـالـاسـتـدـلـالـ ، وـهـذـهـ أـبـوـابـ لـمـ تـكـنـ مـأـلـوـفـةـ عـنـ النـاسـ فـيـ
ـذـلـكـ الـوـقـتـ ، وـهـذـاـ هوـ عـيـنـ التـنـاقـضـ الذـىـ لـاـ يـسـتـنـدـ إـلـىـ
ـدـلـيـلـ .

والـتـنـاقـضـ يـكـونـ وـاضـحـاـ فـيـ قولـهـ : « وـماـ أـظـنـنـاـ ، إـذـاـ
ـقـلـنـاـ أـنـ هـاشـمـيـاتـ الـكـمـيـتـ كـانـ مـنـحـةـ الـمـعـتـزـلـةـ وـمـنـحـةـ الـعـقـلـ
ـذـىـ كـوـنـوـهـ فـيـ الـعـصـرـ الـأـمـوـىـ ، نـكـونـ مـخـطـئـيـنـ وـمـبـعـدـيـنـ
ـفـيـ الـوـهـمـ ، فـهـىـ صـورـةـ دـقـيقـةـ لـطـرـقـ الـقـوـمـ فـيـ اـسـتـدـلـالـلـهـمـ
ـوـحـوارـهـمـ وـمـاـ كـانـوـاـ يـشـغـفـونـ بـهـ هـذـاـ اـسـتـدـلـالـ وـالـحـوارـ
ـمـنـ نـظـرـ عـقـلـىـ عـمـيقـ . فـالـكـمـيـتـ يـنـاظـرـ فـيـ هـاشـمـيـاتـهـ عـنـ
ـالـشـيعـةـ ، بـلـ أـنـهـ يـحـولـ شـعـرهـ إـلـىـ تـقـرـيرـ نـظـرـيـةـ مـعـيـنةـ ،

(٧٨) شـوـقـىـ ضـيـفـ : التـطـورـ وـالتـجـديـدـ فـيـ الشـعـرـ الـأـمـوـىـ -
ـصـ ٨٠ .

(٧٩) نفسـ المـصـدرـ : صـ ٢٨٠ .

يعيش ويجادل فيها ويحاور ، ويدفع حجج الخصوم ، ويثبت مكانها بكل ما يمكن من قضايا ومقدمات صحيحة ، تارة تستمد من القرآن الكريم وتارة تستمد من العقل نفسه ومعنى ذلك أننا بأذاء شاعر شيعي معتزلي في الوقت نفسه « (٨٠) . وبطلاً كون الكميت شيعياً معتزلياً واضح لأنه « كان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن وكان جديلاً ، وهو أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك » (٨١) .

ثم يتسع الدكتور شوقي ضيف في تناقضه ، حيث يقول : « وهاشميات الكميت ليست مقاله شيعية عامة ، وإنما هي مقاله زيدية . . . ومن هنا كانت نصاً طريفاً لمذهب الزيدية في أول تكوينه » وقد استدل على ذلك بأن الكميت « يقرر عدل أئمة الشيعة وأنهم لا يجورون ولا يظلمون . . . وفي كل مكان من الهاشميات تعقد هذه المقارنة بين عدل الإمام الشيعي وجور الخليفة الأموي ، فإذا قلنا أن الزيدية كانوا يقررون العدل صفة مهمة من صفات الإمام لم نكن مبعدين ، بل كنا محقين ، لأن هذه الصفة في الحقيقة هي الصفة التي دفعت زيداً إلى الخروج على هشام » (٨٢) .

فالدكتور يؤمن بأن أئمة الشيعة قالوا بالعدل وأنه أصل من أصولهم وقولهم بذلك قبل أن يولد زيد بن علي ، مع أن زيداً أحد علماء الشيعة ، وقد أخذ هذا القول عن أبيائه عليهم السلام ، مع أن الكميت قال هاشمياته قبل أن يولد زيد بن علي لأنه ولد قبله بعشرين عاماً ، مع أن

(٨٠) نفس المصدر : ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٨١) محمد عبد المنعم خفاجي : اعلام الأدب - ص ١٣ .

(٨٢) شوقي ضيف : التطور والتجدد في الشعر الأموي - ص

٢٨٥ - ٢٨٦ .

هاشمياته التى يستند عليها الدكتور فى اثبات كون الكميـت زيديا لم يذكر الكميـت فيها زيدا مطلقا (٨٣) . وانما الذى ذكره الكميـت فى هاشمياته عقائد الشيعة فى الامامة وشروطها من الزهد والتقوى والشجاعة والسخاء والعلم بالكتاب والسنـة واتباع هدى الشريـعة والعدل بين الناس عدلا تستـوى فيه الرعـية : الى أـن يقول : وليس فى الهاشـميات بعد ذلك تقرير لرجـعة أو تناـسخ ونحو ذلك مما يؤـمن به بعض غـلة الشـيعة وان فيها مذهب الرـزـيدـية وهو أكثر مذاهب الشـيعة اعتـداـلا (٨٤) .

هـذا وقد خـفى على الدكتور شـوقى ضـيف ، أـن جـميع الشـيعة يذهبون الى ما ذـهـبـاـ اليـهـ الكـميـت ، بالاضـافـةـ الىـ ذلكـ أنـ ظـهـورـ المـعـتـلـةـ وـاعـتـزاـلـهـمـ كانـ بـسـبـبـ مـسـأـلـةـ مـرـتكـبـىـ الـكـبـيـرـةـ ، وـهـذـهـ المـسـأـلـةـ كـانـتـ مـتأـخـرـةـ عنـ مـسـائـلـ عـلـمـ الـكـلـامـ كـالـعـدـلـ وـحـرـيـةـ الـإـرـادـةـ ، وـعـلـىـ هـذـاـ فـعـلـمـ الـكـلـامـ سـبـقـ ظـهـورـهـ ظـهـورـ المـعـتـلـةـ بـفـتـرـةـ غـيرـ قـصـيرـةـ عـلـىـ أـيـدـىـ الشـيـعـةـ ، وـفـىـ ذـلـكـ يـقـولـ الدـكـتـورـ فـيـصـلـ بـدـيرـ عـوـنـ : «ـ تـعـدـ الشـيـعـةـ مـنـ أـقـدـمـ الـفـرـقـ الـكـلـامـيـةـ وـأـهـمـهـاـ »(٨ـ٥ـ) . «ـ وـمـتـبـعـ لـنـشـأـةـ الـفـرـقـ يـجـدـ أـنـ الشـيـعـةـ أـقـدـمـ الـفـرـقـ الـاسـلـامـيـةـ سـوـاءـ مـنـ النـاحـيـةـ السـيـاسـيـةـ أـوـ الـكـلـامـيـةـ »(٨ـ٦ـ) .

وـقـدـ أـرـسـىـ أـئـمـةـ الشـيـعـةـ وـعـلـمـاؤـهـمـ أـصـحـولـ عـلـمـ الـكـلـامـ ، وـنـضـجـتـ قـوـانـينـهـ فـىـ عـصـرـ الـإـمـامـ عـلـىـ بـنـ الـحـسـينـ وـمـحـمـدـ الـبـاقـرـ ، حـتـىـ تـمـتـ جـمـيعـ مـقـومـاتـهـ فـىـ عـهـدـ الصـادـقـ ، وـفـىـ ذـلـكـ يـقـولـ الدـكـتـورـ أـحـمـدـ صـبـحـىـ : «ـ وـهـكـذـاـ كـانـ عـصـرـ

(٨٣) المـصـدرـ السـابـقـ : صـ ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٨٤) نفسـ المـصـدرـ : صـ ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٨٥، ٨٦) فـيـصـلـ بـدـيرـ عـوـنـ : عـلـمـ الـكـلـامـ وـمـارـسـهـ - صـ ٧٠ -

٩٨

الصادق حافلاً بمتكلمي الشيعة الائتني عشرية الذين لهم الفضل ليس فقط في صياغة العقيدة الشيعية صياغة كلامية ، وإنما في وضع أسس علم النظريات السياسية في الإسلام باعتبارهم أول من فتق الكلام في الإمامة ، ثم تابعهم بعد ذلك على مدى العصور متكلمون كثيرون للشيعة ظهرهم آل نوبخت ٠٠٠ « (٨٧) ٠

وقال ابن النديم : « أول من تكلم في مذهب الإمامية على بن اسماعيل بن ميثم التمار وميثم من جلة أصحاب على رضي الله عنه ولعلى من الكتب : كتاب الإمامة » (٨٨) ٠ يقول السيد حسن الصدر « قلت قد تقدم عليه - أى على على بن اسماعيل ٠٠٠ عيسى بن روضة بكثير والكميت بأكثر ٠٠٠ فهو من أئمة علم الكلام من الشيعة لا أول من تكلم في الإمامة منهم » (٨٩) ٠

يقول آل كاشف الغطاء : « وأول من تكلم في علم الكلام أبو هاشم بن محمد بن الحنفية وألف فيه كتاباً جليلاً ، ثم عيسى بن روضة التابعي الذي بقى إلى أيام أبي جعفر وهو ما أسبق من واصل بن عطاء وأبي حنيفة الذي زعم السيوطي أنهما أول من صنف في الكلام ، ثم تلاهما من أعلام الشيعة في علم الكلام قيس المأصر ، ومحمد بن علي الأحول المعروف عندنا بمؤمن الطاق وعند غيرنا بشيطان الطاق » (٩٠) ٠

ومؤمن الطاق لقى الإمام على بن الحسين وتتلذد على

٠٨٧) أحمد محمود صبحي : نظرية الإمامة - ص ٥١ - ٥٢ ٠

٠٨٨) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٦٣ ٠

٠٨٩) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٨٤ ٠

٠٩٠) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة : ص ٢٧ ٠

يده ، يقول ابن النديم : « وقيل إنما سمي شيطان الطاق لأنه كان يتصرف ويشهد الدنانير فلما هاج قوم في دينار جربوه وبهرجه هو فأصاب وأخطأوا وألزمهم الحجة ٠٠٠ وكان حسن الاعتقاد والهوى حاذقا في صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب »^(٩١) . ولمؤمن الطاق من الكتب : كتاب الأمامة ، كتاب المعرفة كتاب الرد على المعتزلة في امامية المفضول^(٩٢) .

ومن مشاهير علماء الكلام من الشيعة في القرن الأول الهجري كميل بن زياد نزيل الكوفة تخرج على يد على بن أبي طالب في العلوم ، فقتلته الحاجاج بالكوفة سنة ثلاثة وثمانين تقريباً^(٩٣) . وسليم بالتصغير بن قيس الهلالي التابعى طلبه الحاجاج أشد الطلب وقد ذكره ابن النديم من فقهاء الشيعة وعلمائهم ومن أصحاب على بن أبي طالب ، وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي^(٩٤) . والحارث الأعور الهمданى صاحب المناظرات في الأصول أخذ عن على بن أبي طالب وتخرج عليه ومات سنة خمس وستين للهجرة^(٩٥) . ومنهم هشام بن الحكم « الذى فتق الكلام في الأمامة وهذب المذهب . وسهل طريق الحاجاج وكان حاذقاً بصناعة الكلام »^(٩٦) . ويقول المسعودي عنه « شيخ الامامية في وقته وكبير الصنعة في عصره »^(٩٧) .

(٩١) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٥٨ .

(٩٢) المصدر السابق : ص ٢٦٤ .

(٩٣) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٨٥ .

(٩٤) ابن النديم : الفهرست - ص ٣٢١ .

(٩٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٨٥ -

. ٨٦

(٩٦) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٢١ - ٢٥٧ .

(٩٧) المسعودي : مروج الذهب - ج ٢ - ص ٣٨٠ .

ومما تقدم يظهر أن علم الكلام كان صنعة له قوانينه وطرقه الخاصة منذ النصف الثاني من القرن الأول للهجرة . وأن هذه القوانين أوجدها الأئمة من آل البيت عليهم السلام وشيعتهم ولهذا يظهر بطلان ما ذهب إليه المستشرق آدم متنز في قوله : « ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم » (٩٨) . وهذا القول يدل على مدى تشویه الحقائق التاريخية من قبل بعض المستشرقين ظنا منهم بأن ذلك ينطوي على الباحثين . وهذا ما درج عليه بعض الباحثين تقليدا لهؤلاء من دون فحص أو تمحيص .

يقول الدكتور أحمد صبحى : « متكلمو الشيعة وفقهاهم اذن هم الذين يرجع لهم الفضل في هذا الموضوع لا في الاسلام فحسب ، بل في جميع الديانات ، ولست أعني بذلك أن أسجل لهم هذه الأصلة في البحث والطرافة في التفكير بقدر ما أريد أن أحري العوامل التي هيأت لهم اذن يصدر البحث في العصمة ٠٠٠ من بين كتابهم دون أن يسبقهم إلى ذلك أحد » (٩٩) . وأما مسائل علم الكلام وقضاياها فان الشيعة أول من فتح باب الجدل والنقاش والمناظرة وتبعهم بعد ذلك مفکرو الاسلام (١٠٠) .

اذن فإذا كان للشيعة فضل السابق في مباحثات علم الكلام ، فما هي آثارهم التي خلفوها في الفكر الاسلامي ، ومن الذي تأثر بهذه الآراء والافكار ؟ وما القضايا التي تأثر بها مفکرو الاسلام ؟

(٩٨) آدم متن : الحضارة الاسلامية - ج ١ - ص ١٠٦ .

(٩٩) احمد محمود صبحى : نظرية الامامة - ص ١٢٤ .

(١٠٠) المصدر السابق : ص ١٦٠ . وأيضا الشهريستاني الملل والنحل - ج ١ - ص ٤٩ .

ان أول من تأثر بآراء الشيعة الكلامية وتتلمذ على
أيدي علمائهم هم المعتزلة . فقد أجمعوا المصادر على أن
واصل بن عطاء مؤسس مدرسة الاعتزاز تلّمذ على أبي
هاشم الحسن بن محمد بن الحنفيه بن على بن أبي طالب .
فواصل بن عطاء أخذ علم الكلام عن مدرسة أهل
البيت (١٠١) . يقول طاش كبرى زاده : « وأول ما ظهر
مذهب الاعتزاز وشاع إنما ظهر من وصال بن عطاء أخذ
الاعتزاز عن الإمام أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيه
بن على بن أبي طالب قيل كان أول من أحدث مذهب
الاعتزاز واخترعه كان الإمام أبو هاشم المذكور وأخوه
الإمام الحسن بن محمد بن الحنفيه » (١٠٢) .

اما أبو عثمان عمرو بن عبيد فقد أخذ علم الأصول
أولاً عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفيه ثم آخراً عن وصال
بن عطاء » (١٠٣) .

يقول الدكتور محمد عماره : « لقد نشأ وصال في
المدينة في بيت محمد بن على بن أبي طالب ... وكان
مولى لهم ، وتعلم مع أبي هاشم في المكتب ... كما أخذ
عنه العلم الذي أخذه أبو هاشم عن أبيه ... » (١٠٤) .
اذن فالمعزلة قد نسبت من بيت عربي قرشي هاشمي ، هو
بيت محمد بن الحنفيه ، وأخذ وصال بن عطاء عن أبي
هاشم ، حتى قال عنه القاضي عبد الجبار : « لقد كان وصال

(١٠١) زهدى جار الله : المعتزلة - ص ١٣ . وأيضاً ابن أبي
الحديد - شرح نهج البلاغة - ج ١ ص ٦ .

(١٠٢) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ٢ - ص ٢٣ .

(١٠٣) المصدر السابق : ص ٣٥ .

(١٠٤) محمد عماره : الإسلام وفلسفة الحكم - ص ٦٩١ . وأيضاً
أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : وصال بن عطاء - ص ٤٤ .

كتابا صنعته أبو هاشم (١٠٥) . « ونبعت هذه الدعوة من هذا البيت العربي فتلقها جيل من الموالى (١٠٦) .

يقول محمد أبو زهرة : « وهنا نجد من الأخبار ما يذكر أن علماء آل البيت تكلموا في العقائد ، وكانوا قريبين مما قاله وأصل بن عطاء ، بل أنا نجد من يقول أن وأصلا تلقى عقيدة الاعتزاز عن آل البيت ، فقد كانوا على علم به ٠٠٠ (١٠٧) . وهذا خلط بين التشيع والاعتزاز ، فإن آل البيت لم يدعوا إلى الاعتزاز ، وإنما كانوا يدعون إلى عقيدة الإسلام ، وأخذ وأصل هذه العقيدة عنهم ، ولكنه خالفهم في قضايا كلامية أخرى ٠

ويقول أيضا : « وليس عندنا ما يكذب هذا ، بل عندنا ما يزكيه فإن مذهب المعتزلة هو في الجملة مذهب الزيدية في العقائد ، ومذهب الاثنى عشرية في الجملة ، ويغلب على الظن لذلك أن هذا كان مذهب السلف من آل البيت ، إذ كانوا قد خاضوا في أصول الاعتقاد ، ودخلوا في هذه الحومة (١٠٨) . وهذا دليل على تأصيلهم وتأسيسهم لعلم العقائد وهو علم الكلام ٠

وأما النظام فقد كان تلميذا لهشام بن الحكم ، كما أن أبي الحسين البصري المعتزلي أخذ أو مال إلى هشام بن الحكم أيضا كما يقول الشهريستاني : والرجل فلسفى ، إلا أنه روج كلامه على المعتزلة في معرض الكلام فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب (١٠٩) . ويقول أيضا :

(١٠٥) محمد عماره : الإسلام وفلسفة الحكم - ص ٢٠٦
وأيضاً أحمد محمود صبحي : في علم الكلام - ص ١٩٣ ٠

(١٠٦) محمد عماره : المصدر السابق - ص ٢٠٦ ٠

(١٠٧) محمد أبو زهرة : الإمام زيد - ص ٤١ ٠

(١٠٨) المصدر السابق : ص ٤١ ٠

(١٠٩) الشهريستاني : الملل والنحل - ج ٢ - ص ٨٥ . وأيضاً
أحمد محمود صبحي : في علم الكلام - ص ٢٣٥ ٠

« وهذا هشام بن الحكم ٠٠٠ لا يجوز أن يغفل عن الزماماته على المعتزلة ، فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصم ، ودون ما يظهر من التشبيه ، وذلك أنه ألم الزم العلاف ٠٠٠ » (١١٠) . ولهذا يقول الدكتور أحمد صبحى : « أنه قد تأثر بالشيعة الإمامية - إى النظام - وبمتكلميهم مثل هشام بن الحكم » (١١١) .

وأما مسألة الإمامه ، والتى تعتبر من أهم مسائل علم الكلام ، فان تلاميذ الإمام الصادق ، هم الذين فتقوا الكلام فيها ، يقول الدكتور أحمد صبحى : « وأهم تلاميذ الصادق فى علم الكلام عامة والإمامه خاصة هشام بن الحكم وزراره بن أعين ، أما الأول فهو أول من فتق الكلام فى الإمامه وهذب المذهب بالنظر ، وصفه الرشيد بقوله : ان صارم مقوله فى الدفاع عن الإمامه أمضى من مائة ألف سيف ، وقد حاور الزنادقة وأصحاب الديانات كما حاور المعتزلة وخصوص المذهب ٠٠٠ اذ كان يحظى برضا الصادق اذ قال له لا تزال يا هشام مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ودعنا له الصادق فما قهره أحد بعد فى التوحيد » (١١٢) . ولهذا حاول البعض التنقص من شخصية هشام بن الحكم ، فيرميه بالتجسيم .

ومبحث الإمامة من المباحث المستحدثة التي استحدثتها الشيعة ، وقد تأثر أهل السنة بالشيعة في مصطلحات هذا العلم وموضوعاته ، على أن استحداث الشيعة لهذا العلم وتأثر أهل السنة بمصطلحاتهم لا يعني تماثل مفهوم الإمامة لدى الفريقين (١١٣) . « فكان للشيعة فضل السبق الى

(١١٠) الشهيرستانى : الملل والنحل - ج ١ - ص ١٨٥ .

(١١١) أحمد محمود صبحى : في علم الكلام - ص ٢٥٥ .

(١١٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الإمامه - ص ٢٧٢ .

(١١٣) المصدر السابق : ص ٢٤ .

البحث في النظريات السياسية في الفكر الإسلامي ٠٠٠
كما يقول الدكتور أحمد صبحي (١١٤) ٠

يقول الدكتور عماره : « فالذين دونوا هذه الأحاديث قد دونوها في عصر شاع فيه مصطلح « الإمام » ، واستخدمه الفكر الإسلامي والمفكرون المسلمين عامه لرئيس الدولة ، ورأس الأمة ، تبعاً وتائراً بمباحث الشيعة في هذا المجال ٠٠٠ » (١١٥) ٠ وفي ذلك يقول جولد تسهير : « ومن الطبيعي لا تخلي هذه الكتب - العقائدية للشيعة - والأبحاث من الموضوعات الخاصة بنظرية الامامة وعصمة الامام ، ولكن يجب الا نغفل أنه في هذه النقطة الأخيرة يتفق النظام أحد اساطير المعتزلة مع الشيعة فيما ذهبوا اليه فيها » (١١٦) ٠ ولهذا يقول الدكتور احمد شلبي : « ومن الموضوعات التي طرقتها علم الكلام موضوع عصمة الانبياء ، وقد اتبع علماء هذا اتجاه الشيعة » (١١٧) ٠

وهناك قضايا كثيرة من قضايا علم الكلام التي أسسها متكلمو الشيعة وأخذها عنهم مفکرو الاسلام ، كنظريّة الجزء والروائع والطعوم والألوان (١١٨) ، وفي العصمة حيث يذكر دونلسن : أن فكرة عصمة الانبياء في الاسلام مدينة في أصلها وأهميتها التي بلغتها بعدئذ الى تطور علم الكلام عند الشيعة وأنهم أول من تطرق الى بحث هذه العقيدة (١١٩) ٠

(١١٤) نفس المصدر : ص ٢٥ ٠

(١١٥) محمد عماره : الاسلام وفلسفه الحكم - من ٣٤ ٠

(١١٦) جولد تسهير : المقيدة والشريعة - ص ١٩٩ ٠

(١١٧) احمد شلبي : تاريخ المناهج الاسلامية - ص ٧٩ ٠

(١١٨) البغدادي : الفرق بين الفرق - من ٦٨ - ١٢١ ٠ وايضاً الشهيرستانى : الملل والنحل - ج ١ - من ٥٦ ٠

(١١٩) دونلسن : عقيدة الشيعة - ص ٣٢٨ ٠ وايضاً احمد صبحى : نظرية الامامة - ص ١٣٤ ٠

من هذا العرض يظهر لنا مبالغة الدكتور محمد عماره وغيره في قوله : « على يد المعتزلة كانت نشأة علم الكلام ، وهو العلم الذي عبر عن أصلالة هذه الأمة وذاتيتها ، فلم يكن تقليداً للفلسفة اليونانية وترديداً لقوماتها ولا يستطيع أحد أن ينمازء من أن نشأة هذا العلم كانت من ابداع المعتزلة (١٢٠) » . وبطان هذا القول يظهر مما تقدم :

ويظهر التناقض في قول الدكتور عمار « وللبرهنة على أن المعتزلة وحدهم كانوا المؤهلين لمناقشة خصوم الإسلام ، وافحامهم تروى قصة وقعت أحدها في عهد الرشيد ، وكان قد سجن أئمة المعتزلة لميول علوية خشى مغبتها . فقد كتب إليه ملك السند يعيّب عليه الإسلام ٠٠٠ فأمر الرشيد باحضار سجناء المعتزلة وعرض عليهم مسألة السمني ، فأجابه شاب منهم عنها ٠٠٠ (١٢١) » .

وهذه القصة تثبت أن الذين كانوا في سجن الرشيد هم علماء الشيعة ومتكلموهم ، وذلك في قوله : « وكان قد سجن أئمة المعتزلة لميول علوية خشى مغبتها » مع أن الرشيد كان يخشى من الشيعة لكثرتهم والتفافهم حول أهل البيت ، بالإضافة إلى أن المعتزلة لم يبلغوا في عهد الرشيد تلك الكثرة بحيث يخشى مغبتهم ، مع أن أئمة المعتزلة في ذلك الوقت كانوا من القلة بحيث يشار إليهم بالبنان ، فكان اللازم ، أن يذكر واحداً منهم . وهذا دليل على أن الذين كانوا يتصدرون للإجابة عن كل القضايا الفكرية هم متكلمو الشيعة . وللهذا قربهم المؤمنون إليه ، يقول ياقوت : « على بن الهيثم الكاتب ، كان متكلماً شيعياً ، وكان يحضر للمناقشات في مجلس المؤمن ، وكان من

(١٢٠) محمد عماره : الإسلام وفلسفة الحكم - ص ٢٤٠ .

(١٢١) نفس المصدر : ص ٢٤٣ .

المقربين له «١٢٢» ، «وكان ٠٠٠ يستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفل بشاعر ولا بخطيب» «١٢٣» .

ويضرب الباحث مثلاً على ذلك لأحد شعراء الشيعة ، وليس من متكلميهم ما نقله ياقوت في معجم الأدباء ، وقد ناظر المعتزلة والأشاعرة ، قال الحال : ومن مجونه - أى الناشيء - في المناظرات وغيرها : أنه ناظر أبا الحسن على بن عيسى الرمانى في مسألة فانقطع الرمانى وقال : أعاود النظر ، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة ، فان ثبت الحق معك وافقتك عليه ، ٠٠٠ ودخل أبو الحسن علي بن كعب الانصاري أحد المعتزلة فقال : في أى شيء أنت يا أبا الحسين ؟ فقال : في ثيابنا ، فقال دعنا من مجونك وأعد المسألة ، فلعلنا أن ندرج فيها ، فقال : كيف تدرج وحرائك رطب ؟ ومنه حكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال : ما هذا يا أبا الحسين ، فقال : هذا فعل الله بك ، فلم تغضب مني ؟ فقال ما فعله غيرك ، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة ، فقال : ناقضت ، أن قمت على مذهبك فهو فعل الله ، وإن انتقضت فخذ العرض ، فانقطع المجلس ٠٠٠ «١٢٤» ولهذا عقد ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ بابا خاصا في كتابه عيون الأخبار في الرد على الملحدين ، وكان المتصدى في ذلك هو هشام بن الحكم الشيعي ، وليس للمعتزلة عين ولا أثر ولم ينقل عن واحد من متكلميهم أنه ناظر ملحدا أو زنديقا ، ولا شك أن ابن قتيبة أعرف من الدكتور محمد عمارة بالذين كانوا يتصدرون لرد شبكات الملاحدة والزنادقة لقرب عهده منهم «١٢٥» .

١٢٢) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٥ - ص ١٤١ .

١٢٣) الجاحظ : البيان والتبيين - ج ١ - ص ١٣١ - ١٣٢ : ٠

١٢٤) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٢ - ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٠

١٢٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ - ص ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ٠

ويبدو مما تقدم ، أن الشيعة هم أول من أسس علم الكلام ، فهو من مبتكراتهم الفكرية ، وقد أخذوا ذلك عن آئتهم من أهل البيت ، وعلى رأسهم على بن أبي طالب حتى استقر في أيام الإمام الصادق في أوائل القرن الثاني الهجري . وقد تأثر مفكرو الإسلام بهذا العلم وكانوا تلاميذ لهم فيه ، حتى نفذ ما عند المعتزلة لعدم صمودهم في وجه مفكري الشيعة فمالوا إلى التشيع وأخذوا بأرائهم، وذلك « بسبب تشيع معتزلة بغداد » (١٢٦) .

ومما يؤيد ، كون علم الكلام كان صناعة في زمن الأمام علي بن الحسين وولده محمد الباقر وحفيده جعفر الصادق ما جاء في الكافي للكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية عن يونس بن يعقوب قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، فورد عليه رجل من أهل الشام فقال اني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض ، وقد جئت لمناظرة أصحابك ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من عندك ؟ فقال : من كلام رسول الله (ص) ومن عندى ، فقال أبو عبد الله (ع) : فأنت اذن شريك رسول الله ؟ قال : لا ، قال : فسمعت الوحي عن الله عز وجل يخبرك ؟ قال : لا ، قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله (ص) ؟ قال : لا ، فالتفت أبو عبد الله (ع) إلى فقال : يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم ، ثم قال : يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلته ، قال يونس ٠٠٠ ثم قال لي : اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله ؟ قال : فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام ، وأدخلت الأحوال وكان يحسن الكلام وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام ، وأدخلت قيس بن الماسر ، وكان عندى أحسنهم كلاما ، وكان قد تعلم

(١٢٦) أحمد محمود صبحي : في علم الكلام - ص ٢٨٧

الكلام من على بن الحسين عليه السلام ، فلما استقر بنا المجلس . . . قال : فأخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخب فقال : هشام ورب الكعبة ، قال : فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة له . قال : فورد هشام بن الحكم وهو أول ما أختطفت لحيته ، وليس فيينا إلا من هو أكبر سننا منه ، قال : فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه ويديه ، ثم قال : يا حمران كلام الرجل ، فكلمه فظهر عليه الأحوال – أى الطاقي – ثم قال : يا هشام بن سالم كلامه ، فتعارفا ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر : كلامه فكلمه فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي .

فقال للشامي : كلام هذا الغلام – يعني هشام بن الحكم – فقال : نعم ، فقال لهشام : يا غلام سلن في امامه هذا ، فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي : يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم ؟ فقال الشامي : بل ربى أنظر لخلقه ، قال : فعل بنظره لهم ماذما ؟ قال ، أقام لهم حجة ودليلاً كيلاً يتشتتوا أو يختلفوا ، يتآلفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بغرض ربهم ، قال : فمن هو ؟ قال رسول الله (ص) ، قال هشام : فبعد رسول الله (ص) ؟ قال : الكتاب والسنة ، قال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا ؟ قال الشامي : نعم ، قال : فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت علينا من الشام في مخالفتنا ايها ؟ قال : فسكت الشامي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي : مالك لا تتكلم ؟ قال الشامي ان قلت : لم نختلف كذبت وإن قلت : إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت ، لأنهما يحتملان الوجوه وإن قلت : قد اختلفنا وكل واحد منا يدعى الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة إلا أن

لی علیه هذه الحجة ، فقال أبو عبد الله عليه السلام :
سله تجده مليا .

فقال الشامى : يا هذا من أنظر للخلق أربهم أو
أنفسهم ؟ فقال هشام : ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم ، فقال
الشامى : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أولهم
ويخبرهم بحقهم من باطلهم ؟ قال هشام : في وقت رسول
الله (ص) أو الساعة ؟ قال الشامى : في وقت رسول الله
(ص) والساعة من ؟ فقال هشام : هذا التاعد الذى تشد
إليه الرحال . ويخبرنا بأخبار السماء (والأرض) وراثة
عن أب عن جد ، قال الشامى : فكيف لى أن أعلم ذلك ، قال
هشام : سله عما بدا لك ، قال الشامى ، قطعت عذرى فعلى
السؤال ٠٠٠ « ١٢٧ ٠)

(١٢٧) الكليني : الكافى - ج ١ - ص ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ .

٢ - علم النحو ومدارسه

أولاً - تأسيس الشيعة لعلم النحو :

ومن العلوم التي أسسها الشيعة ، وكان لهم السبق في ذلك ، علم النحو ، فقد أجمع الرواة وال نحويون ، أن أول من وضع علم النحو أبو الأسود الدؤلي أخذه عن الإمام على بن أبي طالب ، ونما هذا العلم وتكونت مدارسه على أيدي الشيعة .

يقول ابن الأنباري : « اعلم ٠٠٠ ان أول من وضع علم العربية ، وأسس قواعده ، وحد حدوده ، أمير المؤمنين على بن أبي طالب (رضي) وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي »^(١) . ولهذا يقول القبطى : « الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه . قال أبو الأسود الدؤلي رحمة الله : دخلت على أمير المؤمنين - على - عليه السلام . فرأيته مطرقاً مفكراً ، فقلت : غيم تفكري يا أمير المؤمنين ؟ فقال سمعت بيلدكم لحنا ، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية ، فقلت له : إن فعلت هذا أبقيت فيما هذه اللغة العربية ، ثم أتيته بعد أيام ، فألقى إلى صحفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . الكلام كله أسم و فعل و حرف ٠٠٠ »^(٢) . يقول القبطى : « ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو ، يجمعون على أنها مقدمة على بن أبي طالب التي أخذها عنه

(١) ابن الأنباري : نزهة الالباء في طبقات الادباء - ص ٤ .

(٢) القبطى : انباء الرواة على انباء النحاة - ج ١ - ص ٤ .

ويقول السيوطي : « ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي ، وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب » (٤) ٠٠٠ ولهذا يقول طاش كبرى زاده : « ٠٠٠ ان أول من وضع النحو كان من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رأيا وأسدتهم عقلا شيعيا شاعرا سريعا في الجواب ثقة في حديثه ٠٠٠ » (٥) ٠ قال محمد بن اسحاق : « ٠٠٠ زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وأن أبي الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام ٠٠٠ » (٦) ٠ ولهذا قال المبرد : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي » (٧) ٠ وقال أيضا : « أجمعوا العلماء باللغة أن أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي وأنه لقن ذلك عن على بن أبي طالب (رضي) » (٨) ٠ وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال : « أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ، ثم ميمون الاقرن ٠٠٠ » (٩) ٠

يقول ابن أبي الحميد : « ومن العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها : الكلام كله ثلاثة أشياء : أسم و فعل و حرف ٠٠ وهذا يكاد يلحق بالعجزات ، لأن القوة البشرية لا تقوى

(٣) نفس المصدر : ص ٥ ٠

(٤) السيوطي : المزهر - ج ٢ - ص ٣٩٧ ٠

(٥) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ١٢٥ ٠

(٦) ابن النديم : الفهرست - ص ٦٥ ٠

(٧) ياقوت معجم الادباء - ج ١٦ - ص ١٤٧ ٠

(٨) ابن خلkan : وفيات الاعيان - ج ٥ - ص ٤٣٥ ٠

(٩) المصدر السابق : ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ٠

بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط «(١٠) .

يقول ابن قتيبة في وصفه لابن الأسود الدؤلي : « وهو يعد من الشعراء ، والتابعين ، والمحدثين ، والبخلاء ، والمفاسير ، والنحوين ، لأنه أول من عمل في النحو كتابا ٠٠٠ » (١١) . وللهذا قال ابن سالم الجمحي : « أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلاها ، ووضع قياسها ، أبو الأسود الدؤلي ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ٠٠٠ وكان رجل أهل البصرة ، وكان علوى الرأى » (١٢) .

وفي المقدمة لابن خلدون : « وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بنى كلناه ، ويقال باشارة على (رضي) لأنه رأى تغير الملة فشار عليه بحفظها ، ففرغ إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة ثم كتب فيها الناس من بعده ٠٠٠ » (١٣) . وفي ذلك يقول كارل بروكلمان : « أن آبا الأسود أول من وضع أبواب النحو ، ومن ثم كتب اللغوى المشهور أبو الفتح بن جنى ٠٠٠ » (١٤) .

ويقول أحمد أمين : « وقد اختلف المؤلفون الأقدمون أنفسهم في التعبير عما فعله أبو الأسود : فقال بعضهم أنه أول من وضع النحو كما رأيت ، وعبر بعضهم تعبيراً أدق ، فقال ابن قتيبة في كتابه المعارف : « أول من وضع العربية أبو الأسود ، وقال ابن حجر في الاصابة : « أول من نقط

(١٠) ابن أبي الحديد : نهج البلاغة - ج ١ - ص ٢٠ .

(١١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء - ج ٢ - ص ٧٢٢ .

(١٢) القسطنطى : انبات الرواة - ج ١ - ص ١٤ .

(١٣) ابن خلدون : المقدمة - ص ٥٤٦ - ٥٤٧ .

(١٤) ابن خلدون : المقدمة - ص ٥٤٦ - ٥٤٧ .

(١٤) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ص ١٧٢ .

ويظهر مما قدمناه أن الأجماع قائم على أن الواضع الحقيقي لعلم النحو هو أبو الأسود الدؤلي ، بتلقين من الإمام على بن أبي طالب عليه السلام ، والمستقرىء لما كتبه علماء المسلمين من غير الشيعة وغيرهم ، يجد هذه الحقيقة واضحة لا غبار عليها ، ومع ذلك ، فإن البعض يحاول انكار ما ثبت بالتواتر(١٦) . كانكاره للبدويهيات ، ولهذا يحاول هذا البعض أن ينسب ذلك إلى الشيعة ، متجاهلاً أو متناسياً أن ذلك مما جاء في مصادر غير شيعية كما مر .

يقول الدكتور شوقي ضيف : « وقد تقدّم الروايات في الواضع الأول للنحو عند أبي الأسود . . . وقد يكون ذلك من صنع الشيعة ، وكأنهم رأوا أن يضيفوا النحو إلى شيعي قدّيم »(١٧) . والباحث الخبير يجد أن هذا مجرد قول لا سند له ، وكل ما كان خالياً عن السنّد فهو ساقط عن الاعتبار . فالدكتور شوقي ضيف يحاول أن يسند ذلك إلى الشيعة ، مع أن جميع الروايات المتقدمة تدل دلالة قاطعة على أن الواضع الأول هو أبو الأسود الدؤلي باعتراف علماء أهل السنة ورواتهم .

والغريب من الدكتور شوقي ضيف أن يرى هذا الرأي المخالف والمناقض لما ينقله هو بنفسه في قوله : « وقد يشرك بعض الرواية معه في هذا الصنف تلميذه نصر بن عاصم وأبن هرمز ، اذ يقول الزبيدي : « أول من أصل النحو وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ونصر

(١٥) أحمد أمين : فجر الإسلام - ج ٢ - ص ٢٨٧ .

(١٦) يقول السيوطى فى الزهر ج ٢ ص ٣٤٥ : « فقد توافت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية . . . » .

(١٧) شوقي ضيف : المدارس النحوية - ص ١٤ - ١٥ .

بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ٠٠٠ «(١٨) ٠ مع أن نصر بن عاصم وابن هرمز تلمنا على يد أبي الأسود كما سوف يتضح ، ولهذا يقول ابن الأنباري عن نصر بن عاصم : « قرأ القرآن أيضاً على أبي الأسود ، وقرأ أبو الأسود على على (رضي) فكان استاذه في القراءة والنحو » (١٩) ٠ ويقول القفطي : « وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتحصي أن أول من وضع النحو على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي ، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم ٠٠٠ » (٢٠) ٠ وأنت خبير بأن هؤلاء لا ينتسبون إلى الشيعة ، ولكن الامانة العلمية جعلتهم ينطقون بالواقع ، ويثبتون الصحيح ، لئلا يؤخذوا على ما سجلوه في كتبهم ٠ وهذا ما سوف يتضح من المناقضات التي كان من المفروض لا يقع فيها مثل الدكتور شوقي ضيف وغيره من الباحثين ٠

ثانياً - الشيعة والمدارس النحوية :

أما المدارس النحوية التي وجدت في الإسلام ، فكان روادها والمؤسسون لها هم الشيعة أيضاً ، وهذه المدارس هي : مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، ومدرسة بغداد التي مزجت بين المدرستين ٠ وسوف نعرض لهذه المدارس والعلماء الذين أسسواها ٠

١ - مدرسة البصرة النحوية :

تعتبر مدرسة البصرة من أقدم المدارس النحوية في الإسلام ٠ « وكان أبو الأسود أول من وضع أساس مدرسة البصرة التي تعتبر أقدم من مدرسة الكوفة وأشهر

(١٨) المصدر السابق : ص ١٦ ٠

(١٩) ابن الأنباري نزهة الآباء - ص ١٤ ٠

(٢٠) القفطي : انباه الرواة - ج ١ - ص ٧٠٦ ٠

منها «(٢١) . وقد «بدأت المدارس اللغوية والنحوية تتكون وتنشط منذ عصر أبي الأسود الدؤلي . وقد تلمند عليه من الرعيل الأول من اللغويين والنحويين عنبرة الفيل، وميمون القرن، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز» (٢٢) . ولهذا «٠٠٠ كان الرائد الأول في الدراسات اللغوية والنحوية باعتراف الجميع هو أبو الأسود الدؤلي» (٢٣) . وفي ذلك يقول السيوطي : «واختلف الناس إلى أبي الأسود يتعلمون العربية ، وفرع لهم ما كان أصله ، فأخذ ذلك عنه جماعة ٠٠٠» (٢٤) . يقول ابن الأنباري : «وأخذ عن أبي الأسود عنبرة الفيل ، وميمون القرن ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ويحيى العدواني» (٢٥) .

ويروى عن أبي عبيدة معمربن المثنى أنه قال : «اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية ، فكان أربع أصحابه عنبرة بن معدان المهرى واختلف الناس إلى عنبرة ، فكان أربع أصحابه ميمون القرن» (٢٦) .

وهكذا بدأت المدرسة النحوية تتكون على أيدي الشيعة منذ عصر أبي الأسود الدؤلي ، المؤسس الأول لمدرسة النحو في الإسلام ، وقد تلمند عليه الرعيل الأول من اللغويين والنحويين يقول القفطى : «وهذه الطبقة حسب ما حصر الرواية ، ومن أخذ عن أبي الأسود : عنبرة بن

(٢١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢
ص ٣٣٨ .

(٢٢) عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية - ص ٢٨٤
٢٨٥ .

(٢٣) المصدر السابق : ص ٢٩٣ .

(٢٤) السيوطي : المزهر - ج ٢ - ص ٣٩٨ .

(٢٥) ابن الأنباري : نزهة الآباء - ص ١١ .

(٢٦) نفس المصدر : ص ١٣ .

معدان ، وميمون الأقرن ، وعطاء بن أبي الأسود ، وأبو نوبل بن أبي عقرب ، ويحيى بن يعمر ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ونصر بن مزاحم ، وكل هؤلاء أخذوا عن أبي الأسود وتناهوا مقاديرهم في العلم بهذا النوع من العربية «(٢٧)» . وفي ذلك يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « . . . وقد أخذ عنه أقطاب الجيل الأول وهم : يحيى بن يعمر ، وعنترة الفيل ، وميمون الأقرن ، ونصر بن عاصم » (٢٨) .

وإذا أردنا أن نستقصي الحقائق القائلة بأن الواضع لعلم النحو ، والمؤسس لمدرسته هو أبو الأسود ، لما وسعنا هذا المختصر ومن هنا يظهر أن ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف من اشتراك نصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ، في تأصيل علم النحو ، ما هو إلا محض من الخيال والوهم ، وقد يدعا بالمنطقة أن الخيال والوهم من أقسام الجهل . وعلى هذا فالباحث الموضوعي إذا أراد أن يثبت شيئاً أو ينفيه ، لابد وأن يعتمد الدليل الموجب للعلم ، أو الظن الراجح بأدلة معتبرة عند ذوى النظر .

ولم يقتصر عمل أبي الأسود على تأسيس علم النحو وإنشاء مدرسته ، وإنما قام بعمل آخر له من الأهمية الكبرى في تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي وهو اعراب القرآن ، وذلك عن طريق تنقيطه . يقول السيوطي : « وهو أول من نקט المصحف ، قال الجاحظ : أبو الأسود معدود في طبقات الناس ، وهو في كلها مقدم مأثور عنه في جميعها ، معدود في التابعين ، والفقهاء ، والصحابيين ، والشعراء ، والاشراف ، والفرسان ، والأمراء ،

(٢٧) القبطي : انباء الرواة - ج ٢ - ص ٣٨٢ .

(٢٨) عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية - ص ٢٩٣ .

والنحوة ، والحاضرى الجواب ، والشيعة ٠٠٠ «(٢٩) .
وفي ذلك يقول طاش كبرى زاده : « ان أول من نصت
المصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلى » (٣٠) .
ويقول المبرد : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف
أبو الأسود الدؤلى ٠٠٠ » (٣١) .

يقول الدكتور شوقي ضيف : « رأينا البصرة تضع
على يد أبي الأسود الدؤلى نقط الاعراب ، وقد مضى الناس
يأخذونه عن تلاميذه » (٣٢) . « وكان ذلك عملا خطيرا
حقا ، فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن
فيه » (٣٣) . وذلك بفضل الجهد الذى قدمها الشيعة .

أما أول من صنف فى النحو فهو أبو الأسود الدؤلى
أيضا . يقول ابن قتيبة « لأنه أول من عمل فى النحو
كتابا » (٣٤) . والى هذا أشار ابن الأنبارى فى قوله :
« وأول من قام باعراب القرآن أبو الأسود الدؤلى ، حيث
قام بتذكيره ووضع علامات الاعراب على الكلمات ، فابتدا
بالصحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب
إليه بعد ذلك » (٣٥) . ويؤيد ذلك ما جاء فى مقدمة ابن
خلدون : « أول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلى ٠٠٠ » (٣٦) .
وهكذا كان المؤسس الأول لعلم النحو وواضع أصوله
والصنف فيه هم الشيعة .

(٢٩) السيوطى : بغية الوعاة - ج ٢ - ص ٢٢ .

(٣٠) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ٨٠ .

(٣١) ياقوت : معجم الابياء - ج ١٦ - ص ١٤٧ .

(٣٢) شوقي ضيف : المدارس التجوية - ص ١٧ .

(٣٣) نفس المصدر : ص ١٧ .

(٣٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء - ج ٢ - ص ٧٣٣ .

(٣٥) ابن الأنبارى : نزهة الآباء - ص ٩ .

(٣٦) ابن خلدون : المقدمة - ص ٥٤٦ .

وأخذت مدرسة البصرة تزدهر على أيدي الشيعة من تلاميذ أبي الأسود ، ويعتبر عطاء بن أبي الأسود المكمل لمدرسة أبيه النحوية . يقول ابن قتيبة : « فولد - أبا أبو الأسود - عطاء ، وأبا حرب ، وكان « عطاء » و « يحيى بن يعمر العدواني » بعجا العربية بعد أبي الأسود » (٣٧) . وفي ذلك يقول القفطى : « فاما عطاء بن أبي الأسود فقد فتح أبواب العربية وتوسعا في وضع مسائلها بعد أبيه » (٣٨) . إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي الذى يعتبر من أعظم مفكري الإسلام والتى تنتهى إليه امامية مدرسة البصرة ، فهو الذى نفع ما وضعه أبو الأسود وتلاميذه ، وصنف فيه المصنفات الكثيرة ، و « بمثل هذه العناية والاهتمام ضبط النثر العربى وشعره وبلغت الحالة إلى أن العالم الشيعى خليل بن أحمد الفراهيدى البصري ألف فى اللغة كتاب العين ووضع علم العروض لمعرفة الأوزان الشعرية » (٣٩) .

يقول الرحالة عند قدومه البصرة « غير أنى ما أصطفيت منهم لمحادثات الأدب الا الخليل بن أحمد ، لأنى وجدته أوسعهم عقلا وأحضرهم رواية ، لا يساميه فى علو الخاطر الا صالح بن عبد القدس الشاعر ، ولكنى تحاميت مجلسه لما يتهم به من الانحراف عن السنة ، وان كنت لا أبخس عقله حقه من التعظيم » (٤٠) .

يقول السيد حسن الصدر : « وقد نص على تشيع الخليل الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر

(٣٧) ابن قتيبة : المعارف - ص ٤٣٤ .

(٣٨) القفطى : انباء الرواة - ج ١ - ص ٢١ .

(٣٩) محمد حسين الطباطبائى : القرآن فى الاسلام - ص ١١٦ .

(٤٠) جميل نخلة الدور : حضارة الاسلام فى دار الاسلام - ص ٣٠ .

العلامة الحلى فى خلاصة الأقوال ، بل عده فى القسم الأول وهم الامامية الثقة . . . وقال المولى عبد الله أفندي الأصفهانى فى رياض العلماء فكان الخليل على ما قاله الأصحاب من أصحاب الصادق عليه السلام ويروى عنه . . . وله كتاب فى الامامة وذكر فيه جملة من الأدلة على امامية على عليه السلام . . . ومن المقال عنده فى الاستدلال على تقدم على عليه السلام فى الامامة قوله : «استغناؤه عن الكل ، واحتياج الكل اليه دليل انه امام الكل . . . » (٤١) . وقد ذكر كارل بروكلمان كتاب الامامة هذا للخليل بن احمد (٤٢) .

يقول القمي : « والخليل هو ابن احمد بن عمر بن تميم الآزدى البصرى اللغوى العروضى من علماء الامامية ، كان افضل الناس فى الأدب وقوله حجة فيه » (٤٣) .

ويعد الخليل بن احمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ الواضع الحقيقى لعلم النحو فى صورته النهائية . . . فالخليل هو المؤسس الحقيقى لصرح النحو العربى ، بل هو المقيم لقواعد والمشيد لبنيانه وأركانه ، ويظهر منه أنه كان يتقن المنطق وما يتصل به من أقيسه ، كما كان يتقن العلوم الرياضية وهو اتقان جعله يقف على ما يصنعه أصحاب الحساب والرياضيات فى مسائلهم الفرضية لترسخ ملكة هذه العلوم فى عقول الناشئة (٤٤) . ولهذا يقول القبطى : « نحوى لغوى عروضى ، استنبط من العروض وعلمه ما لم

(٤١) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ٦٢ .

(٤٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ج ٢ - ص ١٣٤ .

(٤٣) الشيخ عباس القمي : الكنى والألقاب - ج ١ - ص ٤١٦ .

(٤٤) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى - العصر العباسي الأول - ص ١٢١ - ١٢٢ .

يستخرجه أحد ، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم ... (٤٥) قال أبو الطيب : « وأبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى العين ، واحتراعه لعروض ، وأحدث أنواعا من الشعر ليست من أوزان العرب » (٤٦) .

« وكان عقل الخليل من العقول الخصبة النادرة ، فهو لا يلم بعلم حتى يلتهمه التهاما ، بل حتى يستوعبه ويتمثله وينفذ منه إلى ما يفتح به أبوابه الموصدة ، وحقا ما قاله ابن المفعع فيه من أن عقله كان أكثر من علمه ، وهو عقل جعله يتصل بكل علم ويجوز لنفسه منه كل ما ينبغي من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط دقة تذهل كل من يقف على وضعه لعروض الشعر ورفعه لصرح النحو ورسمه المنهج الذي ألف عليه معجم العين أول معجم في العربية » (٤٧) .

ويقول الزبيدي مؤلف مختصر العين : « أو ليس من العجيب ، والنادر الغريب أن يتوهم علينا من به مسكة من نظر ، أو رمق من فهم تخطئه الخليل في شيء من نظره ، والاعتراض عليه فيما دق أو جل من مذهبة ، والخليل بن أحمد أوحد العصر ، وقريع الدهر ، وجهيدة الأمة ، واستاذ أهل الفطنة ، الذي لم ير نظيره ، ولا عرف في الدنيا عديله ، وهو الذي بسط النحو ... (٤٨) .

وقد أنجبت البصرة فحول النحو من علماء الشيعة ، منهم على سبيل المثال : سعيد بن أوس أبو زيد الانصارى ،

(٤٥) الققطى : انباه الرواة - ج ١ - ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٤٦) السيوطي : المزهر - ج ٢ - ص ٤٠١ .

(٤٧) شوقى ضيف : المدارس النحوية - ص ٣١ .

(٤٨) السيوطي : المزهر - ج ١ - ص ٨٠ .

قال أبو عثمان المازني : « كنا عند أبي زيد فجاء الأصمعي ، فأكب على رأسه وجلس ، وقال : هذا عالمنا ومعلمونا منذ عشر سنين » (٤٩) .

يقول القفطى : « وكان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان عالما بال نحو ٠٠٠ وكان أبو زيد أعلم من الأصمعى ، وأبى عبيدة بال نحو ، وكان يقال له أبو زيد النحو ، وله كتاب فى « تحقيق الهمزة » على مذهب النحويين ، وفي كتبه المصنفة فى اللغة وشواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره » (٥٠) . وكانت له أعظم حلقة تدريس فى البصرة من حلق علمائها (٥١) .

ومن علماء الشيعة النحويين أبو عثمان المازنى بكر بن محمد . قال الزبيدى ، قال : الخشنى المازنى مولى بنى سدوس ، نزل فى بنى مازن بن شيبان ، فنسب اليهم ، وهو من أهل البصرة ، وهو أستاذ المبرد ٠٠٠ وكان اماميا يرى رأى ابن الميثم وكان لا يناظره أحد الا قطعه ، نقدرته على الكلام » (٥٢) . يقول طاش كبرى زاده : « ان أول من دون علم الصرف أبو عثمان بكر بن حبيب المازنى وكان قبل ذلك من درجا فى علم النحو » (٥٣) . وله من الكتب : كتاب فى القرآن كبير ٠٠٠ كتاب تفاسير - كتاب العروض ٠٠٠ كتاب القوافي وغير ذلك من الكتب التى صنفها المازنى (٥٤) . مات سنة تسعة وأربعين ومائتين أو ثمان وأربعين ومائتين ، وذكر

(٤٩) القفطى : انباه الرواة - ج ٢ - ص ٣٢ .

(٥٠) نفس المصدر : ص ٣٣ .

(٥١) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - ص ٣ .

(٥٢) ياقوت : معجم الادباء - ج ٧ - ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٥٣) طاش كبرى زاده : مقتح السعادة - ج ١ - ص ١١٣ .

(٥٤) ياقوت : معجم الادباء - ج ٧ ص ١٢٢ .

ابن واضح : أنه مات سنة ثلاثين ومائتين (٥٥) .

هذه نبذة من علماء الشيعة النحويين على سبيل المثال لا الحصر في مدرسة البصرة النحوية ، حيث كان لهم فضل السبق في تأسيسها ووضع قواعدها ومناهجها، حتى تخرج منها علماء النحو على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم : فالشيعة اذن هم الأساس في اثراء الفكر الإسلامي بهذا العلم (٥٦) .

٢ - مدرسة الكوفة النحوية :

« في الوقت الذي كانت البصرة قد قاربت فيه نهاية الطريق عندما وضع أستاذها الأكبر الخليل بن أحمد « من سنة ١٠٠ هـ إلى سنة ١٦٠ هـ » فكرة المعجم ، وعلم العروض ، وأصول النحو ، كانت الكوفة ما تزال تحبو خلف أستاذها الأول أبي جعفر الرواسي (٥٧) . يقول كارل بروكلمان « إن أبي جعفر ... الرواسي هو الذي أسس مدرسة النحو بالكوفة ، وان الخليل بن أحمد كان معاصرًا له واستفاد من بعض مصنفاته » (٥٨) .

وقد تأسست مدرسة الكوفة النحوية على يد كل من معاذ الهراء وأبي جعفر الرواسي « وقد تخرج الكسائي في أول أمره في مدرسة الكوفة ، حيث تلقى النحو عن الرواسي ، وعن معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ ، وهو عم الرواسي ، وزميله في الاستاذية الأولى لمدرسة

(٥٥) نفس المصدر : ص ١٠٩ .

(٥٦) انظر السيد حسن المصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - ص ٤٠ إلى ص ١٣٧ .

(٥٧) يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة - من ٢٦٢ .

(٥٨) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٢ - ص ١٩٧ .

الكوفة «(٥٩) . وفي ذلك يقول السيوطي : « ۰ ۰ ۰ وأبو جعفر هذا هو أستاذ الكسائى وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو وكان رجلا صالحا وقيل : ان كل ما فى كتاب سيبويه « وقال الكوفى كذا » إنما عنى به الرواسى هذا ، وكتابه يقال له الفيصل . وكان له عم يقال معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوى مشهور وهو أول من وضع التصريف «(٦٠) . « وكانوا هم الذين أخذ الناس عنهم ۰ ۰ ۰ والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أئتهم فى وقتهم «(٦١) . وقد تخرج الكسائى من هذه المدرسة، حيث تتلمذ على يد أبي جعفر الرواسى «(٦٢) ، كما أن الفراء « أكثر من الاختلاف الى حلقة أبي جعفر الرواسى » «(٦٣) .

وفي بغية الوعاة : « محمد بن سارة ، أبو جعفر بن أخ معاذ الرواسى قيل لعظم رأسه ، وهو أول من وضع نحو الكوفيين ۰ ۰ ۰ » «(٦٤) . وفي ذلك يقول ابن التديم : « وهو - أى الرواسى - أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو ، قال ثعلب : كان الرواسى أستاذ الكسائى والفراء «(٦٥) . وقال الزبيدى « كان - أى الرواسى - أستاذ أهل الكوفة فى النحو » «(٦٦) . وفي ذلك يقول ياقوت الحموى : « وسمى الرواسى لكبر رأسه ۰ ۰ ۰ وكان أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو ، ومات

(٥٩) يوسف خليف : المصدر السابق - ص ٢٦٣ .

(٦٠) السيوطي : المزهر - ج ٢ - ص ٤٠٠ .

(٦١) نفس المصدر : ص ٤٠٠ .

(٦٢) شوقى ضيف : المدارس النحوية - ص ١٥٢ .

(٦٣) نفس المصدر : ص ١٩٢ .

(٦٤) السيوطي : بغية الوعاة - ج ١ - ص ١٠٩ . وأيضا ابن الانبارى : نزهة الآباء - ص ٦٧ .

(٦٥) ابن التديم : الفهرست - ص ١٠٢ .

(٦٦) السيوطي : بغية الوعاة - ج ١ - ص ٨٣ .

فى أيام الرشيد ، وكان الرواسى أستاذ على بن حمزة الكسائى والفراء «٦٧) . ويقول ابن دستويه : « زعم ثعلب أن أول من وضع من النحوين الكوفيين فى النحو كتاباً الرواسى ، وتوفي وله من الكتب كتاب الفيصل رواه جماعة ، كتاب التصغير ، كتاب معانى القرآن يروى الى اليوم وكتاب الوقف والابتداء الكبير ، كتاب الوقف والابتداء الصغير «(٦٨) .

يقول ابن الانبارى : «أخذ الكسائى - عن أبي جعفر الرواسى ، ومعاذ المھراء ، وكان أحد أئمة القراء السبعة «(٦٩) . « وكان - معاذ - صديقاً للكمي «(٧٠) . « وكان معاذ شيئاً مات سنة سبع وثمانين ومائة «(٧١) . وفي تذكرة البغوى : معاذ بن مسلم ٠٠٠ روى عن جعفر الصادق ، وله كتب في النحو ٠٠٠ وقد عاش مائة وخمسين سنة «(٧٢) .

يقول ابن خلكان : «أما أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوى ، الكوفى ، قرأ عليه الكسائى وروى عنه ٠٠٠ وصنف في النحو كثيراً ٠٠٠ وكان يتشيع ٠٠٠ «(٧٣) . وقال النجاشى في كتابه فهرست مصنفى الشيعة « محمد بن الحسن بن أبي سارة أبو جعفر مولى الأنصار يعرف بالرواسى ، أصله كوفى سكن هو

٦٧) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٨ - ص ١٢٢ .

٦٨) ابن التdim : الفهرست - ص ١٠٢ .

وياقوت : المصدر السابق - ص ١٢٥ .

٦٩) ابن الانبارى : نزهة الالباء - ص ٦٧ .

٧٠) الققطى : انباه الرواة - ج ٣ - ص ٢٨٨ .

٧١) السيوطى : بقية الوعاة - ج ٢ - ص ٢٩١ .

٧٢) نفس المصدر : ص ٢٩٢ .

٧٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج ٤ - ص ٣٠٥ .

وأبوه قلة النيل روى هو وأبوه عن أبي جعفر الباقر . وأبي عبد الله الصادق عليه السلام ، وعم محمد بن الحسين معاذ بن مسلم الهراء ، من فقه الكسائي علم العربية « (٧٤) » .

وقد ألف الرواسى لתלמידيه كتابا فى النحو سماه الفيصل وعادة تذكر كتب التراجم أولية للنحو الكوفى مجسدة فى أبي جعفر الرواسى (٧٥) . وهكذا كان الشيعة هم نواة مدرسة الكوفة النحوية . وقد تخرج من هذه المدرسة وعلى يد مؤسسيها معاذ بن مسلم الهراء ، وابن أخيه الرواسى – أreatest علماء النحو من الشيعة ، كانوا الأساس فى استقرار علم النحو الكوفى ، يذكر الباحث نبذة منهم على سبيل المثال لا الحصر .

يقول الدكتور يوسف خليف : « وجاء بعد الرواسى تلميذه المشهوران الكسائى المتوفى سنة ١٨٢٠٠٠ والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ ، وهما اللذان دعاهما قواعد مدرسة الكوفة النحوية ورفعا من بنائها (٧٦) . وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف : « إنما يبدأ النحو الكوفى بدءاً حقيقياً بالكسائى وتلميذه الفراء ، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أساسه وأصوله » (٧٧) . وكل منهما كان من الشيعة (٧٨) . والباحث سوف يتعرض للفراء لأهميته فى ارساء دعائم مدرسة الكوفة ، وما قام به من تدريس واملاء على تلاميذه ، يقول الدكتور يوسف

(٧٤) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ٦٤

(٧٥) شوقي ضيف : المدارس النحوية - ص ١٥٢

(٧٦) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - ص ١٠٣

(٧٧) شوقي ضيف : المدارس النحوية - ص ١٥٤

(٧٨) انظر السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ٣٤٧

خليف : « وجاء بعد الكسائي الفراء النحوي الكوفي العظيم الذى ختم به الجيل الأول من نحاة الكوفة الذين ظهروا فى القرن الثانى . . . والفراء زميل الكسائي فى تلمذته على الرواسى ولكنه أيضا تلميذه » (٧٩) .

الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى الأصل الأسدى بأتولاء ، المعروف بالفراء . « وكان بلا شك - أعلم الكوفيين ، جمع الى علم الكوفيين علم البصريين ، ثم هو كبير العقل بجانب سعة الاطلاع ، فهو بحر فى اللغة ، ونسيج وحده فى النحو ، حتى يلقب بأمير المؤمنين فى النحو ، وفقيه عالم باختلاف الفقهاء ، و Maher فى علم النجوم ، وخبير بالطب ، وحاذق فى أيام العرب وأخبارها وأشعارها وهو الى ذلك متكلم . . . » (٨٠) . وحكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال : « لولا الفراء لما كانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها ، ولو لا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعوها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتدهب » (٨١) .

وقد وصفه ثمامنة بن أشرس فقال : « فرأيت أبهة أديب فجلست اليه فناقشه عن اللغة فوجدته بحرا ، وناقشه عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم ، وبالنحو ماهرا ، وبالطب خبيرا وبأيام العرب وأشعارها حاذقا ، فقلت له : من تكون ؟ وما أظنك الا الفراء » (٨٢) .

ومولد الفراء بالковة ، وانتقل الى بغداد ، وكان زياد والد الفراء أقطع ، لأنه حضر وقعة الحسين بن علي

(٧٩) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - ص ٢١٤ .

(٨٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام - ج ٢ - ص ٣٠٧ .

(٨١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج ٥ - ص ٢٢٥ .

(٨٢) نفس المصدر : ص ٢٥٥ .

رضي الله عنهمما قطع يده في ذلك (٨٣) . يقول السيوطي : « وأبوه زياد الأقطع ، قطع يده في الحرب مع الحسين بن علي ... » (٨٤) .

قال المرزبانى : « وقيل ان الفراء أستاذ الكسائى ، وكان يتshireع (٨٥) . ويقول طاش كبرى زاده : أما الفراء فهو يحيى بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء ... وكان أعلم الكوفيين بال نحو بعد الكسائى ... وكان يحب الكلام ولا يميل الى الاعتزال ... وكان متديننا متورعا على تيه عجب وتعظم ، وكان يتألس فى تصانيفه ويسلك الفاظ الفلسفه ... وأبوه زياد هو الأقطع قطع يده في الحرب مع الحسين بن علي رضي الله عنهمما » (٨٦) .

من هذه الروايات وغيرها يظهر أن والد الفراء قطع يده مع الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولكن التحقيق في ذلك هو كما يقول الشيخ آغا بزرگ الطهراني أحد علماء الشيعة في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة : « (آلـةـ الـكتـابـةـ ، لـشـيخـ النـحـاةـ الـمـنـقـبـ بـالـفـرـاءـ يـحـيـىـ بـنـ زـيـادـ الـاقـطـعـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـرـوـانـ الـدـيـلـمـيـ الـكـوـفـيـ أـعـلـمـ الـكـوـفـيـنـ بـفـنـونـ الـأـدـبـ فـيـ عـصـرـهـ وـلـدـ سـنـةـ ١٤ـ وـتـوـفـىـ فـيـ طـرـيقـ مـكـةـ سـنـةـ ٢٠٧ـ عـنـ ثـلـاثـ وـسـتـينـ سـنـةـ ... وـكـانـ مـنـ الـإـمـامـيـةـ وـأـنـ وـالـدـهـ زـيـادـ خـرـجـ مـعـ الحـسـينـ بـنـ عـلـىـ بـنـ الـحـسـنـ الـمـلـثـ فـيـ وـاقـعـةـ فـخـ مـعـ جـمـاعـةـ مـنـ الـشـيـعـةـ أـيـامـ خـلـافـةـ مـوـسـىـ الـهـادـىـ ... فـقـتـلـ الحـسـينـ فـيـ جـمـلةـ مـنـ الـشـيـعـةـ وـقـطـعـ يـدـ زـيـادـ فـيـ الـيـوـمـ الثـامـنـ مـنـ ذـىـ الـحـجـةـ سـنـةـ ١٦٩ـ ... » (٨٧) .

(٨٣) نفس المصدر ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٨٤) السيوطي : بغية الوعاة - ج ٢ - ص ٣٢٢ .

(٨٥) القققى : أنباه الرواة - ج ٣ - ص ٢٩٠ .

(٨٦) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ١٤٤ .

(٨٧) آغا بزرگ الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة - ج ١ ص ٣٩ .

وكان للقراء أثر واسع في التفسير وفي اللغة وفي النحو ، كما أنه قام بجمع اللغة وضبطها ، وكان له أثر كبير في تفسير القرآن (٨٨) . حيث أملأ الكثير وصنف عدداً كبيراً من الكتب ، وقد أملأ كتاب معانى القرآن ، ولهذا يعد أول من قعد لتدريس تفسير القرآن (٨٩) . قال أبو بريدة : « فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعانى فلم نضبط عددهم ٠٠٠ » (٩٠) . وهذا يبدأ مدرسة الكوفة النحوية على أيدي الشيعة حتى استقرت مقوماتها على يد القراء ٠

٣ - مدرسة بغداد النحوية :

الظاهر المعروف أن مدارس النحو تدور بين مدرستين ، هما مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، ولكن هناك رأياً يذهب إلى وجود مدرسة ثالثة جمعت ما بين المدرستين ، وهي مدرسة بغداد . ويعتبر أبو على الفارسي هو المؤسس لهذه المدرسة . فهو « أول من خلط بين آراء المدرستين في وضوح المدرسة الكوفية والبصرية ، وهو بذلك بغدادي ينتخب من المدرستين ما يراه أولى بالاتباع ٠٠٠ » (٩١) ٠

وكان أبو على الفارسي شيعياً ، لغلبة التشيع - كما يقول الدكتور شوقي ضيف - على أهل العراق وفارس (٩٢) . وقد ذكره آغا بزرگ الطهراني من مصنفي الشيعة حيث يقول : « أبو على الفارسي المولود سنة ٢٨٨

(٨٨) أحمد أمين : ضحي الإسلام - ج ٢ - ص ٣٠٨ ٠

(٨٩) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٢ - ص ١٩٩ - ٢٠٠ ٠

(٩٠) ياقوت : معجم الأدباء - ج ٢٠ - ص ١٢ - ١٣ ٠

(٩١) شوقي ضيف : المدارس النحوية - ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ٠

(٩٢) نفس المصدر : ص ٢٥٦ ٠

والمتوفى سنة ٣٧٧ وكان معاصرًا للمتنبي ومحاصلاً
لسيف الدولة بن حمدان بحلب ثم عضد الدولة بن
بويه (٩٣) . ونحن نعلم أن الدولة الحمدانية في حلب
والموصل دولة شيعية ، وكذلك الدولة البوئية في
أيران (٩٤) .

وقد أثبت الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي تشيع
أبي على الفارسي وتلميذه ابن جنى في رسالته
«الدكتوراه» (٩٥) . كما أورد عدة أدلة تؤكد تشيعه إلى
أن يقول : «هذه الأدلة متظافرة على أن أبي على كان
شيعياً ، وفيها أكثر من دليل يثبت تشيعه من غير شك أو
مراء» (٩٦) . وفي ذلك يقول السيد حسن المصدر عند ذكره
لعلماء الشيعة النحويين : «أبو على الفارسي اسمه
الحسن بن على بن أحمد ... أمام وقته في علم
النحو ...» (٩٧) . ويقول فيه ياقوت : «وصنف كتاباً
عجب فيه حسنة لم يسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره في
الآفاق ، وبرع له غلمان حذاق مثل عثمان بن جنى ، وعلى
بن عيسى الرابع ... وتقديم عند عضد الدولة ، فكان
عضد الدولة يقول ... أنا غلام أبي على النحوي في
النحو ...» (٩٨) .

وقد تتلمذ على يد أبي على الفارسي كثير من الطلاب ،

(٩٣) آغا بزرگ الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة .. ج ١
- من ٨٠ .

(٩٤) انظر رسالة الدكتوراه للمؤلف : الفكر التربوي عند الشيعة
- مراكز العلم .

(٩٥) عبد الفتاح اسماعيل شلبي : أبو على الفارسي - من ٨٢
إلى ٨٥ .

(٩٦) نفس المصدر : من ٨٦ .

(٩٧) السيد حسن المصدر : الشيعة وفنون الاسلام - من ١٦٩ .

(٩٨) ياقوت : معجم الادباء - ج ٧ - من ٢٢٤ .

أشهرهم ابن أخته محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، وقد نزل نيسابور وأملأ بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان (٩٩) . كما أن ابن جنى كان من أبرز تلامذة أبي على (١٠٠) . وفي ذلك يقول ابن خلكان : « كان اماما في علم العربية ، قرأ الأدب على الشيخ أبي على الفارسي ... وكان أبوه من جند سيف الدولة بن حمدان » (١٠١) . وقد خدم ابن جنى البيت البويمي : عضد الدولة ، وولده شرف الدولة . وكان يلزمهم في دورهم وبياتهم (١٠٢) . « وأتاحت له تلك الرفعة أيضاً أن يحظى برعاية البويميين وأن تعلو مكانته عندهم ، وقد خلف استاذه في التدريس ببغداد حين لبى نداء ربه وظل يوالى التصنيف والتأليف حتى توفي سنة ٣٩٢ للهجرة » (١٠٣) . وقد صاحب ابن جنى السيد المرتضى وأخاه الرضي ، كما أهتم بقصائد الشريف الرضي ، فيؤلف كتاباً خاصاً بها سماه : تفسير العلويات (١٠٤) . وقد صنف كتاباً كثيرة في علوم مختلفة خصوصاً في النحو والأعراب والتصريف ، كما وله كتاب تفسير المراثي الثلاثة والقصيدة الرائية للشريف الرضي كما ذكرها ابن النديم (١٠٥) .

يعقوب بن اسحاق بن السكikt :

ومن مشاهير علماء الشيعة النحويين ببغداد ابن السكikt ، يقول ياقوت : « وكان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين ، ومن أعلم الناس باللغة والشعر ، راوية ثقة ،

(٩٩) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ١٤٢ .

(١٠٠) نفس المصدر : ص ١٣٩ .

(١٠١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج ٢ - ص ٤١ .. ٤٢ .

(١٠٢) الققاطي : انباه الرواة - ج ٢ - ص ٣٤٠ .

(١٠٣) شوقي ضيف : المدارس النحوية - ص ٢٦٦ .

(١٠٤) عبد الفتاح اسماعيل شلبي : أبو على الفارسي - ص ٨٢ .

(١٠٥) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام -

ص ١٤٢ - ١٤٣ .

ولم يكن بعد ابن الاعرابي مثله . . . فبينما هو مع المتكل
يوما جاء المعتز والمؤيد فقال له المتكل : يا يعقوب أيماء
أحب اليك ابني هذان أم الحسن والحسين ؟ فذكر الحسن
والحسين رضى الله عنهم بما هما أهله وسكت عن ابنيه ،
وقيل قال له : ان قنبرا خادم على أحب الى من ابنيك . . .
وكان يعقوب يتشيع ، فأمر المتكل الآتراك فسلوا لسانه ،
وداسوا بطنه ، وحمل الى بيته ، فعاش يوما وبعض آخر
ومات يوم الاثنين لخمسة خلون من رجب سنة ثلاثة وأربعين
ومائتين . . . (١٠٦) .

يقول السيوطي : « كان عالما بنحو الكوفيين وعلم
القرآن واللغة والشعر ، راوية ثقة . . . وله تصانيف
كثيرة في النحو ومعانى الشعر وتفسير دواوين العرب
زاد فيها على من تقدمه . . . فأمر - أى المتكل - الآتراك
فdasوا بطنه ، فحمل فعاش يوما وبعض الآخر وقيل حمل
ميتا في بساط ، وقيل : قال : سلوا لسانه من قفاه ، ففعلوا
به ذلك فمات . . . (١٠٧) . ومن أراد أن يقف على
حقيقة المتكل وما فعله من ابن السكري فليراجع أيضا
وفيات الأعيان لابن خلكان وغيره (١٠٨) . وكانت كتبه
جديدة صحيحة منها : اصلاح المنطق ، وكتاب الألفاظ ،
وكتاب في معانى الشعر ، وكتاب القلب والابدال . يقول
المبرد : ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن
السكري في المنطق (١٠٩) . ويقول بروكلمان : « واشتهر
ابن السكري بمصنفاته ، وجعله الخليفة المتكل مؤديا

(١٠٦) ياقوت : معجم الأدباء - ج ٢ - ص ٢٤٩ .

(١٠٧) السيوطي : بغية الوعاة - ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١٠٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٥ - ص ٤٣٨ - ٤٤٣ .

وايضاً ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٥ - ص ٣٠٠ .

(١٠٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

لابنه المعتز ، ولكنه كان يظهر حبه لآل على ، فأمر المتوكل
الاتراك فداروا بطنه ٠٠٠ فحمل من عنده مقتولا
سنة ٢٤٣ هـ (١١٠) . وقال ثعلب : « أجمع أصحابنا أنه
لم يكن بعد ابن الاعرابي أعلم باللغة من ابن السكين ،
وكان المتوكل قد أزعجه تأديب ولده المعتز بالله » (١١١) .

ومجمل القول : إن الشيعة هم واضعو علم النحو
وقوانينه ، كما يرجع اليهم الفضل في تأسيس مدارسه ،
وبهذا العمل أثروا الثقافة الاسلامية ، حتى قاموا بدرسته
وتدریسها كما تخرج على أيديهم كبار النحاة واللغويين ،
ولهذا كان لهم فضل السابق في وجود هذا العلم .

٣ - علم التصريف :

ومن العلوم التي ابتكرها الشيعة علم التصريف ،
ولهذا كانوا هم المؤسسين لهذا العلم ، ويعتبر أبو مسلم
معاذ بن مسلم بن أبي سارة الكوفي هو واسع هذا
العلم (١١٢) . قال السيوطي : « معاذ بن مسلم الهراء
وهو نحوى مشهور ، وهو أول من وضع التصريف » (١١٣) .
وقال في بغية الوعاء : « إن أول من وضع التصريف
معاذ ... وكان معاذ شيعيا . مات سنة سبع وثمانين
ومائة » (١١٤) . وفي تذكرة البغوى : معاذ بن مسلم
روى عن جعفر الصادق (١١٥) .

يقول كارل بروكلمان : « معاذ بن مسلم الهراء ، معلم

(١١٠) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٢ - ص ٢٠٥ .

(١١١) ابن خلكان : المصدر السابق - من ٤٤١ .

(١١٢) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - ص ٢٦ .

(١١٣) السيوطي : المزهر - ج ٢ - من ٤٠ .

(١١٤) السيوطي : بغية الوعاء - ج ٢ - من ٢٩١ .

(١١٥) نفس المصدر : ص ٢٩٢ .

عبد الملك بن مروان هو الذى وضع علم الصرف «(١١٦)» . وقد تتلذذ على يده على بن حمزة بن عبد الله الكسائى ، وفي ذلك يقول ابن خلكان : أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوى الكوفى «(١١٧)» . قرأ عليه الكسائى ، وروى عنه «(١١٨)» . وصنف فى النحو كثيراً . وكان يتشييع ولهم شعر كشعر النحاة «(١١٩)» . ولهذا يقول السيد مهدى بحر العلوم عن آل أبي سارة ومنهم الرواسى معاذ بن أبي سارة : «وهم أهل بيت فضل وأدب من جل بيوت الشيعة بالكوفة» «(١٢٠)» .

ومن مشاهير علماء التصريف من الشيعة ، أبو عثمان المازنى ، والشيخ أبو على الفارسى ، وأبو عثمان بن جنى ، وابن خالويه ، وأبو جعفر بن محمد بن رستم الطبرى ، وأبو القاسم الحسينى الوزير المغربى ، وغير هؤلاء كثيرون «(١٢١)» .

٤ - علم اللغة :

أن أول من أوجد علم اللغة وأسسها باعتراف الجميع هو أبو الأسود الدؤلى «(١٢٢)» . ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي المؤسس الحقيقى لهذا العلم بعد أبي الأسود الدؤلى . قال الإزهري فى أول تهذيبه ما نصه : ولم أمر خلافاً بين أهل المعرفة وحملة هذا العلم أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين أنه لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد

١١٦) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ج ٢ - ص ١٩٧ .

١١٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج ٤ - ص ٣٥٠ .

١١٨) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - ص ١٤١ .

١١٩) نفس المصدر : ص ١٤٠ إلى ص ١٤٥ .

١٢٠) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ١١٦ ، ١١٧ . وانظر المدارس النحوية من هذا البحث .

وان ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقينه اياته عنه
وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه .
يقول السيد حسن الصدر : قلت لا خلاف في أن أول من
رسم علم اللغة هو الخليل بن أحمد وأنه أول من صنف
فيه ، وإنما الخلاف في المصنف الذي في أيدي الناس
المسمى بكتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد ، غبيـن
ناف للنسبة وبين مثبت لها . . . قال شيخ الشيعة جمال
الدين بن المطهر في الخلاصة : الخليل بن أحمد كان أفضـل
الناس في الأدب . . . اخترع العروض وفضلـه أشهر من
أن يذكر وكان إمامـي المذهب (١٢١) .

والثابت أن واضع كتاب العين هو الخليل بن أحمد
الفراهيـدـيـ ، والذـي يـشكـ فيـ اـسـنـادـ هـذـاـ الكـتـابـ الـىـ
الـخـلـيلـ ، لـيـسـ بـأـولـىـ مـنـ يـشـكـ فـيـ الـواـضـعـ الـأـوـلـ لـعـلـمـ
الـنـحـوـ كـمـاـ مـرـذـلـكـ ، يـقـولـ اـبـنـ خـلـدونـ فـيـ مـقـدـمـتـهـ :ـ «ـ وـكـانـ
سـابـقـ الـحـلـبـةـ فـيـ ذـلـكـ الـخـلـيلـ بـنـ أـحـمـدـ الـفـراـهـيـدـيـ ،ـ أـلـفـ
كـتـابـ الـعـيـنـ فـحـصـرـ فـيـ مـرـكـبـاتـ حـرـوفـ الـمـعـجمـ
كـلـهـ . . . »ـ (١٢٢)ـ .ـ وـيـقـولـ السـيـوطـيـ :ـ «ـ وـأـبـدـعـ الـخـلـيلـ
بـدـائـعـ لـمـ يـسـبـقـ الـيـاهـ ،ـ فـمـنـ ذـلـكـ تـأـلـيفـهـ كـلـامـ الـعـرـبـ عـلـىـ
الـحـرـوفـ فـيـ الـكـتـابـ الـمـسـمـيـ كـتـابـ الـعـيـنـ . . . »ـ (١٢٣)ـ .ـ
وـيـقـولـ الـقـفـطـيـ :ـ «ـ . . . وـاسـتـنـبـطـ أـيـضاـ مـنـ عـلـمـ النـحـوـ مـاـ لـمـ
يـسـبـقـ الـيـهـ وـحـصـرـ عـلـمـ الـلـغـةـ بـحـرـوفـ الـمـعـجمـ وـسـمـاهـ كـتـابـ
الـعـيـنـ »ـ (١٢٤)ـ .ـ وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ الـدـكـتـورـ حـسـنـ اـبـرـاهـيمـ :ـ
«ـ . . . وـالـخـلـيلـ بـنـ أـحـمـدـ الـذـيـ وـضـعـ عـلـمـ الـعـروـضـ ،ـ
وـوـضـعـ أـوـلـ مـعـجمـ عـرـبـيـ مـرـتـبـ عـلـىـ الـحـرـوفـ الـهـجـائـيـ وـهـوـ

(١٢١) السيد حسن الصدر : المصدر السابق - ص ١١٦ ، ١١٧ ،
وأيضاً ابن النديم - الفهرست ص ٧٠ - ٧١ .

(١٢٢) ابن خلدون : المقدمة - ص ٥٤٨ .

(١٢٣) السيوطى : المزهر - ج ٢ - ص ٤٠٠ .

(١٢٤) القفطى : انباه الرواة - ج ١ - ص ٣٤٣ .

كتاب « العين » (١٢٥) . وهكذا كان الخليل بن احمد امام اللغويين بلا منازع ، يقول الدكتور شوقي ضيف : « وكان له في النقط والشكل كتاب اتخذه الاسلاف امامهم مددًا متطاولة من الزمن ، وما زال يواكب هذا النشاط العقلي والعلمى حتى توفي سنة ١٧٥ للهجرة » (١٢٦) .

يقول الصدر : « ٠٠٠ والخليل من الشيعة بلا خلاف ، قال شيخ الشيعة جمال الدين بن المطهر في الخلاصة : الخليل بن احمد كان افضل الناس في الأدب و قوله حجة فيه ، اخترع العروض وفضله أشهر من أن يذكر ، وكان امامي المذهب ، وقال المولى عبد الله أفندي في رياض العلماء ، والخليل جليل القدر عظيم الشأن افضل الناس في علم الأدب ، كان امامي المذهب وعليه ينسب علم العروض وكان في عصر مولانا الصادق بل الباقر عليهما السلام أيضا ٠٠٠ » (١٢٧) .

٥ - علم البيان والمعانى :

أما علم البيان والمعانى ، فان أول من وضعه وأسسها وصنف فيه هو الامام المرزبانى أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى الخراسانى البغدادى صنف فيه كتابه المفصل في علم البيان والفصاحة (١٢٨) . قال ابن النديم : « المرزبانى أبو عبد الله ٠٠٠ اصله من خراسان آخر من رأينا من الأخباريين ٠٠٠ ومولده في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين ٠٠٠ وتوفي سنة ثمان

(١٢٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٣ - من ٣٥٣ .

(١٢٦) شوقي ضيف : المدارس النحوية - ص ٣٣ .

(١٢٧) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٢٨) نفس المصدر : ص ٣٦ .

وسبعين وثلاثمائة رحمة الله ، وله من الكتب ٠٠٠ كتاب المفصل في البيان والفصاحة نحو ثلاثة ورقة ٠٠٠ (١٢٩) . وقد ذكر اليافعي في تاريخه عند ترجمته للمرزبانى المذكور أنه أخذ عن أبي دريد وابن الانبارى العلوم الأدبية ٠٠٠ صاحب التأليفات الكثيرة ثقة في الحديث قائل بمذهب التشيع ٠٠٠ (١٣٠) « وقد ذكره محمد بن أبي الفوارس فقال : كان يقول بالاجازات ، وكان فيه اعتزال وتشيع ٠٠٠ وقال العتيقى : وكان مذهبه التشيع والاعتزال ، وكان ثقة في الحديث ٠٠٠ مات المرزبانى ٠٠٠ سنة أربع وثمانين وثلاثمائة » (١٣١) .

وفي الذريعة إلى تصانيف الشيعة : « ٠٠٠ وكتاب المفصل في علم البيان ، وهو أول من أسس البيان ودونه ، لأن الشيخ عبد القاهر الجرجانى الذى ظنه السيوطي مؤسس هذا العلم توفي سنة ٤٤٤ (١٣٢) . كما تقدم على الشيخ عبد القاهر فى ذلك أيضا من الشيعة محمد بن أحمد ٠٠٠ العمیدى المتوفى سنة ٤٢٣ ثلاث وعشرين وأربعين مائة صنف كتاب تنقیح البلاغة ، كما فى كشف الظنون ، وذكره منتجب الدين بن بابوية فى فهرست أسماء المصنفين من الشيعة الإمامية ، وذكره ياقوت وقال نحوى لغوى وأديب مصنف ٠٠٠ وصنف تنقیح البلاغة وكتاب العروض والقوافي (١٣٣) . ومن مشاهير علماء البيان من الشيعة ، أبو الأسود الدؤلى ، ويحيى بن يعمر

(١٢٩) ابن التdim : الفهرست - ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(١٣٠) السيد حسن الصدر : المصدر السابق - ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(١٣١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ٢ - ص ١٢٦ .

(١٣٢) آغا بزرگ الطهرانى : الذريعة إلى تصانيف الشيعة - ج ١ - ص ٢١٥ .

(١٣٣) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ١٣٦ - ١٣٧ .

العدوانى ، وأبان بن تغلب التابعى وأبان بن عثمان ، وأبو عبد الله الحسين بن يزيد التوفلى ، وأحمد بن ابراهيم بن حمدون النديم ، وابن السكينة والصاحب بن عبان ، وغيرهم كثيرون (١٣٤) .

٦ - علم العروض :

وأما علم العروض فالواضع له هو الخليل بن أحمد، الذى استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود ، وحصر أقسامه فى خمس دوائر ، قال حمزة بن الحسن الأصبهانى فى حق الخليل بن أحمد فى كتابه الذى سماه « التنبيه على حدوث التصنيف » : وبعد ، فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أووضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وضع مطرقة على طست ليس فيها حجة ولا بيان يؤدىان الى غير حلبيهما» (١٣٥) .

أما أول من صنف فى علم العروض بعد الخليل ، هو أبو عثمان المازنى بكر بن محمد بن حبيب النحوى الإمامى الشيعى ، المتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين « (١٣٦) . قال الزبيدى ، قال الخشنى : المازنى

(١٣٤) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ١٤٨

(١٣٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج ٢ - ص ١٦ . وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ٩٥ . وشوقي ضيف : المدارس النحوية ص ٢١ . وأحمد امين : ضحى الاسلام - ج ٢ - ص ٣٥٣ .

(١٣٦) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ١٧٩

مولى بنى سدوس ١٠٠ وهو أستاذ المبرد ١٠٠ وكان اماميا يرى رأى ابن الميثم ١٠٠ وكان لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام «(١٣٧)» . . . وللمازنى من الكتب : كتاب فى القرآن كبير ٠٠٠ كتاب تفاسير ٠٠٠ كتاب العروض ، كتاب القوافي «(١٣٨)» . . . مات أبو عثمان فيما ذكره الخطيب فى سنة تسعة وأربعين ومائتين ٠٠٠ «(١٣٩)» .

ومن أئمة علم العروض من الشيعة المصنفين فيه ، منهم كافى الكفاة الصاحب بن عباد ، صنف كتاب الاقناع فى العروض ، والخالع النحوى الشاعر المشهور ، والشيخ ابن جنى والشريف أبو الحسن محمد بن أحمد ٠٠٠ « وغير هؤلاء (١٤٠) .

٧ - علم التفسير :

ومن العلوم النقلية التى اشتغل بها الشيعة لفهم معانى القرآن الكريم علم « التفسير » حتى أنهم كانوا هم المؤسسين لمدرسته ، وأول المصنفين فيه ، وقد « أخذ بعض كبار الصحابة من أمثال على بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، يفسرون القرآن اعتمادا على ما سمعوه من الرسول أو بحسب ما وصل اليه فهمهم ، ويعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسى مدرسة التفسير فى الإسلام ، وهذا حذوه فى ذلك

(١٣٧) ياقوت الحموى : معجم الادباء - ج ١ - ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١٣٨) نفس المصدر : ص ١٢٢ .

(١٣٩) نفس المصدر : ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١٤٠) السيد حسن المصدر : المصدر السابق - ص ١٧٨ الى ص ١٨٢ .

التابعون مثل سعيد بن جبیر وغيره «(١٤١) ٠ فهؤلاء كلهم كانوا من شيعة على بن أبي طالب عليه السلام ، فـ هم أساس مدرسة التفسير في الاسلام عند الشيعة ٠

اما الامام على عليه السلام ، فهو باب مدينة علم الرسول صلی الله علیہ وآلہ وسلم (١٤٢) ٠ فلا غزو ان يكون المؤسس الاول لمدرسة التفسير في الاسلام (١٤٣) ، ولهذا كان يقول للمسلمين : سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيمة الا حدثتكم به ، سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا أنا أعلم ابليل نزلت أم بنهارام في سهل نزلت أم في جبل ٠٠٠ «(١٤٤) ٠ قال سعيد بن المسيب : « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ص) يقولها الا على بن أبي طالب (ع) ٠٠٠ «(١٤٥) ٠ ولهذا قال ابن مسعود : « قرأت سبعين سورة على رسول الله (ص) ، وقرأت البقية على أعلم هذه الأمة بعد نبينا صلی الله علیہ وآلہ وسلم على بن أبي طالب «(١٤٦) ٠ وقال

(١٤١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ١ -
ص ٥١٤

(١٤٢) اخرج الخطيب البغدادي في تاريخه - ج ٤ - ص ٢٤٨ ،
والمحب الطبرى في الرياض النضرة - ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٤ ، والسيوطى :
في تاريخ الخلفاء ص ١٧٠ - وغيرهؤلاء قول النبي (ص) لعلى :
« أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليات الباب » ٠

(١٤٣) ابن أبي الحميد : شرح النهج - ج ١ - ص ١٩ ، ٢٠ -
ط ١٩٦٥ ٠

(١٤٤) الشقى الهندى : كنز العمال - ج ٢ - من ٢٥٧ ، والمحب
الطبرى : الرياض النضرة - ج ٢ - ص ١٩٨ ، وابن حجر الهيثمى :
الصواعق المحرقة - ص ٢٢٧ ، والقندوزى : ينابيع المودة - ج ١
ص ٦٨ ٠ والسيوطى : تاريخ الخلفاء - ص ١٨٥ ، والعسقلانى : الاصابة
- ج ٤ - ص ٥٦٨ ، وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ -
ص ٤٠ ٠ ، وسبط بن الجوزى : تذكرة الخواص - ص ٢٧ ٠ وغيرهؤلاء ٠

(١٤٥) سبط بن الجوزى : تذكرة الخواص - ص ٢٨ ٠

(١٤٦) القندوزى : ينابيع المودة - ج ٢ - ص ٧١ ٠

أيضاً : « ان القرآن أنزل على سبعة احرف ما فيها حرف الا وله ظهر وبطن ، وان على بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن ٠٠٠ » (١٤٧) . وفي ذلك يقول الدكتور أحمد صبحى : « ومن العلوم علم تفسير القرآن ، وعنده أخذ ومنه فرع ، لأن أكثره عن ابن عباس ، وقد كان هذا ملازمًا له ، ومنقطعًا إليه حتى سئل أين علمك من علم ابن عمك ، فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط » (١٤٨) . وفي هذا المعنى يقول ابن عباس : « علم النبي (ص) من علم الله ، وعلم على من علم النبي (ص) وعلمي من علم على ، وما علمي وعلم الصحابة في علم على إلا قطرة في سبعة أبحر » (١٤٩) . وهذا مصدق قول الأمام على بن أبي طالب عليه السلام : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لى قلبًا عقولا ، ولسانًا صادقا ناطقا » (١٥٠) .

أما غير الشيعة من المسلمين ، فلم يظهر عندهم هذا العلم إلا متاخرًا عن ذلك بكثير ، يقول الدكتور أحمد شلبي : « فإذا جئنا إلى تاريخ ظهور علم يسمى « علم التفسير » فاننا نرى أنه ليس من علوم صدر الإسلام ، وأنه لم يظهر إلا في مطلع القرن الهجري الثالث ، ويحكي لنا ابن النديم قصة ذلك فيقول : إن عمر بن بكر كان منقطعاً إلى الحسن بن سهل « ٢٣٦ » هـ فكتب إلى الفراء

(١٤٧) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ٤٠٠ .

(١٤٨) أحمد محمود صبحى : نظرية الامة - ص ٢٦٨ ، وابن

أبي الحديد : شرح النهج - ج ١ - ص ١٩ - ط ٢ - ١٩٦٥ .

(١٤٩) القندوزى : ينابيع المودة - ج ١ - ص ٦٨ - ٦٩ .

(١٥٠) السيوطي : تاريخ الخلفاء - ١٨٥ . والمتقى الهندي :

كتن العمال - ج ٢ - ص ٣٥٧ ، والمحب الطبرى : الرياض الخيرة -

ج ٢ - ص ١٩٨ . وطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ -

ص ٤٠٠ .

« ٢٠٨ » فبدأ الفراء يكتب تفسيراً متصلًا كاملاً للقرآن الكريم كله « ٠٠٠ » (١٥١) . وقد مر تشيع الفراء « ٠٠٠ » حتى استطاع أخيراً أبو بكر الأصم المتوفى سنة ٢٣٢ أن يضع أول تفسير اعزالي « (١٥٢) » .

أما الشيعة ، فقد أسسوا هذا العلم في المصدر الأول من الإسلام ، وأول من قام بهذا العمل الجليل وصنف فيه سعيد بن جبير التابعى (رضي) كان أعلم التابعين بالتفسير كما حكاه السيوطي في الاتقان عن قتادة وذكر تفسيره ، وذكره ابن النديم في الفهرست عند ذكره للكتب المصنفة في التفسير ، ولم ينقل تفسيراً لأحد قبله ، وكانت شهادته سنة أربع وتسعين من الهجرة ، وكان ابن جبير من خلص الشيعة ، وما كان سبب قتل الحاج له إلا على هذا الأمر يعني التشيع (١٥٣) . ثم ان جماعة من التابعين من الشيعة صنفوا في تفسير القرآن بعد سعيد بن جبير ، منهم : سعيد بن المسيب ، أخذ عن على بن أبي طالب وابن عباس ، وكان قد رياه على بن أبي طالب وصحابه ، ولم يفارقه وشهد معه حربه (١٥٤) .

ومن علماء التفسير عند الشيعة والمؤلفين فيه ، أبو حمزة الثمالي ، يقول ابن النديم : « ٠٠٠ كتاب تفسير أبي حمزة الثمالي واسمه ثابت بن دينار ، وكنيته دينار أبو صفية . وكان أبو حمزة من أصحاب على عليه السلام من النجاء الثقات وصاحب أبا جعفر ٠٠٠ » (١٥٥) . وفي

(١٥١) أحمد شلبي : تاريخ المذاهب الإسلامية - من ٥٩ - ٦٠ .

(١٥٢) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول من ١٢٩ - ٦٠ .

(١٥٣) السيد حسن المصدر : الشيعة وفنون الإسلام - من ٥٩ - ٦٠ - وابن النديم : الفهرست - من ٥٧ - ٦٠ .

(١٥٤) السيد حسن المصدر : المصدر السابق - من ١٦٣ - ٥٧ .

(١٥٥) ابن النديم : الفهرست - من ٥٧ - ٦٠ .

ذلك يقول الزركلى . «أبو حمزة الثمالي المتوفى سنة مائة وخمسين هـ من رجال الحديث الثقات عند الامامية ، وروى عنه بعض السنة ، وهو من أهل الكوفة ٠٠٠ له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «الزهد» وكتاب «النواذر» (١٥٦)»

ومنهم محمد بن السائب الكلبى ، يقول ابن قتيبة في المعارف . «الكلبى صاحب التفسير وهو : محمد بن السائب بن بشر الكلبى وبنوه «السائب» و«عبيد» و«عبد الرحمن» شهدوا الجمل وصفين مع على بن أبي طالب (١٥٧) . «وكان نسابا عالما بالتفسير ، وتوفي بـ «الكوفة» سنة ست وأربعين ومائة» (١٥٨) . وقد ذكر الذهبى كتاب التفسير هذا في ميزان الاعتدال ، حيث يقول : «وقال أحمد بن زهير : قلت لأحمد بن حنبل : يحل النظر في تفسير الكلبى ؟ قال : لا» (١٥٩) . ويقول طاش كبرى زاده : «الكلبى ٠٠٠ صاحب التفسير والأنساب ، كان أماما في هذين العلمين ٠٠٠» (١٦٠) . وللهذا يقول بروكلمان : «محمد بن السائب الكلبى ٠٠٠ توفي سنة ١٤٦ هـ وقد ألف حقا كتابا في تفسير القرآن» (١٦١) .

ومن أشهر المفسرين في هذا العصر السدى المتوفى سنة ١٢٧ هـ وقد اعتمد في تفسيره على ابن عباس (١٦٢) . قال ياقوت : «وقال الشاذkanى ، كان محمد بن اسحاق بن

(١٥٦) خير الدين الزركلى : الاعلام - ج ٢ - ص ٨١ .

(١٥٧) ابن قتيبة : المعارف - ص ٥٣٥ .

(١٥٨) نفس المصدر : ص ٥٣٦ .

(١٥٩) الذهبى : ميزان الاعتدال - ج ٣ - ص ٥٥٨ ، ٤٥٦ .

(١٦٠) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ٤٠١ .

- ٤٠٢ -

(١٦١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ج ٣ - ص ٣٠ .

(١٦٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ -

ص ٣٢٦ .

يسار يتshireع ٠٠٠ وقال أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ : أَصْحَابُ الْمَغَازِي
 يَتَشَيَّعُونَ كَابْنَ اسْحَاقَ وَأَبْنَى مَعْشَرَ وَيَحِيَّى بْنَ سَعِيدَ
 الْأَمْوَى وَغَيْرَهُمْ وَأَصْحَابُ التَّفْسِيرِ السَّدِى
 والكلبي « (١٦٣) ٠

وأما قول الزركلى : وأقدم ما علمنا به من التفاسير
 تفسير مجاهد بن جبیر المتوفى سنة ١٠٤ هـ « (١٦٤) ٠
 فيعرف بما ذكره ابن النديم في الفهرست في قوله : « كتاب
 الباقي محمد بن على بن الحسين عليهم السلام ، رواه عنه
 أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية ،
 ٠٠٠ كتاب ابن عباس رواه مجاهد ، ورواه عن مجاهد
 حميد بن قيس ٠٠٠ كتاب تفسير أبي حمزة
 الثمالي ٠٠٠ « (١٦٥) ٠ فهو ليس تفسيرا ، وإنما هو
 مجرد روایات عن ابن عباس ، بخلاف من ذكرناهم من
 مفسرى الشیعہ ، حيث قاموا بتفسیر القرآن وتدوینه ٠

يقول الدكتور شوقي ضيف : « وقد أخذ الشیعہ
 يستقلون ٠٠٠ منذ هذا العصر بتفسير للقرآن خاصة
 بهم ، لعل أهمها تفسير جعفر الصادق المتوفى سنة
 ١٤٨ هـ « (١٦٦) ٠ مع أنه لم يكن هناك تفسير يعرف
 حتى منتصف القرن الثالث الهجري إلا تفسير الشیعہ
 حيث اعتبر الدكتور أن أول تفسير استطاع أن يصنفه
 أبو بكر الأصم المتوفى سنة ٢٢٢ ، وهو تصنيف اعزالی ٠

ومن علماء الشیعہ الذين فسروا القرآن : « الحصين

(١٦٢) ياقوت : معجم الادباء - ج ١٨ - ص ٦ - ٨ ٠

(١٦٤) الزركلى : الاعلام - ج ٢ - ص ٥٧ ٠

(١٦٥) ابن النديم : الفهرست - ص ٥٦ ٠

(١٦٦) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي
 الأول - ص ١٢٩ ٠

بن مفارق من الشيعة المتقدمين ، وله من الكتب : كتاب التفسير ، كتاب جامع العلم « ١٦٧ ٠ »

ومنهم هشام بن محمد بن السائب الكلبي ٠٠٠ « أبو المنذر الاخبارى النسابة العلامة ٠٠٠ وقال ابن عساكر رافضى ٠٠٠ وقيل أن تصانيفه أزيد من مائة وخمسين مصنفاً ومات سنة أربع ومائتين » (١٦٨ ٠)

وأول مفسر جمع كل علوم القرآن هو محمد بن عمر الواقدى الذى ذكره ابن النديم وغيره ، ونص على تشيعه، وأسم تفسيره « الرغيب » (١٦٩ ٠) . وقد توفى سنة سبع ومائتين للهجرة (١٧٠ ٠) بالإضافة إلى تفسير الفراء ، وهكذا كان الشيعة واضعى علم التفسير فى الاسلام ٠

الامام على وجوب القرآن :

ان نظرة الامام على الفكرية الشاملة فى قضايا الشريعة وحكومة العقل ، لم تدع مجالاً من مجالات الحياة الا وكان له القدم الراسخ فى تأصيله والكشف عن خباياه ومن هذا المنطلق سارع الى جمع القرآن بعد أن انتقل الرسول (ص) الى الرفيق الأعلى ، ليحفظ هذا التراث الاسلامي من التغيير والتبدل على حسب ما أنزله الله ٠ ولكن أعراض الأمة عن ذلك ، يقتضى التأمل فى ذلك ، وهو باب مدينة علم الرسول (ص) . ومن هنا يقف الباحث موقف الحيرة لهذا الأعراض ولعل من يتتبه من الباحثين الى الكشف عن أعراض الصحابة عما قام به

(١٦٧) ابن النديم : الفهرست : ص ٢٨٦ ٠

(١٦٨) الذهبي : ميزان الاعتدال - ج ٤ - ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ٠

(١٦٩) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - ص ٢٦ - ٢٧ ٠

وابن النديم الفهرست - ص ١٥٠ - ١٥١ ٠

(١٧٠) ابن النديم : المصدر السابق - ص ١٥٠ ٠

الامام على فى جمعه للقرآن ، وعدم الاعتماد عليه ، بالإضافة الى أن بعض الباحثين الذين تكلموا فى جمیع القرآن فى عصر الخليفة الأول ، قد أعرضوا كذلك عن ذكر الامام على ومشاركته الفعلية فى جمعه ، مع أن الصحابة كانوا يفزعون اليه فى كل القضايا التى يشكل عليهم حلها .

يقول السيوطى : « وعلى - رضى الله عنه - أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد العلماء الربانيين ... وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي عليه الصلاة والسلام ... وعن أبي داود عن محمد بن سيرين قال : « لما توفي النبي (ص) أبطن على عن بيعة أبي بكر ، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت امارتى ؟ فقال : لا ، ولكن أليست أن لا أرتدى برداى الا إلى الصلاة حتى ، أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه على تنزيله ، فقال محمد : لو أصيّب ذلك الكتاب كان فيه العلم » (١٧٢) . والمراد من قوله كان فيه العلم ، أى أن الإمام قد فسر القرآن مع جمیعه حسب ما جاء عن النبي (ص) من حيث التنزيل والمعنى . وهذا مصدق ما أخرجه ابن سعدون وغيره عن أبي الطفيلي قال : قال على : سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار ، وفي سهل أم في جبل ، وقوله : والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، ان ربى وهب لى قلبا عقولا ، ولسانا صادقا ناطقا » (١٧٣) .

(١٧١) السيوطى : تاريخ الخلفاء - ص ١٦٦ . والتقى الهندى : كنز العمال - ج ٢ - ص ٣٧٣ .

(١٧٢) السيوطى : المصدر السابق - ص ١٨٥ . وأيضا ابن حجر الهيثمى : الصواعق المحرقة - ص ١٢٨ .

(١٧٣) المصدر السابق : ص ١٨٥ . وأيضا التقى الهندى : كنز العمال - ج ٢ - ص ٣٥٧ .

والمحب الطبرى : الرياض الفخرة - ج ٢ - ص ١٩٨ .

ويقول ابن أبي الحديد : « وأما قراءته القرآن والاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب ، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) ولم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعه أبي بكر ٠٠٠ تشغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن ٠٠٠ » (١٧٤)

وفي رواية ابن النديم : « ٠٠٠ عن على عليه السلام أنه رأى من النائم طيره عند وفاة النبي (ص) فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن ، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه وكان المصحف عند أهل جعفر ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رحمة الله مصحفا قد سقط منه أوراق بخط على بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مر الزمان وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف » (١٧٥) . وقد ذكر اليعقوبي الأجزاء التي جمعها على بن أبي طالب حسب السور (١٧٦) . وفي ذلك يقول الصاحب بن عباد :

هل مثل علمك ان زلوا وأن وهنوا
وقد هديت كما أصبحت تهديننا

هل مثل جمعك للقرآن تعرفه
لفظاً ومعنى وتأويلاً وتبييناً (١٧٧)

(١٧٤) ابن أبي الحديد : شرح النهج - ج ١ - ص ٩ . وأيضاً القندوزي : ينابيع المودة - ج ١ ص ١٤٩ .

والبلاذري : أنساب الأشراف - ج ١ - ص ٥٨٦ - ٥٨٧ .

(١٧٥) ابن النديم : الفهرست - ص ٤٧ - ٤٨ . وأيضاً روكتس بن زائد - الإمام على ص ٦٤ .

(١٧٦) تاريخ اليعقوبي - ج ٢ - ص ١٢٤ .

(١٧٧) سبط بن الجوزي : تذكرة الخواص - ص ١٤٨ .

يقول أبو رية في موضوع كتابة القرآن الكريم ، وعما جاء في هذا الأمر الخطير الذي تشعبت فيه الرواية (١٧٨) . « ومن شاء أن يقف على كل ما قيل في هذا الأمر فليرجع إلى كتاب الاتقان للسيوطى ، وكتاب البيان للجزائرى والجزء الأول من (البيان في تفسير القرآن) للعلامة المحقق الكبير السيد أبو القاسم الخوئي وهذا الكتاب وحده كاف في بيان هذا الأمر لأن مؤلفه الجليل قد درسه درساً وافياً ، وفصل فيه القول تفصيلاً بحيث لا تجد مثله في كتاب آخر حتى ليجب على كل مسلم أن يقرأه ليستفيد منه علماً ومعرفة . ثم يستطرد في القول : من أغرب الأمور ، وما يدعوا إلى الحيرة أنهم لم يذكروا أسم على (رضى) فيمن عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته ، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان . ويذكرون غيره من هم أقل منه درجة في العلم والفقه ، فهل كان على لا يحسن شيئاً من هذا الأمر ؟ أو كان من غير الموثوق بهم ؟ أو من لا يصح استشارةهم أو اشتراكهم في هذا الأمر ؟ اللهم أن العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون على أول من يعهد إليه بهذا الأمر ، وأعظم من يشارك فيه وذلك بما أتيح له من صفات ومزايا لم تتهيأ لغيره من بين الصحابة جميعاً . فإذا لم يدع إلى هذا الأمر الخطير فالى أي شيء يدعى ؟ وإذا كانوا قد انتحدوا معاذير ليسوغوا بها تحطيمهم أيه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها ، فبأى شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن ، فبماذا نعلل ذلك ؟ وبماذا يحكم القاضي العادل فيه ؟ حقاً ان الأمر لعجب » (١٧٩) . ولهذا يقول جرجى زيدان : « ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان

(١٧٨) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - ص ٢٢١ .

(١٧٩) المصدر السابق : ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

دون سراه فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف على «(١٨٠)» . وفي ذلك يقول دونلسن : « وتأكد بعض الروايات انه كان عند على نسخة من القرآن جمعها ورتبها بنفسه وعلق عليها بعض الحواشى حسب ما كلام الرسول (ص) به ٠٠٠ » (١٨١)

٨ - علم غريب القرآن :

ومن العلوم التي صنفها الشيعة وكان لهم السبق فيها . وفي اثراء الثقافة الإسلامية ، علم غريب القرآن . يقول الصدر : « فاعلم أن أول من صنف في ذلك شيخ الشيعة أبان بن تغلب ، وقد نص على تصنيفه في ذلك علماؤنا ، وكذلك نص عليه ياقوت الحموي في معجم الأدباء والجلال السيوطى في بغية الوعاة ، ونصوا على وفاته في سنة احدى وأربعين ومائة » (١٨٢) .

وقال السيوطى في كتاب الأولئ : « أول من صنف غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى ونص على تاريخ وفاته هو وغيره أنها كانت سنة تسعة وقيل ثمان وقيل عشرة وقيل احدى عشرة ومائتين » (١٨٣) .

ويرى الباحث أن أول من صنف في غريب القرآن أبان بن تغلب الشيعي ، وكذلك صنف فيه جماعة من علماء الشيعة بعد أبان بن تغلب وقبل أبي عبيدة معمر بن المثنى، وذلك لما جاء في كثير من المصادر التي تؤكد ذلك ، كما أن السيوطى نقل ذلك عن ياقوت في قوله : « أبان بن تغلب بن رباح الجذيرى أبو سعيد البكرى ٠٠٠ قال ياقوت : كان

(١٨٠) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي - ج ٢ - ص ٦٦ .

(١٨١) دونلسن : عقيدة الشيعة - ص ٦٣ .

(١٨٢) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٥٢ .

(١٨٣) نفس المصدر : ص ٥٣ - ٥٤ .

قارئاً فقيها لغويَا امامياً ثقة ، عظيم المنزلة ، جليل القدر ، روى عن على بن الحسين وأبى جعفر وأبى عبد الله عليهم السلام ، وسمع من العرب ، وصنف غريب القرآن وغيره ومات سنة أحدى وأربعين ومائة « (١٨٤) ٠

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي : « وكان أباً إبان بن تغلب - قارئاً فقيها ، لغويَا نبيها ثبتا ٠٠٠ وصنف كتاب الغريب في القرآن ٠٠٠ جاء فيما بعد ، عبد الرحمن الأزدي الكوفي ، فجمع من كتاب إبان ، ومحمد بن السائب الكلبي وأبن روق عطية بن الحارث فجعله كتاباً فيما اختلفوا فيه واتفقوا عليه ٠٠٠ » (١٨٥) ٠ محمد بن السائب الكلبي توفي سنة ١٤٦ هـ كما مر ، وهو سابق على أبى عبيده سعيد بن المثنى ٠

يقول الزركلى في الإعلام : « إبان بن تغلب ٠٠٠ من كتبه « غريب القرآن » ولعله أول من صنف في هذا الموضوع ٠٠٠ » (١٨٦) ٠ وفي ذلك يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « وأول كتاب ألف بعد ذلك في غريب القرآن هو كتاب أبى سعيد بن تغلب بن رباح الكوفي (ت ١٤١ هـ) » (١٨٧) ٠

ومن صنف في غريب القرآن أيضاً قبل أبى عبيدة بن المثنى على ما ذكره السيوطي وياقوت الحموي ، مؤرخ بن عمر بن منيع ٠٠٠ السدوسي ، وهو من تلاميذ أبى زيد الانصاري ومن أصحاب الخليل ، له تصانيف في غريب

(١٨٤) السيوطي : بغية الوعاة - ج ١ - ص ٤ ٠

(١٨٥) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١ - ص ١٠٨ ٠

(١٨٦) خير الدين الزركلى : الإعلام - ج ١ - ص ٢٠ ٠

(١٨٧) عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية - ص

القرآن وقد ذكر أنه مات سنة خمس وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة «(١٨٨)» . كما وأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب له تفسير غريب القرآن ، ذكره الزركلى فى الاعلام(١٨٩) . يقول بروكلمان : « ويوجد تفسير غريب القرآن المجيد لزيد بن على المقتول سنة ١٢٢ هـ وهو مخطوط فى مكتبة برلين ٠٠٠ » (١٩٠) .

ومن الذين سبقوا فى التصنيف من الشيعة فى غريب القرآن بعد أبان ، أبو جعفر الرواسى وهو متقدم أيضاً على أبي عبيدة ، ومنهم الفراء المتوفى سنة سبع ومائتين (١٩١) .

اما أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول القبطى : « وله من الكتب التى صنفها ٠٠٠ كتاب غريب القرآن » (١٩٢) . ومات سنة احدى عشرة ومائتين . وقال غيره مات سنة عشر ، وقيل سنة تسعة ، وقيل سنة ثلاثة عشرة ومائتين (١٩٣) . وكان أبو عبيدة بن المثنى من الخوارج(١٩٤) .

٩ - علم معانى القرآن :

ومن العلوم التى أسسها الشيعة أيضاً، علم معانى القرآن . فأول من صنف فيه من الشيعة هو أبان بن تغلب المتوفى

(١٨٨) السيوطي : بغية الوعاء - ج ٢ - ص ٣٠٥ . وياقوت : معجم الأدباء - ج ١٩ - ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(١٨٩) الزركلى : الاعلام - ج ٣ - ص ٩٩ .

(١٩٠) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ج ٢ - ص ٢٢٢ .

(١٩١) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٥٣ -

٥٤

(١٩٢) القبطى : آنباه الرواة - ج ٣ - ص ٢٨٥ .

(١٩٣) نفس المصدر : ص ٢٨٠ .

(١٩٤) ابن الاتبارى : نزهة الألباء - ص ١٠٥ . وياقوت : معجم الأدباء - ج ١٩ - ص ١٥٦ .

سنة احدى وأربعين ومائة ، واسمه كتاب معانى القرآن .
 نص على ذلك كل من ابن النديم فى الفهرست حيث يقول :
 «كتاب معانى القرآن لطيف» (١٩٥) . وخير الدين الزركلى
 فى الأعلام (١٩٦) . يقول السيد الصدر : «فاعلم أن أول
 من صنف من الشيعة كتاب معانى القرآن هو أبان بن
 تغلب . . . ونص على كتابه هذا ابن النديم فى الفهرست
 والنجاشى فى أسماء مصنفى الشيعة وغيرهما ، ولم اعثر
 على أحد صنف فيه قبل أبان ، نعم صنف فيه هنا الرواسى
 والفراء ، قال ابن النديم : كتاب معانى القرآن للرواسى
 كتاب معانى القرآن للفراء أله لعمر بن بكر وهو من
 الشيعة أيضاً (١٩٧) . . .

اما ما ذهب اليه القبطى من أن أول من صنف فى
 معانى القرآن من أهل اللغة أبو عبيدة عمر بن المثنى ،
 ثم قطرب بن المستنير ، ثم الاخفش ، وهؤلاء من البصرىين
 ومن الكوفيين صنف فيه الكسائى ثم الفراء (١٩٨) . فقد
 عرفنا أن أبان بن تغلب كان سابقاً لهم فى ذلك مع أن
 الكسائى والفراء سابقان على أبي عبيدة ، وكلاهما من
 الشيعة (١٩٩) . وكذلك قطرب (٢٠٠) . بالإضافة الى ذلك
 فقد سبق هؤلاء جميعاً فى التصنيف فى معانى القرآن بعد
 أبان بن تغلب ، الرواسى ، يقول ابن الانبارى : «وصنف
 الرواسى تصانيف كثيرة منها : كتاب معانى
 القرآن» (٢٠١) . والرواسى أستاذ الكسائى والفراء ،

(١٩٥) ابن النديم : الفهرست - ص ٣٢٢ .

(١٩٦) الزركلى : الاعلام - ج ١ - ص ٢٠ .

(١٩٧) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٥٤ .

(١٩٨) القبطى : انباه الرواة - ج ٢ - ص ٢٨٥ .

(١٩٩) السيد حسن الصدر : المصدر السابق - ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢٠٠) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - ص ١٩٣ .

(٢٠١) ابن الانبارى : نزهة الالباء - ص ٥٥ .

وهو أسبق من الذين ذكرهم القبطى . كما أن ياقوت ذكر كتاب الرواسى فى معجم الأدباء حيث يقول : « وللرواسى من الكتب ٠٠٠ كتاب معانى القرآن ٠٠٠ » (٢٠٢) ويقول السيوطى : « ومن تصانيف الرواسى ٠٠٠ معانى القرآن » (٢٠٣) . وقد ذكر ابن النديم كتاب معانى القرآن للرواسى فى قوله : « توفي وله من الكتب ، كتاب الفيصل رواه جماعة ٠٠٠ كتاب معانى القرآن يروى الى اليوم ٠٠٠ » (٢٠٤) .

ومن الذين سبقوه عمر بن المثنى فى تصنيف معانى القرآن يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبى امام نحاة البصرة كما يقول ياقوت ، ومن تصانيفه كتاب معانى القرآن الكبير ، كتاب معانى القرآن الصغير ، وكان مولده سنة ثمانين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة وثنتين (٢٠٥) . مع أن عمر بن المثنى مات سنة ٢١٣ هـ على بعض الروايات ، فاعتباره أول من صنف من البصريين اغفال عما قام به يونس بن حبيب أحد علماء البصرة ، بالإضافة إلى ذلك فان سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصارى المتوفى سنة ٢١٤ هـ قد صنف كتاب معانى القرآن (٢٠٦) . وكان معاصرًا لعمر ولم يذكره في طبقتهم ، مع أنه ذكر كتابه وسنة وفاته قوله : « وكان أبو زيد من أهل العدل والتبيح وكان ثقة ، وكان عالما بالنحو ٠٠٠ » (٢٠٧) .

(٢٠٢) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٨ - ص ١٢٥ .

(٢٠٣) السيوطى : بغية الوعاء - ج ١ ص ٨٣ - ١٠٩ .

(٢٠٤) ابن النديم : الفهرست - ص ١٠٢ .

(٢٠٥) ياقوت : معجم الأدباء - ج ٢٠ - ص ٦٧ .

(٢٠٦) القبطى : انباه الرواة - ج ٢ - ص ٣٥ .

(٢٠٧) المصدر السابق : ص ٣٣ .

١٠ - علم أحكام القرآن :

من العلوم التي اشتغل بها المسلمون ، علم أحكام القرآن ، يقول حاجى خليفة فى كشف الظنون : «أحكام القرآن ، للإمام المجتهد محمد بن ادريس الشافعى المتوفى بمصر سنة ٢٠٤ أربع ومائتين ، وهو أول من صنف فيه » (٢٠٨) .

وقد تقدم على الإمام الشافعى فى ذلك محمد بن السائب بن بشر الكلبى أحد علماء الشيعة المتوفى سنة ١٤٦ . يقول آغا بزرك الطهرانى : «آيات الأحكام الموسوم بكتاب «أحكام القرآن» لابن النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبى من أصحاب أبي جعفر الباقر وأبى عبد الله الصادق عليهما السلام والمتوفى سنة ١٤٦ هـ والد هشام الكلبى النسابى الشهير وصاحب التفسير الكبير كما أذعن السيوطى فى الاتقان . قال ابن النديم فى الفهرست عند ذكره للكتب المؤلفة فى علم أحكام القرآن ما لفظه كتاب أحكام القرآن للكلبى يقول الطهرانى : هو أول من صنف فى هذا الفن كما يظهر من تاريخه لا الإمام الشافعى محمد بن ادريس المتوفى سنة ٢٠٤ كما ذكره العلامة السيوطى ، وكذا صرخ به فى كشف الظنون فى عنوان أحكام القرآن لاته ولد الإمام الشافعى بعد وفاة الكلبى بتسعة سنين لاته ولد سنة ١٥٥ (٢٠٩) .

١١ - اعراب القرآن :

ان أول من قام باعراب القرآن أبو الأسود الدؤلى ، حيث قام بتقسيمه ووضع علامات الاعراب على الكلمات ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك (٢١٠) . يقول

(٢٠٨) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ - ص ٢٠ .

(٢٠٩) آغا بزرك الطهرانى : الذريعة الى تصنیف الشیعیة - ج ١ - ص ٤٠ - وابن النديم : الفهرست - ص ٦٢ .

(٢١٠) ياقوت : معجم الادباء - ج ١٦ - ١٤٧ . وايضاً احمد أمين : ضحى الاسلام - ج ٢ - ص ٢٨٧ .

السيوطى : « وأبو الاسود أول من نقط المصحف » (٢١١) . ويقول القفطى : « كما أن أبا الاسود الدؤلى أول من نصّ المصحف الشريف » (٢١٢) . وفي ذلك يقول ابن الانبارى : وأول من قام باعراب القرآن أبو الاسود الدؤلى ، حيث قام بتنقيطه ووضع علامات الاعراب على الكلمات ، فابتداً بالمصحف حتى أتى على آخره ، ٠٠٠ » (٢١٣) . ولهذا يقول الدكتور شوقي ضيف : « رأينا البصرة تضع على يد أبي الاسود الدؤلى نقط الاعراب ٠٠٠ وكان ذلك عملا خطيرا حقا ، فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه » (٢١٤) . يقول السيد حسن الصدر : « قيل أن يحيى بن يعمر العدوانى تلميذ أبي الاسود الدؤلى أول من نقط المصحف ، والاصح الأول ، وأيهما كان ، فالفضل للشيعة لأنهما من الشيعة بالاتفاق » (٢١٥) .

١٢ - علم القراءات :

أما أول من أوجد علم القراءات في الثقافة الإسلامية، أبان بن تغلب ، وقد ذكر ابن النديم تصنيف أبان في القراءة ، حيث يقول : وله من الكتب كتاب معانى القرآن لطيف ، كتاب القراءات ، كتاب من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة » (٢١٦) . كما نص على ذلك أيضا خير الدين الزركلى في كتاب الأعلام (٢١٧) .

يقول الصدر : « ولم يعهد لأحد قبل أبان وحمزة تصنيف في القراءات ، فإن الذهبي وغيره من كتب في

(٢١١) السيوطى : المزهر - ج ٢ - ص ٣٩٨ .

(٢١٢) القفطى : انباه الرواة - ج ١ - ص ٥ .

(٢١٣) ابن الانبارى : نزهة الآباء - ص ٩ .

(٢١٤) شرقى ضيف : المدارس النحوية - ص ١٧ .

(٢١٥) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢١٦) ابن النديم : الفهرست - ص ٣٢٢ .

(٢١٧) خير الدين الزركلى : الاعلام ج ١ - ص ٢٠ .

طبقات القراء نصوا على أن أول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤١ أربع وعشرين ومائتين ، ولا ريب في تقدم أبان ، لأن الذهبي في الميزان والسيوطى في الطبقات نصا على أنه توفي سنة ١٤١ أحدى وأربعين ومائة ، فهو مقدم على أبي عبيد بثلاث وثمانين سنة ، وكذلك حمزة بن حبيب ، من أصحاب الصادق – فانهم نصوا أنه تولد سنة ثمانين ومات سنة ١٥٦١ وقيل سنة ١٥٨١ ، وقيل سنة ١٥٨٠ ، وان الأخير وهم ، وكيف كان فالشيعة أول من صنف في القراءة ، ولا يخفى هذا على الحافظ الذهبي وحافظ الشام السيوطى ، لكن انما أرادا أول من صنف في القراءات من أهل السنة لا مطلقاً (٢١٨) .

أقول وقد تقدم على أبي عبيد القاسم بن سلام في علم القراءات الكسائي ، يقول ابن الانتباري في نزهة الآباء : « وللكسائي كتب كثيرة ، منها كتاب « معنى القرآن » وكتاب « مختصر في النحو » وكتاب « القراءات » (٢١٩) . ويقول ياقوت : « ومات الكسائي وله من التصانيف : كتاب معانى القرآن ، كتاب مختصر في النحو ، كتاب القراءات » (٢٢٠) . يقول السيد المصدر : « الكسائي أبو الحسن على بن حمزة ٠٠ الكوفي ٠٠ وهو من القراء الشيعة المشهورة ، وكان يذكر أنه ربيب المفضل الضبي ، وكانت أممه تحته ، نص على تشيعه في رياض العلماء في الألقاب ،قرأ على شيوخ الشيعة كحمزة وأبان بن تغلب ، وأخذ النحو عن أبي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء وكل من أئمة الشيعة ، ٠٠٠ ونص على تشيع

(٢١٨) السيد حسن المصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٥١ -

(٢١٩) ابن الانتباري : نزهة الآباء - ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٢٠) ياقوت : مجمع الأدباء - ج ١٣ - ص ٢٠٢ .

الكسائي جماعة ، وهو مذهب أكثر أهل الكوفة في ذلك
العصر ٠٠٠ «(٢٢١)»

ومن المصنفين في القراءة أيضاً قبل أبي عبيد القاسم بن سلام ، « حمزة الكوفي بن حبيب الزيارات أحد الشيعة من السبعة ، قرأ على مولانا الصادق ، وعلى الأعمش ، وعلى حمران بن أعين ، أخو زراة والكل من شيوخ الشيعة ، وعده الشيخ أبو جعفر الطوسي في كتاب الرجال من أصحاب الصادق ، وكذلك ابن النديم في الفهرست ، قال : وكتاب القراءة لحمزة بن حبيب وهو أحد السبعة من أصحاب الصادق ، انتهى بحروفه ، مات سنة ست أو ثمان وخمسين بعد المائة بحلوان ، وكان مولده سنة ثمانين . وله سبع روايات ، وصنف كتاب القراءة ، وكتاب حدود أى القرآن ، ذكر هذه الكتب له محمد بن اسحاق النديم في الفهرست كل في موضوعه ٠٠٠ «(٢٢٢)» .

وفي ميزان الاعتدال للذهبي : « حمران بن أعين الكوفي ٠٠٠ وقرأ عليه حمزة ، كان يتقن القرآن ٠٠٠ وقال أبو داود : رأضي » حمزة بن حبيب أبو عمارة الكوفي الزيارات ، شيخ القراء وأحد السبعة الآئمة ٠٠٠ وقرأ على الأعمش ، وحمران بن أعين ٠٠٠ وعن حسين الجعفي ٠٠٠ واليه المنتهي في الصدق والورع والتقوى ٠٠٠ ولد سنة ثمانين هو وأبو حنيفة ٠٠٠ وقال أبو حنيفة : غالب حمزة الناس على القرآن والفرائض ٠٠٠ قال الذهبي : قد انعقد الإجماع بأخره على تلقى قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها ، فقد كان من بعض السلف في الصدر الأول فيها مقال ، وكان يزيد بن هارون ينهى عن قراءة حمزة ، وقال أحمد بن سنانقطان : كان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية

(٢٢١) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - ص ٣٤٧

(٢٢٢) المصدر السابق ٣٤٧ .

شديدة «(٢٢٣)» . وذلك لتشيعه ، وان كان صدوقا ورعا
متتصفا بالتقوى .

١٣ - علم الحديث :

تدوين العلم بين الأثبات والنفي :

كان بين السلف من الصحابة اختلاف كبير في كتابة
العلم وتدويذه ، فكرهها كثير منهم ، وأباحها آخرون .

أما أهل السنة ، فمنعوا كتابة العلم وتدويذه ، ومنه
علم الحديث . وفي ذلك يقول الدكتور شلبي : « وما
ساعدهم على ذلك أن الحديث لم يدون في عهد الرسول
خشية أن يختلط بالقرآن الكريم ، وقد روى عن الرسول
صلوات الله عليه أنه نهى عن كتابة غير القرآن ، فقد قال
فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري : لا تكتبوا عنى ،
ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ،
ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » (٢٤) .

ولم يدع صلوات الله عليه الأمر على ذلك فحسب –
على رأي أهل السنة – بل نهى عن كتابته ، فقال فيما
رواه مسلم وغيره : « لا تكتبوا عنى شيئاً سوى القرآن ،
فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه » (٢٥) . وفي ذلك
يقول أبو رية : « ... وقد جاءت أحاديث صحيحة وأثار
ثابتة تنهى كلها عن كتابة أحاديثه (ص) نجتزيء هنا
بذكر بعضها :

روى أحمد ومسلم والدارمي والترمذى والنسائى ،

(٢٢٣) الذهبى : ميزان الاعتدال – ج ١ – ٦٠٤ – ٦٠٥ .

(٢٢٤) أحمد شلبي : تاريخ المذاهب الإسلامية – ص ٦٢ .
وأحمد بن حنبل : المسند – ج ٣ – ص ١٢ – ٣٩ .

(٢٢٥) محمود أبو رية : أضواء على السنة الحمدية – ص ٨ .

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله الحديث ٠٠٠ • وأخرج الدارمي عن أبي سعيد كذلك : انهم استأذنوا النبي (ص) في أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم ٠ ورواية الترمذى عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال : أستأذنا النبي (ص) في الكتابة فلم يأذن لنا « ٢٢٦) ٠ ولهذا نهى بعض الصحابة عن كتابة الحديث لئلا يشتبه المكتوب على بعض المسلمين فيقع الخلط بين الآية القرآنية والحديث النبوى ، وقد انعقد الاجماع بعد ذلك على جواز تدوين الحديث ٠ ٢٢٧)

يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « أما فيما يتعلق بالحديث الشريف فالمعتقد لدى الكثيرين أنه ظل يتناقل روایة أكثر من مائة عام ، وأنه في حياة النبي عليه السلام ، وفي حياة الخلفاء الراشدين ، وفترة من الزمن طويلة مدة الخلافة الأموية ، لم يكن الحديث مدوناً والسبب العام الذي يعزى إليه تأخر تدوين الحديث هو كراهة أن يضاهى بكتاب الله غيره ، أو يشتغل عن القرآن بسواء » ٢٢٨)

ويقول الدكتور أحمد شلبى : « ٠٠٠ وما ساعد هم على ذلك أن الحديث لم يدون في عهد الرسول خشية أن يختلط بالقرآن الكريم ، وقد روى عن الرسول صلوات الله عليه أنه نهى عن كتابة غير القرآن ، فقد قال فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري : « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن ، فليمحه وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ٠٠٠ » ويؤخذ

٢٢٦) نفس المصدر : ص ١٩ ٠

٢٢٧) أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الإسلامية - ص

١٣٦ ٠

٢٢٨) عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية - ص ٢٠ ٠

من هذا الحديث نقطتان ، النقطة الأولى النهي عن تدوين الأحاديث ، والنقطة الثانية ، احساس الرسول باحتمال الوضع وتحذيره منه . . . وكان عدم عدم تدوين الأحاديث فرصة أمام مدعى التشيع . ليضعوا حشدا من الأحاديث وينسبوها للرسول ، ولعل حديث غدير خم كان في مطلعها . . . (٢٢٩) . هذا ما يراه الدكتور شلبي في عدم تدوين علم الحديث ، ويؤخذ عليه :

أولاً : ان الصياغة لهذه الأحاديث التي تنسب إلى الرسول (ص) في نهيه عن كتابة الحديث . لا تتمشى مع حثه على العلم والتعلم ، وكان من المفروض ، عند كتابة الحديث والخوف من اندماجه مع القرآن ، عرضه على النبي (ص) بالإضافة إلى أن القرآن معجز والمعجز لا يقع فيه التحريف ، مع حفظ الله له ، بخلاف الحديث الشريف ، فكيف يقع الخلط بينهما ، وقد نزل القرآن تعجيزا لفصحاء العرب ، وهم أعرف الناس بكلام الله الذي هو على سبيل الاعجاز . وإنما المنع من كتابة الحديث له جذور أعمق مما ذهب إليه البعض . كما سوف يتضح .

ثانياً : ان النهي عن كتابة الحديث ثابت عند أهل السنة ، وقد وردت به نصوص كثيرة رواها أهل الصحاح في صحاحهم ، وأهل المسانيد ، فهو حكم ثابت بالدليل ، فقيام الأجماع بعد ذلك على تدوين الحديث ، مخالف للدليل ، فيكون الأجماع ساقطا عن الاعتبار ، لأنه لا اجماع في مقابل النص ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن العلة التي من أجلها نهى النبي (ص) عن كتابة الحديث ، وهي الكذب على النبي (ص) باقية حتى بعد قيام الأجماع ، ولهذا يكون النهي باقيا .

ثالثاً : وأما قول الدكتور أحمد شلبي : « وكان عدم

(٢٢٩) أحمد شلبي : تاريخ المناهج الإسلامية - ص ٦٢

تدوين الأحاديث فرصة أمام مدعى التشيع . . . ليضعوا حشدًا من الأحاديث وينسبوها للرسول ، ولعل حديث غدير « خم » كان في طليعتها ٠ فهو قول من تقدمه ، يقول أحمد أمين : « ونظم - أى السيد الحميري . . . حادثة غدير خم ، وهى ما تزعمه الشيعة من أن النبي (ص) يوم غدير « خم » أخذ بيده على وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه . . . » (٢٣٠) وهذا كسابقه تقليداً لغيره بلا فحص ، يقول ابن خلدون : « والأمر الثاني هو شأن العهد من النبي (ص) وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلى (رضي) ، وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من آئمة النقل . . . » (٢٣١) . إلى غير ذلك من أقوال تنفي وجود هذه الأحاديث ، ونفى هذه الأحاديث لا يخلو من أحد أمرين : اما الجهل بها وعدم معرفتها ، فهو ليس دليلاً على عدم وجودها ، لأن عدم معرفة الشيء ليس سبباً في عدمه ، وأما اخفاؤها وعدم بيانها مع أنها ثابتة ، فهو كتمان لها واحفاؤها عن الناس .

اما حديث الغدير الذي ذكره الدكتور شلبي وأحمد أمين وغيرهما ، فهو لا يخلو اما أن يكون موضوعاً مكتوبًا على النبي (ص) او لا ، والأول هو قول الدكتور أحمد شلبي وأحمد أمين ، فيلزمهما القول بوضع هذا الحديث ، وان الراوى له من الوضاعين الكاذبين على رسول الله (ص) فكل من رواه يصدق عليه قول رسول الله (ص) : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . ونحن سوف نعرض لحديث الغدير والذين رووه من علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم على سبيل المثال لا الحصر .

(٢٣٠) أحمد أمين : ضحي الاسلام - ج ٣ - ص ٣٠٩ .

(٢٣١) ابن خلدون : المقدمة - ص ٢١٢ .

حديث الغدير في كتب أهل السنة :

يقول ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة : « أن حديث الغدير صحيح لا مرية فيه ، وقد أخرجه جماعة كالترمذى والنسائى وأحمد ، وطريقه كثيرة جدا ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا ، وفي روایة لأحمد أنه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابيا وشهادوا به لعلى لما نوزع أيام خلافته ... وكثير من أسانيدها صلاح وحسان ، ولا يلتفت لمن قدح في صحته ولا لمن ردّه » (٢٣٢) .

أقول : وقد أخرج حديث الغدير شيخ الحديث عند أهل السنة الإمام مسلم في صحيحه وهذا نصه : « وعن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله (ص) يوماً فيينا خطيباً بما يدعى « خما » بين مكة والمدينة ، فحمد الله ووعظ وذكر ، ثم قال : أما بعد لا أليها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ... ثم قال وأهل بيته ... » (٢٢٣) . ولهذا يقول سبط بن الجوزي : « اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي (ص) من حجة الوداع في الثامن عشر من ذى الحجة ، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفا ، وقال من كنت مولاهم فعلى مولاه ، الحديث ، نص على الله عليه وأله وسلم على ذلك بتصريح العبارية دون التلويح والاشارة ، وذكر أبو اسحاق الشعبي في تفسيره بأسناده ، أن النبي (ص) لما قال ذلك طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار ... » (٢٣٤) .

وفي الخصائص للنسائى ، وهو أحد أصحاب الصحاح الستة عن زيد بن أرقم قال : « لما رجع النبي (ص) من

(٢٣٢) ابن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة - ص ٤٢ .

(٢٢٣) صحيح مسلم : ج ٧ - ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢٣٤) سبط بن الجوزي : تذكرة الخواص - ص ٢٠ - ٢١ .

حجۃ الوداع ونزل غدیر « خم » أمر بدوحات فقممن ثم قال : كأنی دعیت فأجبت وانی تارک فیکم الثقلین : أحدهما اکبر من الآخر ، کتاب الله وعترتی هل بیتی فانظروا کيف تخلفونی فيهما ، فانهما لن یفترقا حتی یردا على الحوض ... ثم قال : ان الله مولای وأنا ولی كل مؤمن : ثم أخذ بید على (رضی) فقال : من كنت ولیه ، فهذا ولیه ، اللهم وال من والاہ وعاد من عاداه ... فقلت لزید : سمعته من رسول الله (ص) قال : نعم ، وانه ما كان في الدوھات أحد الا ورأه بعينه وسمعه بأذنيه ... (٢٣٥) .

وفی کنز العممال للمتقی الهندي : « ... ان الله مولای وأنا ولی كل مؤمن من كنت مولاه فعلی مولاه ، اللهم وال من والاہ وعاد من عاداه ... » وقد اخرج المتقی الهندي هذا الحديث تارة عن زید بن ارقم وهو الحديث رقم ٩٥٤ ، وأخرى عن أبي هريرة ، وجابر ، وأبی سعید وابن عباس وغيرهم (٢٣٦) .

وفی الجامع لأحكام القرآن للقرطبی عند تفسیر قوله تعالى : « سأّل سائل بعذاب واقع » من سورة المعارج آیة (١) : « قيل أن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهری ، وذلك أنه لما بلغه قول النبي (ص) في على (رضی) : « من كنت مولاه فعلی مولاه » ركب ناقته فجاء حتى أanax راحلته بالأبطح ثم قال : يا محمد امرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منه ، ... الى قوله : ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا ، أفهذا شيء منك أم من الله ؟ فقال النبي (ص) : والله الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله » فولى الحارث

(٢٣٥) النسائي : الخصائص - ص ٢٩ - ٤٠ - ٤١ .

(٢٣٦) المتقی الهندي : کنز العممال - ج ١ - ص ١٦٧ - ١٦٨ .

وهو يقول : اللهم ان كان مما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم . فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله ، فنزلت : « سائل سائل ٠٠٠ » (٢٣٧) .

وفي شواهد التنزيل للحاكم النيسابوري عن أبي هريرة قال : « من صام يوم ثمانية عشر من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهرا ، وهو يوم غدير « خم » كما أخذ النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم بيـد عـلـى فـقـالـ : السـتـ ولـى المؤمنـينـ ؟ قـالـواـ : بـلـىـ يـارـسـولـ اللـهـ ، فـقـالـ : مـنـ كـنـتـ مـوـلاـهـ فـعـلـىـ مـوـلاـهـ ، فـقـالـ عمرـ بنـ الخطـابـ : بـخـ بـخـ لـكـ يـاـ اـبـىـ طـالـبـ أـصـبـحـتـ مـوـلاـهـ وـمـوـلـىـ كـلـ مـؤـمـنـ ، وـأـنـزـلـ اللـهـ : « الـيـوـمـ أـكـمـلـتـ لـكـ دـيـنـكـ » (٢٣٨) .

ويقول الشهريـانـىـ فـىـ المـلـلـ وـالـنـحـلـ : « وـمـثـلـ مـاـ جـرـىـ فـىـ كـمـالـ اـسـلـامـ وـاـنـتـظـامـ الـحـالـ حـيـنـ نـزـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : « يـأـيـهـ الرـسـوـلـ بـلـغـ مـاـ أـنـزـلـ إـلـيـكـ مـنـ رـبـكـ وـاـنـ لـمـ تـفـعـلـ فـمـاـ بـلـغـتـ رـسـالـتـهـ » ، فـلـمـ وـصـلـ غـدـيرـ خـمـ أـمـرـ بـالـدـوـحـاتـ فـقـمـنـ ، وـنـادـواـ : الصـلـاـةـ جـامـعـةـ ، ثـمـ قـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـهـوـ عـلـىـ الرـحـالـ : مـنـ كـنـتـ مـوـلاـهـ فـعـلـىـ مـوـلاـهـ ، اللـهـمـ وـالـمـ وـالـاـهـ ، وـعـادـ مـنـ عـادـاـهـ ، وـاـنـصـرـ مـنـ نـصـرـهـ ، وـاـخـذـلـ مـنـ خـذـلـهـ ، وـأـدـرـ الـحـقـ مـعـهـ حـيـثـ دـارـ ٠ أـلـاـ هـلـ بـلـغـتـ ؟ ثـلـاثـاـ ٠ » (٢٣٩) .

ويقول حـجـةـ اـسـلـامـ الغـزالـىـ : « أـجـمـعـ الجـمـاهـيرـ عـلـىـ مـقـنـ الـحـدـيـثـ مـنـ خـطـبـتـهـ فـىـ يـوـمـ غـدـيرـ خـمـ بـاـتـفـاقـ الـجـمـيعـ وـهـوـ يـقـوـلـ مـنـ كـنـتـ مـوـلاـهـ فـعـلـىـ مـوـلاـهـ ، فـقـالـ عمرـ بـخـ بـخـ

(٢٣٧) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ج ١٨ - ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٢٣٨) الحكم النيسابوري : شواهد التنزيل - ج ١ - ص ١٥٨ .

(٢٣٩) الشهريـانـىـ : المـلـلـ وـالـنـحـلـ - جـ ١ـ صـ ١٦٣ـ .

يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاى ومولى كل مولى ، فهذا تسليم ورضى وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة ، ولما مات رسول الله (ص) قال قبل وفاته ائتوا بدواة وبياضا لازيل لكم اشكال الأمر وأذكر لكم من المستحق لها بعدي قال عمر دعوا الرجل فانه يهجر . . . فاذن بطل تلقيكم بتأويل النصوص فعدتم الى الأجماع ، وهذا منصوص أيضا فان العباس وأولاده وعليها وزوجته وأولاده ، وبعض الصحابة ، لم يحضروا حلقة البيعة . . . وخالفكم أصحاب السقيفة في متابعة الخزرجي « (٢٤٠) »

وفي المستدرک على الصحيحين للحاکم عن زید بن ارقم قال : « لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدیر « خم » أمر بدوحات فقمن ، فقال كأنی قد دعيت فأجبت ، انی قد تركت فيکم الثقلین أحدهما أکبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتی فانظروا كيف تخلفونی فيما فانهما لمن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ثم قال : ان الله عز وجل مولاى وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيده على (رضي) فقال من كنت مولاه فهذا ولیه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . . » يقول الحاکم : هذا حديث صحيح على شرط الشیخین ولم یخرجاه ، وقد أخرجه الحافظ الذہبی في تلخیصه على المستدرک (٢٤١) .

وحدث الغدیر أخرجه أهل السنّة بطريق كثيرة ، منهم : ابن حجر العسقلاني في الأصابة (٢٤٢) ، والقدوزی في

(٢٤٠) أبو حامد الغزالی : سر العالمین وكشف ما في الدارین - ص ١٠ .

(٢٤١) الحاکم النسابوری : المستدرک على الصحيحین - ج ٢ - ص ١٠٩ .

(٢٤٢) ابن حجر العسقلانی : الأصابة - ج ٢ - ص ١٥ ، وأيضا ج ٤ - ص ٥٦٨ .

ينابيع المودة(٢٤٣) ، والمرizy فى خططه(٢٤٤) ،
والسيوطى فى تاريخ الخلفاء(٢٤٥) ، والمحب الطبرى
فى الرياض النضرة(٢٤٦) ، وابن خلkan فى وفيات
الاعيان(٢٤٧) ، والخطيب البغدادى فى تاريخ
بغداد(٢٤٨) ، وابن قتيبة فى الامامة والسياسة(٢٤٩) ،
وابن تيمية(٢٥٠) ، والمسعودى فى مروج الذهب(٢٥١)،
وغير هؤلاء من حملة الآثار من علماء أهل السنة ، اقتصر
الباحث على ذكر جملة منهم ليرى الدكتور احمد شلبى ،
وغيره ، أن حديث الغدير من الأحاديث المتوترة ، فان
كان هذا الحديث من الموضوعات ، فلازمه أن يكون هؤلاء
الذين ذكرناهم ، قد وضعوا الحديث ، وبالتالي يصدق
عليهم الحديث المتقدم : من كذب على ، ولكن ثبت عند أهل
السنة أن هؤلاء هم رواة الحديث الموثق بهم والمعتمد
عليهم ، فيكون الحديث حينئذ صحيحا .

اما تكذيب هذا الحديث - اى حديث الغدير - او
الموالة - فقد أجاب عليه الدكتور احمد محمود صبحى فى
قوله : « لما كان أهل الظاهر والسلفيون يوالون معاوية
فانه لم يكن لديهم مفر من اختيار : اما ترك هذه الموالة ،
او القول بشتى الوسائل فى الحديث ، وبالرغم من وجوب
خضوع العقائد للنصوص الا أن كثيرا من أصحاب المذاهب

(٢٤٣) القندوزى : ينابيع المودة - ج ١ - ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٤٤) المرizy : الخطط - ج ٢ - ص ٩٢ .

(٢٤٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء - ص ١٦٩ .

(٢٤٦) المحب الطبرى : الرياض النضرة - ج ٢ - ص ١٧٢ .

(٢٤٧) ابن خلkan : وفيات الاعيان - ج ٤ - ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢٤٨) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ٧ - ص ٤٣٧ .

(٢٤٩) ابن قتيبة : الامامة والسياسة - ج ١ - ص ١٠٩ .

(٢٥٠) ابن تيمية : حقوق آل البيت - ص ١٣ .

(٢٥١) المسعودى : مروج الذهب - ج ٢ - ص ٤٣٧ .

قد أخضعوا الأحاديث لأهوائهم ومذاهبهم » ويضيف « ٠٠٠ فان الحديث لا يدين من حارب عليا فحسب وإنما يدين كذلك أولئك الذين اعتزلوه ، وبذلك يلقى الضوء على حروب على التي أشتبه في أمرها المسلمين والتبس فيها وجه الحق « ٢٥٢ ٠

ومما تقدم تظهر الحقيقة من منع كتابة الحديث ، ويبدو أن أول من منع ذلك هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) في حياة رسول الله (ص) حينما دعاهم لحضور الدوامة والقرطاس وقول عمر حسبنا كتاب الله ، ما فرط في الكتاب من شيء . فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : « يوم الخميس ، وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى ، فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس ، قال : اشتد برسول الله (ص) وجعه ، فقال آئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع ، وقالوا ما شأنه أهجر استفهموه قال دوني فالذى أنا فيه خير ٠٠٠ » ٢٥٣ ٠

وفي رواية أخرى كما في الصحيحين عن ابن عباس قال : « لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي (ص) هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بهـ ، فقال عمر ان رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع ، وعنكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم

(٢٥٢) حسن عباس : الصياغة النطقية لل الفكر السياسي - ص ٣٥٠

(٢٥٣) صحيح البخاري : ج ٣ - ص ٦١ . صحيح مسلم : ج ٥ - ص ٧٥ ، تاريخ الطبرى : ج ٣ - ص ١٩٢ - ١٩٣ . أحمد بن يحيى البلاذري : أنساب الأشراف - ج ١ - ص ٥٦٢ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج ٢ - ص ٢١٧ ٠

رسول الله (ص) كتابا ، لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (ص) قال رسول الله (ص) قوموا ، قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم « ٢٥٤ ٠ ولهذا يقول أحمد أمين : « وقد أراد الرسول (ص) في مرضه الذي مات فيه أن يعين من يلي الأمر من بعده . . . » (٢٥٥) وأنت ترى أن المنع من كتابة الحديث ، بل وروايته لم تكن من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كانت من الخليفة عمر ، ذلك لئلا تنتشر وتشيع مثل أحاديث الغدير وغيرها ، الناصة على خلافة الإمام على بن أبي طالب عليه السلام . والظاهر من الرواية أن قول عمر بن الخطاب كان هو المقدم على قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

والذى يدل على أن المنع كان من الخليفة عمر بن الخطاب ، ما رواه ابن عساكر عن محمد بن اسحاق قال : « أخبرنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجمعهم من الآفاق ، عبد الله بن حذيفة ، وأبى الدرداء ، وأبى ذر ، وعقبة بن عامر ، فقال : ما هذه الأحاديث التى أفشيتها عن رسول الله فى الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال : لا ، أقيموا عندى ، لا والله لا تفارقونه ، ما عشت ، فنحن أعلم نأخذ منكم ، ونرد عليكم ، مما فارقوه حتى مات . وروى الذهبي فى تذكرة الحفاظ عن شعبة عن سعيد بن ابراهيم عن أبيه أن عمر حبس ابن مسعود وأبا

(٢٥٤) صحيح مسلم : ج ٥ - ص ٧٦ .

صحيح البخارى : ج ٣ - ص ٦١ - ٦٢ .

(٢٥٥) احمد أمين : يوم الاسلام - ص ٤١ .

الدرداء وأبا مسعود الأنصاري ، فقال : قد أكرتم الحديث عن رسول الله ، وكان قد حبسهم في المدينة ثم أطلقهم عثمان « (٢٥٦) » .

ومن هنا ينبغي أن نبحث عن الأسباب التي دعت إلى منع هؤلاء الصحابة من روایة الحديث ، فضلاً عن كتابته ، مع أنهم كانوا صادقين في أحاديثهم بنص قول عمر بن الخطاب ، حينما قالوا له تنهانا ، قال : لا ، والسبب في ذلك ، هو أن هذه الأحاديث كانت تتضمن الأحاديث التي تنص على خلافة علي بن أبي طالب .

يقول الدكتور حسن عباس حسن : « إن ظاهرة النهي عن روایة أحاديث الرسول نقاًلاً أو كتابة وجدت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب خاصة ، وذلك لكي لا تنتشر الأحاديث الخاصة بولاية الإمام علي ، والتي بدأ المسلمون يتحسسون حقيقة وأصول مجاريها ومراسيمها على ضوء ما أدى إليه اجتماع السقيفة » . وقد حبس عمر كبار الصحابة في المدينة بحجة تكوين مجلس المشورة في أمور المسلمين ، ولكن لا يفتن الناس بهم ، ويفتنوا هم بالدنيا « (٢٥٧) » .

ومما يؤيد ذلك ، ما أخرجه حافظ المغرب ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن قرظة بن كعب قال : خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر إلى صرار ٠٠٠ موضع قرب المدينة ، ثم قال لنا : أتدرون لم مشيت معكم ، قلنا : أردت أن تشيعنا وتكرمنا ؟ قال : ان مع ذلك لحاجة خرجت لها ، انكم لتأتون بلدة لأهلها دوى كوى النحل فلا تصديهم بالأحاديث لتشغلوهم ، جودوا القرآن ، وأقلوا الرواية

(٢٥٦) محمود أبو رية : أضواء على السنة الحمدية - ص ٢٧ .

(٢٥٧) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - ص ٢٢٣ .

عن رسول الله ، وأنا شريككم . فلما قدم قرظة قالوا :
حدثنا ، فقال : نهانا عمر « ٢٥٨ ٠ »

ومن هنا نلاحظ أن النهي كان من الخليفة عمر ، مع
أن السنة أصل من أصول التشريع كالقرآن لا يمكن
الاستغناء عنه في مقام العمل ، فكيف ينهى عنه . وفي
ذلك يقول الدكتور محمد حسين هيكل : « لقد أراد عمر بن
الخطاب أثناء خلافته أن يتدارك الحال في ذلك بأن يكتب
السنن ، فاستفتى أصحاب النبي في ذلك فأشاروا عليه
بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح
يوما وقد عزم الله له ، فقال : « أني كنت أريد أن أكتب
السنن واني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا » وعدل
عن كتابتها ، وكتب في الامصار عنها : « من كان عنده
شيء فليمحه » (٢٥٩) . ولهذا فإن الحديث الشريف ظل
يتناقل رواية أكثر من مائة عام ، وأنه في حياة النبي عليه
السلام ، وفي حياة الخلفاء الراشدين ، وفتره من الزمن
طويلة مدة الخلافة الاموية لم يكن الحديث مدونا – من
وجهة نظر بعض المسلمين – والسبب العام الذي يعزى
إليه تأخر تدوين الحديث هو كراهة أن يضاهي بكتاب الله
غيره أو يشتغل عن القرآن بسواءه (٢٦٠) ٠

يقول أبو رية : « هل يصح أن يدع النبي نصف ما
أوحاه الله إليه يغدو بين الأذهان بغير قيد ، يمسكه هذا .
وينساه ذلك ، ويزيديه فيه ذلك ، مما يصيب غير المدون في
كتاب محفوظ ، وهل يكون الرسول بعمله هذا قد بلغ
الرسالة على وجهها ، وأدى الأمانة كاملة إلى ربه ٠٠٠

(٢٥٨) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - ص ٢٨ .

(٢٥٩) محمد حسين هيكل : حياة محمد - ص ٦٦ - ٦٧ .

وأيضا السيوطي : تاريخ الخلفاء - ١٣٨ .

(٢٦٠) عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية - ص ٢٠ .

وعندما قال عمر عندما طلب النبي (ص) وهو يحضر أَنْ يكتب للناس كتاباً لِمَنْ يضلُّوا بعدها : حسِّبنا كتاب الله «(٢٦١) .

فعلى ضوء ما تم عرضه فهناك احتمالان للحديث المروي عن الرسول (ص) على ما يراه الدكتور حسن عباس : « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » .

أما أنه غير صحيح مدسوس .

أو أن الرسول (ص) في منعه قد ادخر وسيلة أخرى لحفظ سنته ومنها ما جاء في حديث التقلين ، فقد قرن العترة بالقرآن وأهل بيته في هذه الحالة هم الرواة الصادقون لسنته (ص) والمؤهلون لأداء ما يجب تجاه أمته ، وأنهم سيوضخونها بصورة صحيحة سليمة لا لبس فيها ولا غموض ولا دس ولا تشويه ، وأن روایة « لا تكتبوا عنى ... » مكملة لها ، وبذلك يكون قد قضى على أي احتمال للدس في السنة وتدوين ما ليس لها (٢٦٢) .

ويظهر مما تقدم أن كتابة الحديث عند أهل السنة بدأت في منتصف القرن الثاني الهجري وفي ذلك يقول بروكلمان : « ذكر الغزالى في كتاب : الأحياء والذهبى عن ابن تغري ، أن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج - المتوفى ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، ٧٦١ م أو سنة ١٥١ هـ وكان جده جريجاً عبداً رومياً ... كان أول من صنف أحاديث رسول الله (ص) ... » (٢٦٣) .

(٢٦١) محمود أبو رية : أصوات على السنة المحمدية - ص ٢٥ .

(٢٦٢) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - ص ٢٤٤ .

(٢٦٣) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٣ - ص ١٥١ .

وأيضاً محمود أبو رية : أصوات على السنة المحمدية - ص ٢٨ .

يقول العسقلانى : « وقد جمع فى ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ما وصل اليه اطلاع كل منهم ، فأول من عرفته صنف فى ذلك أبو عبد الله البخارى ، ٠٠ » (٢٦٤) . ويقول جرجى زيدان : « ومالك أول من دون الحديث فى كتاب الموطأ ، رتبه على أبواب الفقه ، وقيل أن ابن جريج أول من ألف فيه » (٢٦٥) .

ويرى الباحث أن أول من صنف فى الحديث من أهل السنة عبد الملك بن جريج ، وهذا ما نص عليه الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد (٢٦٦) . وغيره (٢٦٧) . وما ت سنة أحدى وخمسين ومائة (٢٦٨) . ولهذا « فلم يكن الحديث قد دون الى عهد متأخر من عصر الأمويين وقد أمر عمر بن عبد العزيز بجمعه ، ثم لم يجمع الا في عهد المؤمن ٠٠ » كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل (٢٦٩) .

أما موقف الشيعة من تدوين العلم وكتابته ، وخصوصا علم الحديث ، فهو مناقض تماماً ل موقف أهل السنة ، وهذا شيء محقق عند الشيعة كما يقول الشيخ باقر القرشى ، فلأنّ الإسلام منذ فجر تاريخه قد تبنى الدعوه الى تدوين العلوم ونقلها ، لما في ذلك من آثر في تطوير الحياة العلمية والثقافية ، فقد روى عن النبي (ص) انه قال « قيدوا العلم » . فانبرت اليه طائفة من أصحابه فقالوا له : « ما تقييده » ؟ « حتابته » (٢٧٠) وقال (ص) :

(٢٦٤) ابن حجر العسقلانى : الأصابة - ج ١ - ص ١ .

(٢٦٥) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - ج ٢ - ص ٧٥ .

(٢٦٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ١٠ - ص ٤٠٠ .

(٢٦٧) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - ص ٢٢٨ .

وأيضاً جميل نخلة الدور : حضارة الإسلام في دار السلام - ص ١٦٩ .

(٢٦٨) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ١٠ - ص ٤٠٧ .

(٢٦٩) محمد حسين هيكل : حياة محمد - ص ٦٦ .

(٢٧٠) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الإسلام - ص

« قيدوا العلم بالكتابة » (٢٧١) . و قال على بن أبي طالب
لا تكتبوا المصاحف صغاراً « (٢٧٢) .

و كان الحسن بن علي يقول لبنيه وبيني أخيه : « يا بني
وبني أخي تعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه -
أو قال يرويه - فليكتبه ولি�ضعه في بيته » (٢٧٣) .

و من هذه الأحاديث وغيرها ، يستند الشيعة في تدوين
العلم وكتابته ولها كانوا أسرع من غيرهم في التصنيف ،
والاشتغال في جميع العلوم ، حتى كانوا المؤسسين لها ،
وواعضى أصولها وقواعدها . ومن جملتها علم الحديث ،
حيث كان المقدم في ذلك على بن أبي طالب . فقد روى
السعودي عن أبي دعامة عن علي بن محمد عن أبيائه عن
علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله (ص) : « اكتب
يا على » قال : قلت : وما أكتب ؟ قال لي : « اكتب باسم الله
الرحمن الرحيم ، اليمان ما وقرته القلوب ، وصدقته
الأعمال والاسلام ما جرى به اللسان ، وحلت به المناكحة ،
قال أبو دعامة : فقلت يا ابن رسول الله ، ما أدرى والله
أيهما أحسن : الحديث أم الأسناد ؟ قال : إنها لصحيفة
بخط على بن أبي طالب باملاء رسول الله (ص) نتوارثها
صاغرا عن كابر » (٢٧٤) .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : « بدأت الأحاديث
الموضوعة تكثر إلى حد انكره على بن أبي طالب ، حتى
روى عنه أنه قال « ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا ما في

(٢٧١) السيوطي : المزهر - ج ٢ - من ٣٠٣ .

والحراني : تحف العقول - من ٢٥ .

(٢٧٢) المتنى الهندي : كنز العمال - ج ٢ - من ٢٢١ .

(٢٧٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد - ج ٣ - من ٣٩٩ .

(٢٧٤) السعدي : مروج الذهب - ج ٤ - من ١٧١ .

القرآن وما في هذه الصحيفة أخذتها من رسول الله فيها
فرائض الصدقة « (٢٧٥) ٠

وحيث أن الصحيفة يرويه أكثر العلماء . يقول أبو رية :
« هذا الحديث رواه الجماعة أحمد والشیخان وأصحاب
السنن بالفاسد مختلف . أما البخاري فقد رواه عن أبي
جحيفة في كتاب العلم بلفظ قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟
قال : لا ، الا كتاب الله ، أو فهما أعطيه رجالا مسلما ، أو
ما في هذه الصحيفة . ٠ ٠ ٠ (٢٧٦) ٠ كما جاء ذكر الصحيفة
في أبواب كثيرة من صحيح البخاري وكذلك مسلم وبقية
السنن (٢٧٧) ٠ وفي ذلك يقول بروكلمان : « والصحيفة
ال الكاملة أو زبور آل محمد وانجيل أهل البيت ، وتنسب
أيضا إلى على بن أبي طالب » (٢٧٨) ٠

يقول السيد حسن الصدر : « وأباحها - أى الكتابة -
طائفة وفعلوها منهم على وابنه الحسن كما في تدريب
الراوى للسيوطى وأملأى رسول الله (ص) على على
عليه السلام ما جمعه في كتاب مدرج عظيم قد رأه الحكم
بن عيينة عند الامام الباقر عليه السلام لما اختلفا في شيء
فأخرجها وأخرج المسألة وقال للحكم هذا خط على واملاء
رسول الله (ص) وهو أول كتاب جمع فيه العلم على عهد
رسول الله (ص) فعلمته الشيعة حسن تدوين العلم
وتربيته فبادروا إلى ذلك اقتداء بآمامهم » (٢٧٩) ٠

وأول من جمع الحديث من الشيعة ورتبه على الأبواب،

(٢٧٥) محمد حسين هيكل : حياة محمد - ص ٦٨ ٠

(٢٧٦) محمود أبو رية : أضواء على السنة - ص ٦٧ ٠

(٢٧٧) المصدر السابق : ص ٦٨ - ٦٩ ٠

(٢٧٨) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ص ١٨٣ ٠

(٢٧٩) السيد حسن الصدر : الشيعة وتراث الإسلام - ص ٦٥ ،

٦٦ ٠

أبو رافع مولى رسول الله ، وله كتاب السنن والأحكام والقضايا(٢٨٠) . وفي ذلك يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء : « مؤسس علم الحديث وهو أبو رافع مولى رسول الله (ص) صاحب كتاب الأحكام والسنن والقضايا ... ثم تلاه ولده على بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين ، وهو أول من صنف في الفقه بعد أبيه ثم أخوه عبيد الله بن أبي رافع ٠٠٠ » (٢٨١) .

وقد لزم أبو رافع على بن أبي طالب بعد وفاة النبي (ص) . وكان من خيار الشيعة ، وشهد معه حربه ، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة ، وكان ابناه عبيد الله وعلى كاتبى أمير المؤمنين ، وله كتاب السنن والأحكام والقضايا وهو أول من جمع الحديث ورتبه بالأبواب . كما يقول الشيخ عباس القمي(٢٨٢) . يقول ابن الأثير : « كان أبو رافع مولى رسول الله (ص) خازناً لعلى على بيت المال ٠٠٠ » (٢٨٣) .

وقال النجاشي في كتاب فهرست أسماء المصنفين من الشيعة ما لفظه : ولابن رافع مولى رسول الله (ص) كتاب السنن والأحكام ٠٠٠ ومات أبو رافع سنة خمس وثلاثين بنص ابن حجر في التقريب ٠٠٠ » (٢٨٤) . ولهذا يرى محمد أبو زهرة : « أن الشيعة أول من دون الحديث عن النبي ، وينسب إلى على أنه أول من دونه ، فيقال أنه صنف أحاديث رسول الله (ص) في عهده » (٢٨٥) .

(٢٨٠) محمود أبو رية : أضواء على السنة الحمدية - ص ٢٤٥ .

(٢٨١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - ص

٢٦ - ٢٧ .

(٢٨٢) عباس القمي : الكنى والألقاب - ج ١ - ص ٧٦ .

(٢٨٣) ابن الأثير : الكامل - ج ٢ - ص ٢٠٠ - وأيضاً الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد - ج ١٠ - ص ٣٠٤ .

(٢٨٤) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٦٦ .

(٢٨٥) محمد أبو زهرة : محاضرات في أصول الفقه الجعفري -

ص ١٦١ .

ومن الذين صنفوا في الحديث من الشيعة ، ميثم بن يحيى التمار ، من خواص على بن أبي طالب ، وصاحب سره ، له كتاب في الحديث جليل ... ومات بالكوفة ، قتله عبيد الله بن زياد على التشيع (٢٨٦) . لهذا نص الحافظ الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب ، على أن التشيع في التابعين وتابعهم كثير مع الدين والورع والصدق . ثم قال : فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذا مفسده بيته (٢٨٧) .

يقول السيد محمد باقر الصدر : « ومن أهم الانجازات التي حققها جعفر الصادق هو أنه وضع أساس التأليف في الإسلام ... يحرض على التدوين والتأليف ، ويكون هو الباديء بذلك ، ثم يتداعي طلابه إلى التدوين والتأليف حتى يصلح عدد ما ألفوه أربعين كتاب لأربعين مؤلف وتبرز دعوته إلى التدوين بمثل قوله لتلاميذه : اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا ، ومثل قوله للمفضل بن عمر : أكتب وبث علمك في أخوانك فان مت فورث كتب بذيك » (٢٨٨) . ولهذا « فقد أخذت الجموع المذهبية للشيعة من هذه الأصول الأربعين » (٢٨٩) . « وقد أثر عن أصحاب الأئمة كتب كثيرة في السنن سميت بالأصول عرف منها أربعين كتاباً أصل ، جمعت ونقحت بعد ذلك في أربعة كتب » (٢٩٠) . كما يقول الدكتور رشدي عليان .

(٢٨٦) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٦٩ - ٦٧

(٢٨٧) الذهبي : ميزان الاعتدال - ج ١ - ص ٤ .

(٢٨٨) محمد باقر الصدر : جعفر الصادق - دائرة المعارف الإسلامية الشيعية - ج ٢ - ص ٨١ .

(٢٨٩) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - ص ٢٣٦ .

(٢٩٠) رشدي محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة - ص ٦١ . هامش ٤٦

وهكذا كان الشيعة أساس التأليف والتدوين لشئىء علوم الاسلام ، ومنها علم الحديث والذين جاءوا بعدهم ، سلکوا طريقتهم فى التأليف والتصنيف ، فكان لهم الآخر العميق فى الحركة العلمية في الاسلام . يقول بروكلمان : « وقد رأينا في كتاب الموطأ لمالك بن أنس ، وفي مجموعة زيد بن علي ، نموذجاً لأسلوب التصنيف الذي كان يحتذيه من صنف قبلهما » (٢٩١) . ومن هنا يظهر عدم صحة ما ذهب اليه الدكتور رشدى عليان في قوله : « وهذا ما يفسر لنا نضج الدراسات الفقهية ، والأصولية ، وبدء مرحلة التصنيف عند أهل السنة قبل الامامية بما يقرب من قرنين من الزمان » (٢٩٢) . مع أن نضج الدراسات الفقهية والأصولية بدأت على أيدي الشيعة أيضاً كما سيوضحه الباحث .

١٤ - علم غريب الحديث :

من العلوم التي اشتغل بها المسلمون علم غريب الحديث . يقول ابن الأثير في مقدمة كتاب النهاية : « فقيل أن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ، أبو عبيدة معمراً بن المثنى التميمي ، فجمع من الفاظ غريب الحديث والآخر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمررين : أحدهما أن كل مبدئ لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر . والثاني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم » (٢٩٣) . ثم يستطرد

(٢٩١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٢ - ص ٢٢٣ .

(٢٩٢) رشدى محمد عليان : العقل عند الشيعة - ص ٦٠ .

(٢٩٣) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر - ج ١ - ص ٥ .

في القول : « ثم جمع أبو الحسن النضر بن شمبل المازني
بعده كتابا في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ٠٠٠
وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه ٠٠٠ » (٢٩٤) .
وفي ذلك يقول ياقوت : « عمر بن المثنى ٠٠٠ وهو أول
من صنف غريب الحديث أخذ عن يونس بن حبيب ٠٠٠ إلا
أنه يتم بشيء من رأي الخوارج » (٢٩٥) .

والغريب من ابن الأثير أن يعتبر أبو عبيدة عمر أول
من ألف في غريب الحديث مع أنه توفي على أقل الروايات
سنة تسع ومائتين (٢٩٦) . مع أن النضر بن شمبل المازني
وله من التصانيف كما يقول ياقوت « كتاب غريب الحديث »
مات سنة أربع ومائتين (٢٩٧) . وفي ذلك يقول ابن
الانتباري : « وصنف أبا النضر ٠٠٠ كتابا ، منها كتاب
« غريب الحديث » ٠٠٠ وتوفي النضر سنة ثلاثة أو أربع
ومائتين في خلافة المأمون » (٢٩٨) .

ومن الذين صنفوا في غريب الحديث قبل أبو عبيدة
عمر - اسحاق بن مرار أبو عمرو - الكوفى قال الخطيب
البغدادى : كان أبو عمرو راوية أهل بغداد واسع العلم
باللغة والشعر ثقة في الحديث ٠٠٠ وهو عند الخاصة من
أهل العلم والرواية ، مشهور معروف ، والذى قصر به
عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهتراً ٠٠٠ وصنف ٠٠٠
غريب الحديث ٠٠٠ ومات أبو عمرو سنة ست - أو خمس

(٢٩٤) المصدر السابق : ص ٥ .

(٢٩٥) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٩ - ص ١٥٥ .

(٢٩٦) الققاطى : انباه الرواة - ج ٢ - ص ٢٨٠ .

(٢٩٧) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٩ - ص ٢٤٣ .

(٢٩٨) ابن الانتباري : نزهة الألباء - ص ٨٥ - ٨٨ .

ومائتين .٠٠٠ وقد بلغ مائة سنة وعشرين سنين ، وقيل
ثمان عشرة «(٢٩٩) .

١٥ - علم الفقه :

« ان أثمن ثمرات الفكر الاسلامي .٠٠٠ هي التي نبتت
في أرض الفقه لأنها كانت تحمل خصائص العقلية العربية
وسمات الاتجاه الاسلامي ، وما استطاع الفكر الاسلامي
أن يثير الثقافة بانتاجه الا عندما وجد فقهاء فهموا هذا
المنهج فيما سليمان .٠٠٠ «(٣٠٠) .

وكان للشيعة في العصر الأول من الاسلام نشاط
مستقل في هذا الفن ، اذ ينسب اليهم تأسيس علم الفقه .
يقول ابن النديم : « من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام
سليم بن قيس الهلالي ، وكان هاربا من الحجاج لأنه طلبه
ليقتلته فلحا إلى أبان بن أبي عياش .٠٠٠ وأعطاه كتابا وهو
كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور .٠٠٠ وقال أبان في
حديثه : وكان قيس شيخا له نور يعلوه ، وأول كتاب ظهر
للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي(٣٠١) . وهو
مطبوع(٣٠٢) .

يقول بروكلمان : « .٠٠٠ ان أول كتب للشيعة كان :
كتاب الأصل لسليم بن قيس الهلالي الذي هرب من
الحجاج .٠٠٠ «(٣٠٣) . وهو أصل من أصول الشيعة ،
وأقدم كتاب في الإسلام في عصر التابعين بعد كتاب السنن

(٢٩٩) السيوطي : بغية الوعمة - ج ١ - ص ٤٤ .

(٣٠٠) سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الإسلامية - ص ٨٩ .

(٣٠١) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٢١ - ٣٢٢ .

(٣٠٢) انظر كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري صاحب
الامام أمير المؤمنين (ع) المتوفى (حدود سنة ٩٠) .

(٣٠٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٣ - ص ٣٣٥ .

لابن أبي رافع ، حاز بذلك مؤلفه قصب السبق ٠٠٠ على من بعده ، وكان ذلك الكتاب في جميع الأعصار أصلاً ترجع الشيعة إليه وتعول عليه ٠٠٠ « (٣٠٤) ٠

وقد تقدم على سليم بن قيس الهلالي في تصنيف علم الفقه على بن أبي رافع مولى رسول الله (ص) ٠ ولهذا قال النجاشي في ذكر الطبقة الأولى من المصنفين من الشيعة : على بن أبي رافع ٠٠٠ هو تابع من خيار الشيعة ٠٠٠ وجُمِع كتاباً في فنون الفقه ، في الوضوء ، والصلوة وسائر الأبواب ، وتفقه على أمير المؤمنين (ع) وجمعه في أيامه ، أوله باب الوضوء ٠٠٠ قال و كانوا يعظمون هذا الكتاب فهو أول من صنف فيه من الشيعة ٠٠٠ وذكر الجلال السيوطى أن أول من صنف يعني من أهل السنة في الفقه الإمام أبو حنيفة لأن تصنيف على بن أبي رافع في ذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام قبل تولد الإمام أبي حنيفة بزمان طويل ٠٠٠ « (٣٠٥) ٠

ولما نشطت الحركة الفكرية في عصر الصادق ، نشطت كذلك حركة الفقه ، وكان للشيعة في هذا العصر نشاط كبير فيه ، وقد صنف الإمام جعفر كتبًا مختلفة مثل كتاب « مصباح الشرعية ومفتاح الحقيقة » المطبوع في طهران ومثل كتاب « فقه الرضا » لعلى الرضا حفيده وهو كسابقه مطبوع بطهران (٣٠٦) ٠

وأما غير الشيعة من المسلمين ، فقد تأخر تصنيفهم

(٣٠٤) انظر ترجمة سليم بن قيس من كتاب بحار الأنوار للمجلسى - ج ١ - ص ١٥٦ - ١٥٧ ٠

(٣٠٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٨٠ - ٧٩ ٠

(٣٠٦) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى - ص ١٢٢ ٠

في هذا الفن يقول بروكلمان : « وقد روى أن معاوية بن عبيد الله بن يسار ، كاتب المهدى ، المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، ٧٨٠ مـ كان أول من صنف كتاباً في الخارج » (٣٠٧) . ومهما يكن ، فهذه الأعمال الفقهية العلمية التي أزدهرت في أثناء القرن الثاني الهجرى ، أضافت إلى الثقافة العقلية الإسلامية مادة جديدة هي « علم الفقه » (٣٠٨) وذلك بفضل الجهود التي قام بها الشيعة في إضافة هذا العلم إلى الفكر والثقافة الإسلامية .

١٦ - علم أصول الفقه :

ومن العلوم التي أضافها الفكر الشيعي إلى الثقافة الإسلامية ، علم أصول الفقه ، وأول من فتح بابه ، وفتق مسائله الإمام محمد بن على الباقر وبعده ابنه جعفر الصادق ، فقد أملأيا فيه على جماعة من تلامذتها قواعده ومسائله (٣٠٩) . وأقام الإمام الصادق بالمدينة لا ييرحها ، يعلم الناس ويفقههم ويواصل وضع أصول الفقه ويشرع للفقهاء كيف يستبطون الأحكام عندما لا يجدون الحكم في الكتاب والسنة » (٣١٠) . وقد برع من تلامذته هشام بن الحكم ، ويونس بن عبد الله ، وكانا أول من صنفا في هذا العلم من الشيعة وفي ذلك يقول أبو زهرة : « وكلام العالمين » هشام ، ويونس » من علماء النصف الثاني من القرن الثاني الهجرى الذين عاصروا أصحاب أبي حنيفة ، واذن فقد تصدى من فقهاء الشيعة من غкроها في أصول

(٣٠٧) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٣ - من ٢٣٣ .

(٣٠٨) جولد تسيلر : العقيدة والشريعة في الإسلام - من ٤٧ .

(٣٠٩) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٩٥ .

(٣١٠) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات إسلامية -

ص ٥١ .

الاستنباط ، بل قد دونوا بعضها ، وأن أصول الفقه في هذا الزمان الذي ظهر فيه هذان العمالان كانت تتحو في اتجاه وضع مناهج الاستنباط ووضع المقاييس الضابطة من غير دفاع عن مذهب معين ٠ ٠٠٠ (٣١١) ٠

ويقول أيضا : « ولنعرض لسبق تلاميذ الإمام الصادق للإمام الشافعى في تدوين علم أصول الفقه ، لقد ذكر الكاتب الفاضل - السيد حسن الصدر - أن هشام بن الحكم قد سبق الشافعى بكتابه الذي كتب في الألفاظ ، وأن يونس بن عبد الرحمن قد سبقه بكتاب الحديث ، وهذان الموضوعان بلا ريب جزءان من علم أصول الفقه ، ولكنهما ليسا هذا العلم ، والكتابة فيها لا تعد تصنيفا كاملا في هذا العلم ٠ ٠٠٠ ثم يستطرد في القول : وبهذا ننتهي إلى أن الأمامين العظيمين (محمد الباقر وجعفر الصادق) ، لم يسبقا الإمام الشافعى بالتصنيف ، ولا يغض ذلك من مقامهما ، فلم يعكفا على التأليف بل عكفا على البحث والتوجيه والتلقين والارشاد ، ولم يكن التأليف والتصنيف قد بلغ الشأو في عهدهما ، نعم كان هناك تدوين ، ولكن لا يعد تأليفا ، وأن تدوين المذكرات والأقوال كان في آخر عهد الصحابة رضوان الله عنهم » (٣١٢) ٠

والذي ذهب إليه أبو زهرة ، من أن التأليف لم يكمل حتى جاء الإمام الشافعى ، مخالف لما ذكره صاحب الفهرست ، أن لعيسى بن عمر أحد قراء البصريين كتاب الجامع وكتاب المكمل وقد مات سنة تسعة وأربعين ومائة (٣١٣) ٠ وقوله أيضا أن « يونس بن عبد الرحمن

(٣١١) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق - ص ٢٧٥ ٠

(٣١٢) نفس المصدر : ص ٢٦٩ ٠

(٣١٣) ابن النديم : الفهرست - ص ٦٨ ٠

من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام من موالي آل يقطين ، علامة زمانه ، كثير التصنيف والتاليف على مذاهب الشيعة ، وله من الكتب : كتاب علل الأحاديث ، كتاب الصيام ، كتاب الزكاة ، كتاب الوضايا والفرائض ٠٠٠ (٣١٤) . وقول الأشعري في مقالاته : « رجال الرافضة ومؤلفو كتبهم ، هشام بن الحكم ٠٠٠ وعلى بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن القمي ٠٠٠ (٣١٥) . وقول الشهريستاني : « ومن مؤلفي كتبهم - أئمّة الشيعة - هشام بن الحكم ٠٠٠ ويونس بن عبد الرحمن ٠٠٠ (٣١٦) . كما أن للخليل من الكتب كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط ، وكتاب فائت العين وكتاب الأيقاع (٣١٧) . ولأبان بن تغلب المتوفى سنة مائة وحادي وأربعين للهجرة ، كتاب في القراءات وكتاب في معانى القرآن وكتاب في أصول الحديث على مذهب الشيعة (٣١٨) . وقول الزركلي : « أبو حمزة الثمالي المتوفى سنة مائة وخمسين من رجال الحديث الثقات عند الإمامية ٠٠٠ وله كتاب في تفسير القرآن ، وكتاب الزهد ، وكتاب النوار » (٣١٩) . وفي معجم الأدباء لياقوت ، إن المرواسي من الكتب : كتاب الفيصل رواه جماعة وهو يروى إلى اليوم ، كتاب معانى القرآن ، كتاب التصغير ، كتاب الوقف والابتداء الكبير ، كتاب الوقف والابتداء الصغير ، وتوفي في زمن الرشيد (٣٢٠) . وفي ذلك يقول بروكلمان : « ونسبت كتب

(٣١٤) المصدر السابق : ص ٣٢٣ .

(٣١٥) الأشعري : مقالات المسلمين - ج ١ - ص ١٢٤ - ١٣٥ .

(٣١٦) الشهريستاني : الملل والنحل - ج ١ - ص ١٩٠ .

(٣١٧) ابن النديم : القهرست - ص ٧١ .

(٣١٨) نفس المصدر : ص ٣١٢ .

(٣١٩) خير الدين الزركلي : الأعلام - ج ٢ - ص ٨١ .

(٣٢٠) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٨ - ص ١٢٥ . وابن النديم :

الفهرست - ص ١٠٢ . والسيوطى : بقية الوعاء - ج ١ - ص ٨٣ .

أيضاً إلى حفيد على زين العابدين على بن الحسين السجاد المتوفى سنة ٩٢ هـ - ٧٩٠ م ، الزاهد والوصية ٠٠٠ طبع في مجموعة بالقاهرة ١٣٤٤ هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي (٣٢١) . كما أن الإمام الصادق أله في الفقه كتاب « مصباح الشرعية » وكتاب « فقه الرضا » لعلى الرضا وكل منها مطبوع كما مر . وغير هؤلاء كثيرون ، ذكرهم أصحاب الفهارس من مصنفى الشيعة . مما ذهب إليه الشيخ أبو زهرة من أن التأليف لم يكن في زمان هشام بن الحكم لا دليل عليه وإنما الدليل خلافه ، بالإضافة إلى ما ذكره الباحث من أن التصنيف كان في القرن الأول للهجرة كما سيتضح .

أما أول من أفرد بعض مباحث علم الأصول بالتصنيف من الشيعة ، هشام بن الحكم تلميذ الإمام جعفر الصادق ، صنف كتاب الألفاظ ومباحتها ، وهو من أهم مباحث هذا العلم (٣٢٢) . ثم يونس بن عبد الرحمن تلميذ الإمام موسى بن جعفر ، صنف كتاب اختلاف الحديث وهو مبحث تعارض الدليلين ، والتعارض والترجيح بينهما (٣٢٣) .

أما قول السيوطى في كتاب الأوائل ، ان أول من صنف في أصول الفقه الشافعى بالإجماع يعني من الأئمة الأربع من أهل السنة (٣٢٤) .

وعندما نشطت الحركة العلمية الفقهية والأصولية ، جمع علماء الشيعة بين الفقه وأصوله ، وكانوا السابقين

(٣٢١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ص ١٨٣ .

(٣٢٢) ابن التديم : الفهرست - ص ٢٦٤ .

(٣٢٣) نفس المصدر : ص ٣٢٢ . والسيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الإسلام - ص ٩٤ .

(٣٢٤) السيد حسن الصدر : نفس المصدر - ص ٩٥ .

في هذا الجمع . يقول أبو زهرة : « كما يلاحظ أن الذين كتبوا في الفقه عند أخواننا الأثنا عشرية كانوا يجمعون بين الفقه وأصوله ، وبين علوم أخرى فالطوسى مثلاً كان له نشاط في الفقه وأصوله ، كما كان له نشاط واضح في علم التفسير وعلم الكلام ، والشريف المرتضى كان كذلك ، وإذا يمتننا جانب السنة نجد العلماء الذين جمعوا بين الفقه وأصوله وعلم الكلام والتفسير ، فنجد حجة الإسلام الغزالى ، ونجد فخر الدين الرازى ، ونجد الأمدى ، .. وغيرهم من علماء الفقه وأصول الكلام ، مما تختلف مناهجهم في علم الكلام » (٣٢٥) . ومن الواضح أن السيد المرتضى والشيخ الطوسى ، قد سبقا الغزالى وغيره في هذا الفن . حيث ولد الشيخ الطوسى سنة ٣٨٥ هـ وولد استاذه السيد المرتضى قبل ذلك (٣٢٦) . أما الغزالى فكان مولده سنة ٤٤٠ هـ . ومكذا أثرى الشيعة الفكر والثقافة الإسلامية بفن جديد هو علم الفقه وأصوله .

١٧ - الفقه المقارن ، أو الخلافي :

لقد أدى تعمق الشيعة في علم الفقه وأصوله إلى ظهور «الفقه المقارن» أو «الخلافي» في الثقافة الإسلامية ، فحينما تمركزت المدرسة الشيعية في الفقه في بغداد ، وفرضت وجودها على الأجزاء العلمية في حاضرة العالم الإسلامي ، أثار ذلك أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى ، وأعلنوا المعارضة بوجه المدرسة بصورة صريحة ، وأشاروا المسائل الخلافية بصورة حادة وأدى ذلك إلى اصطدام فقهاء الشيعة بفقهاء المذاهب الأخرى في الندوات وال المجالس العامة في المسائل الفقهية الخلافية (٣٢٧) .

(٣٢٥) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق - من ٢٨٣ -

(٣٢٦) انظر الشيخ الطوسى في رسالة الدكتوراه للمؤلف .

(٣٢٧) الأصفى : مقدمة كتاب اللمعة - ج ١ - من ٦٣ -

ومهما يكن من أمر ، ومهمما كانت الدوافع السياسية
التي كانت تشيرها هذه المسائل ، فقد أدى ذلك إلى خصوبة
البحث الفقهي ، فالخلاف والانشقاق دائمًا يؤدي إلى
الخصوصية لا العقム كما يدل على الخصوبة الذهنية
لا عقمه .

وكان من أثر ظهور الخلاف بين « الفقه الإمامي »
والذاهب الفقهية الأخرى ، أن تفرغ فقهاء الشيعة لبحث
المسائل الخلافية بصورة موضوعية وبشكل مسهب ، « ومن
الذين كتبوا في علم الأصول في المائة الثالثة ... الفقيه
الشيعي العظيم محمد بن الجنيد ، وكان فقيها ، ... وكان
على علم بالفقه المقارن ، وكان يقارن بين فقه الإمامية
وفقه الجمهور ، وكان منهاجه في الدراسة الفقهية
أن يجمع بين النظائر المشابهة في عقد واحد ، ولعله
بهذا أول من ألف في الأشباه والنظائر في الفقه
الإسلامي » (٣٢٨) . ولا شك أن محمد بن الجنيد كان
متقدما في التصنيف في الفقه المقارن على كل من الشيخ
الطوسي والسيد المرتضى بحوالى قرن من الزمن .

وقد تقدم على ابن الجنيد من علماء الشيعة في علم
الخلاف أو الفقه المقارن ، محمد بن عمر الواقدي المولود
سنة مائة وثلاثين للهجرة ، والمتوفى سنة سبع ومائتين وله
كتاب الاختلاف . يقول ابن النديم : أبو عبد الله محمد بن
عمر الواقدي ... وكان يتشيّع حسن المذهب ... وله من
الكتب ... كتاب الاختلاف ويحتوى على اختلاف أهل
المدينة والكوفة في الشفعة ، والصدق ، والعمرة ، والرقبى
والوديعة والعارية والبضاعة والمضاربة والغصب والسرقة

(٣٢٨) محمد أبو زهرة : الإمام الصادق - ص ٢٧٦

والحدود والشهادات وعلى نسق كتب الفقه ما يبقى (٣٢٩) . كما وأن لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي أشهر متكلمي الشيعة ببغداد المتوفى سنة ٣٠٠ هـ ٩١٢ م رسالة في بيان مذاهب الفرق موجود في مكتب النجف أبادى (٣٣٠) . وكتاب أوائل المقالات في المذاهب المحتارات لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد وابن المعلم المتوفى سنة ٤١٣ هـ (٣٣١) . وقد ذكر ياقوت تصانيف السيد المرتضى ، وذكر منها « كتاب مسائل الخلاف في الفقه » (٣٣٢) .

وقد صنف في الفقه المقارن القاضي أبو حنيفة نعمن بن أبي عبد الله محمد بن منصور قاضي مصر ، المتوفى سنة ٣٦٣ هـ نقله ابن خلكان ، وأسممه « اختلاف الفقهاء » (٣٣٣) وكتاب « اختلاف أصول المذاهب » (٣٣٤) المطبوع بدار الاندلس ، بيروت سنة ١٩٧٣ . وفيه يقول : « وقد سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد ، عن علة اختلاف الناس بعد رسول الله ، وكيف يختلفون بعد رسول الله ؟ » (٣٣٤) . بالإضافة إلى كتاب الانتصار للسيد المرتضى (٣٣٥) ، وكتاب الأعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام مما اتفقت العامة على خلافهم فيه للشيخ المفيد (٣٣٦) .

- (٣٢٩) ابن الديم : الفهرست - ص ١٥١ ، ١٥٠ . وأيضاً غا بزرك الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة - ج ١ - ص ٣٦٠ .
- (٣٣٠) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٣ - ص ٣٣٨ .
- (٣٣١) المصدر السابق : ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- (٣٣٢) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٣ - ص ١٤٨ .
- (٣٣٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٥ - ص ٤٨ .
- (٣٣٤) القاضي النعمان : اختلاف أصول المذاهب - ص ٣٢ .
- (٣٣٥) الأصفى : مقدمة كتاب اللمعة - ج ١ - ص ٦٣ .
- (٣٣٦) المصدر السابق : ص ١٤ .

واما ما ي قوله طاش كبرى زاده : « ٠٠٠ أن أول من أخرج علم الخلاف فى الدنيا أبو زيد الديبوسى بتخفييف الباء الموحدة الحنفى وهو عبید الله بن عمر بن عيسى له كتاب « الأسرار » وكتاب « تقويم الأدلة » كلاهما من أصول الفقه ٠٠ توفي ببخارى سنة ثلاثين وأربعين وقىيل يوم الخميس منتصف جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثالث وستين سنة (٣٢٧) . فقد عرف مما تقدم أن الشيعة هم الذين أوجدوا هذا العلم وصنفوا فيه قبل غيرهم بأكثر من قرنين ونصف من الزمن .

« هذا هو علم أصول الفقه عند الامامية فى القرن الثالث الهجرى ، وفد جاء القرن الرابع ، وفيه نما علم أصول الفقه عند الامامية نموا عظيما (٣٢٨) . والسبب فى ذلك « أن باب الاجتهد مفتوح عند أكثرهم ، وهم الذين لا يقفون عند آقوال الآئمة ان لم يعرف نص لهم فى المسالة التى تعرض من بعدهم ، بل يستنبطون فى غير قياس ، ٠٠ ولأن باب الاجتهد مفتوح كان لابد أن يعنوا بقواعد الاستنباط لكيلا يكون الامر فرطا من غير ضابط يضبطه ، فكانت من أجل ذلك العناية بهذا العلم ودراسته (٣٢٩) .

ولقد نمى هذه الدراسة وجود علماء من بعد القرن الثالث عكفوا على الفقه وأصوله ، فدونوه ورتبوا أبوابه ، وفتحوا عيونه ، وأجروا جداوله وكان فى كل قرن من القرون التالية علماء أجلاء كتبوا في الفقه ، فى فروعه وأصوله ، وكان أكثر الذين كتبوا هذه الأصول من المتكلمين الذين جمعوا بين الدراسات الفقهية العملية المقتبسة من المؤثر

(٣٢٧) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - ج ١ - ص ٢٥٤

(٣٢٨) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - ص ٢٨٠

(٣٢٩) المصدر السابق : ص ٢٨١ - ٢٨٢

عن الأئمة ، والدراسات النظرية المجردة التي استمدواها من دراساتهم الفلسفية (٣٤٠) .

هذا وقد برع علماء الشيعة وأبدعوا في هذا العلم وفي الفقه نفسه ، وأسسوا القواعد ، وفرعوا الفروع ، وماز الوالى يتدرجون في مراقي علوه ، جيلاً بعد جيل ، حتى بلغوا النهاية فيه ، ونشروهما في أرجاء البلاد الإسلامية وفتحوا لها المدارس العالية ، وألفوا لها الكتب المطلولة والمختصرة ، وألقوا الدروس والباحثون العالية على طلابهما من العلماء والأفاضل من أعلى المناصب ، وفي حلقات الدروس ، حيث تزدحم فيها العشرات والمائات من طلابهما يتلقون من أكابر أساتذتهم وشيوخهم التحقيقات والتدقيقات القيمة ثم هم أيضاً يلقونها على تلامذتهم وهكذا تلامذتهم حسب درجاتهم ، حتى ألفت فيها كتب لا تحصى ، ولذلك فقد هاجر اليهم من أنحاء البلاد الإسلامية آلاف من طلاب العلوم وعشاق المعرف (٣٤١) . « ولذلك نرى أنه يتخرج في كل عصر ، بل ومن كل مصر ، ثلة من جهابذة الفن من حملوا مشعل العلوم والمعارف الإسلامية لجيئهم وللأجيال القادمة ، وهي أمانات يبلغها رجالات من حباهم الله بنور العلم والحقيقة إلى من بعدهم » (٣٤٢) .

١٨ - علم التاريخ والمغارى والسير :

« كان التاريخ ثمرة ناضجة في بستان الثقافة الإسلامية ، وموضع الدرس والاقبال من الطلاب في مختلف جوانبه ، بدءاً بأيام العرب القديمة ، وظلت تروى شفافها

(٣٤٠) المصدر السابق : ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٣٤١) السيد علي تقى الحيدرى : أصول الاستنباط - ص ٢٢ -

٣٤

(٣٤٢) نفس المصدر : ص ٣٤ .

بالطريقة التقليدية أو المدونات التي تسجل الأحداث شهرا
فشهرا ، وعاما فعاما « (٣٤٣) ٠

وكان للشيعة أثر كبير في اخراج هذا العلم إلى الوجود
في تاريخ الإسلام . وأول من صنف في ذلك من علماء
الإسلام أبان بن عثمان الأحمر المتوفى سنة ١٤٠ هـ من
 أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق (٣٤٤) . يقول
ياقوت : « ٠٠٠ وقد أخذ عنه من أهل البصرة أبو عبيدة
معمر بن المثنى ، وأبو عبد الله محمد بن المثنى ، وأبو
عبد الله محمد بن سلام الجمحي ، وأكثروا الحكاية عنه في
أخبار الشعراء والنسب وال أيام ، روى عن أبي عبد الله ،
وأبى الحسن موسى بن جعفر ، وما عرف من مصنفاتة
الا كتاب جمع فيه المبدأ والمبعث ، والمغازي ، والوفاة ،
والسقيفة ، والردة » (٣٤٥) . وفي ذلك يقول الزركلى في
الاعلام : « أبان بن عثمان بن يحيى ٠٠٠ المعروف بالأحمر ،
عالم بالأخبار والأنساب امامي ، أصله من الكوفة ، وكان
يسكنها تارة ويسكن البصرة تارة أخرى ، ومن أخذ عنه
أبو عبيدة معمر بن المثنى ٠٠٠ له كتب منها « المغازي » في
أخبار المبدأ والمبعث ، وغزوات الرسول (ص) والسقيفة
والردة » (٣٤٦) . ثم محمد بن السائب الكلبي ، وابنه
هشام ، ومحمد بن اسحاق المطبلبي ، وأبو مخنف الأزدي ،
وكل من كتب في هذا الفن فهو متاثر بهم ، ومعتمد عليهم ،
والجميع من أعلام الشيعة ، ثم تلامهم أكابر المؤرخين وكثيرهم
من الشيعة أيضا ، كأحمد بن خالد البرقى ، صاحب كتاب
المحاسن ، ونصر بن مزاحم المقرى ، واليعقوبى أحمد بن

(٣٤٣) خوليان رايير : التربية الإسلامية في الأندلس - ص ٧٩ ٠

(٣٤٤) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها -
ص ٢٨ ٠

(٣٤٥) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١ - ص ١٠٩ ٠

(٣٤٦) الزركلى : الاعلام - ج ١ - ص ٢١ ٠

يعقوب المطبوع تاریخه فی أوربا وفی النجف ، ومحمد بن طباطبا صاحب الآداب السلطانية(٣٤٧) .

« ويعتبر هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأبوه محمد ، أول من كتب من العرب في علم التأريخ كما اشتهر كل منها بتحرى الدقة في روایته (٣٤٨) . كما يعتبر هشام الكلبي أول من صنف في كل أنواع التأريخ بالاستقماء (٣٤٩) . ولهذا كان من أعلم الناس بعلم الإنسان قوله كتاب « الجمهرة » في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا الفن ٠٠٠ كما يقول ابن خلكان (٣٥٠) . وله من التصانيف في علم التأريخ وغيرها شئء كثیر ، وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفا ، وأحسنها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الاتساب ، ولم يصنف في باب مثله ، وتوفي سنة أربع ومائتين (٣٥١) .

يقول بروكلمان : « لما قويت عناية علماء العراق بجمع أشعار الجاهليّة وشرحها نشأت الحاجة إلى البحث والتنقيب عن أيام العرب وملوكهم وأحوالهم في الزمن القديم ، وكان أعظم الفضل في حفظ هذه الأخبار والآثار يعود إلى الكلبيين محمد بن السائب ، وأبنه أبي المنذر هشام بن محمد ، وعنهمما اخذ المتأخرُون . فالآول : محمد بن السائب الكلبي ٠٠٠ توفي سنة ١٤٦ هـ ، ٧٦٣ م « (٣٥٢) . ويقول أيضا : حقا حاول محمد بن السائب الكلبي قراءة التقوش

(٣٤٧) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - ص ٢٨ .

(٣٤٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ -

ص ٣٤٩ .

(٣٤٩) ابن النديم : الفهرست - ص ١٤٦ الى ص ١٤٩ .

(٣٥٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٥ - ص ١٣١ - ١٢٢ .

(٣٥١) المصدر السابق : ص ١٢٢ - ١٢١ .

(٣٥٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٢ - ص ٢٠ .

المكتوبة على قبور اللخميين لتحقيق تواريختها ، ولكن طريقته هذه بقيت زمناً طويلاً لا تجد من يسير على غرارها، ولم يبدأ بالاستفادة منها الا الجهشيارى فى كتاب الوزراء حيث استند على النقوش التى وجدتها فى ثغرى « صور » و « عكا » (٣٥٢) . ومن هنا يعتبر محمد بن السائب الكلبى أول من استخدم المنهج العلمى فى معرفة التاريخ فى العالم الاسلامى .

« واقتصر هشام بن محمد خطوات أبيه وسار على اثره ، وحاول أن يتم ما جمعه بالبحث والتنقيب فى أمثار التى كانت لاتزال باقية بكنائس الحيرة ليستكمل بذلك تاريخ اللخميين ومشاهدتهم ، وصنف ما وصل اليه من ذلك وكان هذا المنهج غير المألوف فى البحث حينئذ سبباً فى اثارة التهم وتوجيه المطاعن اليه من قبل المعاصرين ٠٠٠ ولكن البحث الحديث قد أكد كثيراً من أقواله التى وجه إليها معاصروه التشكيك المريب ٠٠٠ (٣٥٤) .

وفي البيان والتبيين للجاحظ : « كان هشام بن محمد علامه سابقه ٠٠٠ فإذا رأى الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص فى النار ، وكان على بن الهيثم صاحب تفقيع وتقصير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، ولا يحفل بشاعر ولا بخطيب ٠٠٠ (٣٥٥) . يقول الجاحظ : « وكان ابراهيم بن السندي يحدثنى عن هؤلاء بشيء هسو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى (٣٥٦) . وكان ابن الهيثم من متكلمى الشيعة يقول المسعودى : على بن هيثم « وكان امامى المذهب من المشهورين من متكلمى

(٣٥٢) نفس المصدر : ص ٨٠ .

(٣٥٤) نفس المصدر : ص ٣١ .

(٣٥٥) الجاحظ : البيان والتبيين - ج ١ - ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣٥٦) نفس المصدر : ص ٢٢٥ .

المشيعة وكان فى عصر هشام بن الحكم «(٣٥٧)» . وقد مات سنة سبع ومائتين للهجرة . وله من الكتب طبقات الفقهاء والمحدثين ، وهى من أوائل كتب الطبقات التى صنفها الشيعة (٣٥٨) . كما أنها أسبق من كتاب طبقات الصحابة لمحمد بن سعد المعروف بكتاب الواقدى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، والذى يعتبر أقدم كتب الطبقات التى وصلت إلينا كما يقول جرجى زيدان ، وهو كتاب كبير . وربما دخل فى بضعة عشر مجلداً (٣٥٩) . «وللهيمث هذا فضل السبق إلى ترتيب الحوادث حسب السنين وقد استقى الطبرى من كتب هؤلاء واعتمد عليها» (٣٦٠) .

وقد تقدم على هشام بن محمد والهيثم بن عدى ، أبو مخنف الأزدي ، وهو لوط بن يحيى بن سعيد ، وكان صاحب أخبار ويكنى أبا مخنف ، ومخنف بن سليمان من أصحاب على بن أبي طالب . مات لوط سنة سبع وخمسين ومائة ، وكان راوية أخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام (٣٦١) . قال ياقوت : «وجدت بخط أحد بن الحارث الخزار قال : العلماء : أبو مخنف بأمر العراق وفتحوها وأخبارها يزيد على غيره» (٣٦٢) . وله كتب كثيرة صنفها في التاريخ ذكرها ياقوت في معجمه (٣٦٣) .

يقول بروكلمان : «أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي .

(٣٥٧) المسعودى : مروج الذهب - ج ٢ - ص ٢٨٠ .

(٣٥٨) حاجى خليفة : كشف الظنون - ج ٢ - ص ١١٥ .

(٣٥٩) جرجى زيدان : تاريخ التمدن - ج ٣ - ص ١٠١ .

(٣٦٠) احمد الحوفي : تيارات ثقافية - ص ٢٤٧ .

(٣٦١) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٧ - ص ٤١ .

وابن قتيبة : المعارف - ص ٥٣٧ .

(٣٦٢) ياقوت : نفس المصدر : ص ٤١ .

(٣٦٣) نفس المصدر - ص ٢٢ - ٧٢ .

أول من صنف في أخبار الفتوح والخوارج وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة . وله كتاب ذكر مقتل الحسين بن علي أو المشرع الشين في قتل الحسين ، مخطوط في : أمبروزيانا ، جوتينجن ١٨٦٨ ، ليدن ، وله ٢٥ كتابا من مصنفاته « (٣٦٤) ٠ ٠ ٠ وذهب كثير من المتأخرین في عصر العباسیین مذهب أبي مخنف » (٣٦٥) ٠

أما المغازي والسير ، فأن أول من صنف فيها محمد بن اسحاق ، قال المرزباني : « ومحمد بن اسحاق أول من جمع مغازي رسول الله (ص) والفقها » (٣٦٦) ٠ وكان ابن اسحاق من الشیعه (٣٦٧) ٠ وله من الكتب : كتاب الخلفاء . كتاب السیر والمغازی ٠ ٠ وقد مات سنة خمسمائة أو احدهى أو اثنين وخمسمائة (٣٦٨) ٠ وفي ذلك يقول بروكلمان : « وبهذا الكتاب - أي سیرة النبی - لقى ابن اسحاق معارضته مالك بن أنس ، لعنایته بغير حديث الشفه والكلام ، كما رماه مالك بالقدر والتشیع . ولهذا اضطر ابن اسحاق أن يهاجر إلى العراق سنة ١٢٢ هـ ٠٠٠ (٣٦٩) ٠ ولهذا يقول الشادحانی : « كان محمد بن اسحاق بن يسار يتشیع ٠٠٠ (٣٧٠) ٠ ويقول الخطیب البغدادی : « وقد أمسك عن الاحتیاج بروایات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لاسباب منها أنه دان يتشیع » (٣٧١) ٠

(٣٦٤) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ص ٢٥٣ ٠

(٣٦٥) المصدر السابق : ج ٢ - ص ٣٦ ٠

(٣٦٦) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٨ - ص ٥ ٠

(٣٦٧) السيد حسن الصدر : تاسیس الشیعه لعلوم الاسلام - ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ٠

(٣٦٨) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٨ - ص ٨٥ ٠

(٣٦٩) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ج ٣ - ص ١٠ - ١١ ٠

(٣٧٠) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٨ - ص ٦ - ٧ ٠

(٣٧١) الخطیب البغدادی : تاريخ بغداد - ج ١ - ص ٢٢٤ ٠

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن : « ومن مصادر السيرة النبوية أيضا كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ ٧٣٥ و كان كاتب الواقدي المتوفى سنة ٢١٨ هـ . ويعد هذا الكتاب من المصادر الموثوق بصحتها ، على الرغم من أن مؤلفه عرف بالليل إلى الشيعة » (٣٧٢) . مع أن ابن النديم يذكر سنة ولادته ووفاته في قوله : « قال محمد بن سعد كتابة أخبرني أبو عبد الله الواقدي أنه ولد سنة ثلاثين ومائة ومات سنة سبع ومائتين وله شمان وبسبعين سنة ٧٣٥ » (٣٧٣) . وفي ذلك يقول الدكتور أحمد شلبي : « ومن أشهر من صنفوا فيه في عصرنا محمد ابن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) ، فقد ألف كتاب التاريخ الكبير الذي اعتمد عليه الطبرى كثيرا حتى حوادث سنة ١٧٩ هـ وهو بين أيدينا » (٣٧٤) .

أما ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن أن « أقدم مصادر السيرة النبوية سيرة ابن هشام المتوفى بمصر سنة ٢١٨ هـ . وتعرف باسم سيرة رسول الله وقد استمد معلوماته التاريخية عن استاذه ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ وهي تعطينا صورة حية لحياة النبي (ص) ٧٣٥ » . فيعرف مما تقدم ، حيث سبقه في ذلك ابن اسحاق ، كما تقدم عليه الواقدي وغيره من علماء الشيعة يقول الرحالة : « وأول من سبق إلى تدوين التاريخ محمد بن اسحاق في كتابه عن المغارب والسير ... ثم

- (٣٧٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ - ص ٣٥٠
- (٣٧٣) ابن النديم : الفهرست - ص ١٥٠ - والذهبى : ميزان الاعتدال - ج ٢ - ص ٦٦٦
- (٣٧٤) احمد شلبي : التاريخ الاسلامي - ط ٦ - ج ٢ - ص ٢٤٥
- (٣٧٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ - ص ٣٥٠

أخذ أهل العلم في تدوينه بعد ذلك ، ووضع محمدالمعروف بالوادى كتابا في فتوح الشام ضمته كثيرا من سير الخلفاء الراشدين (٣٧٦) . كما أن أول من دون السيرة النبوية – كما يقول جرجى زيدان – محمد ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ (٣٧٧) .

وقد استمد المؤرخون من غير الشيعة معلوماتهم التاريخية مما صنفه علماء الشيعة ولهذا يقول محمد بن أدریس الشافعی : « من أراد أن يتبحر في المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق » (٣٧٨) . كما أن ابن قتيبة استمد معلوماته عن ابن الكلبی وعن أبيه في كتابه عيون الأخبار (٣٧٩) . وكذلك في كتابه الشعر والشعراء (٣٨٠) . كما اعتمد الطبری في تاريخه على هشام بن محمد وأبی مخنف (٣٨١) . وكل من كتب في التاريخ اعتمد على مؤلأء العلماء من الشيعة . وفي ذلك يقول آغا بزرک الطهرانی : « ومع اشتهرار تشیعه – أی لوط بن یحیی – اعتمد عليه علماء السنة في النقل عن کتبه كالطبری وابن الأثیر ، بل التاريخ الكبير لابن جریر مشحون من کتب أبی مخنف » (٣٨٢) . وهكذا أمد علماء الشيعة الثقافة الاسلامية بفن جديد هو علم التاريخ والمغازى والسير .

(٣٧٦) جعیل نخلة المدور : حضارة الاسلام في دار السلام – ص ٢٠٧ – ٢٠٨

(٣٧٧) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى – ج ٣ – ص ٩٩

(٣٧٨) الخطیب البغدادی : تاريخ بغداد – ج ١ – ص ٢١٩

(٣٧٩) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار – ج ٢ – ص ١٤٧

(٣٨٠) انظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء – الجزء الأول

(٣٨١) انظر : تاريخ الطبری .

(٣٨٢) آغا بزرک الطهرانی : الذريعة – ج ١ – ص ٣١٢

ـ قول شيخ الاسلام ابن تيمية والجواب عليه :

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ، في كتابه منهج السنة في وصفه للشيعة : « وهذا الرجل - يعني العلامة الحلى ابن المطهر - سلك مسلك سلفه شيوخ الرافضة كابن النعمان المفید . . . فان الرافضة - أئى الشيعة - فى الأصل ليسوا اهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ومعرفة الأدلة . . . كما انهم من اجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحةها وضعيتها ، وانما عمدتهم فى المنقولات على تواريخ منقطعة الاسناد ، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب والالحاد ، وعلماؤهم يعتمدون على نقل مثل أبي مخنف لوطبن على وهشام بن محمد بن السائب وأمثالهما من المعروفين بالكذب عند أهل العلم ، مع أن أمثال هؤلاء هم أجل من يعتمدون عليه فى النقل ، اذ كانوا يعتمدون على من هو فى غاية الجهل والأفتراء ومن لا يذكر فى الكتب ولا يعرفه أهل العلم بالرجال ، وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والأسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيه قديم ، ولهذا كان أئمة الاسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب » (٣٨٣) .

هذا ما يقوله ابن تيمية « شيخ الاسلام » فى حكمه على الشيعة ، وكان من المفروض أن لا نتعرض للرد والأجابة على هذه المفتريات التي شنعوا على الشيعة ، لو لا انطلاقها على السذاج والغفل ، وقد يدعا قال رسول الله (ص) وهو أصدق القائلين « سباب المسلم فسوق وقتله كفر » كما لعن صلى الله عليه وأله وسلم الكاذبين فى قوله (ص) : « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، اذا ائمن خان و اذا

(٣٨٣) ابن تيمية : منهج السنة - ج ١ - ص ١٢ .

حدث كذب وإذا عاشر غدر وإذا خاصم فجر «(٣٨٤)

اما قوله بأن الشيعة ليسوا أهل علم وخبرة ٠٠٠ الخ
 فهو افتداء على الشيعة وتکذيب لما اخرجه علماء أهل
السنة وثقاتهم من أهل الحديث ٠ يقول الذهبي في ميزان
الأعتدال في نقد الرجال : عن الشيخ المفید الذى طعن
فيه شیخ الاسلام ابن تیمیة هذا نصه : « محمد بن محمد
٠٠٠ الشیخ المفید عالم الرافضة ٠٠٠ صاحب التصانیف
البدیعه ، وهی مائتا مصنف ، وله صولة عظیمة بسبب
عهد الدولة شیعه ثمانون الف رافضی ، مات سنة ثلاثة
عشرة وأربعيناتة » (٣٨٥) ٠ وقال فيه ابن حجر : « عالم
الرافضة صاحب التصانیف البدیعه ، وهی مائتا مصنف
وكان كثير التقشف والتخلص والاكباب على العلم ، تخرج
به جماعة ، وبرع في المقالة الامامية حتى يقال : له على كل
امام منه ، وكان أبوه معلما بواسطه » (٣٨٦) ٠

قال اليافعي في مرأة الجنان في وقائع سنة ٤١٢ :
« وفيها توفى عالم الشيعة وامام الرافضة صاحب التصانیف
الكثيرة ، شیخهم المعروف بالمفید وبابن المعلم ، البارع في
الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع
الجلالة والعظمة في الدولة البویهیة ٠ قال ابن طی : وكان
كثير الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلاة والصوم ،
خشن اللباس ٠٠٠ وقال ابن كثير في تاريخه : شیخ
الرافض والمصنف لهم والحامی عنهم ، ٠٠٠ وكان يحضر
مجلسه خلق عظيم من جميع طوائف العلماء ٠٠٠ » (٣٨٧) ٠

٣٨٤) صحيح البخاري : ج ١ - ص ١٢ ٠

٣٨٥) الذهبي : ميزان الاعتدال - ج ٤ - ص ٣٠ ٠

٣٨٦) البحار للمجلسي : ج ١ - ص ٧٢ ٠ نقلًا عن ابن حجر في
ميزان الاعتدال - ج ٥ - ص ٧٩ - ٨٠ ٠

٣٨٧) نفس المصدر : ص ٧١ - ٧٢ ٠

ويقول ابن النديم في الفهرست : « أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، في زماننا ، إليه انتهت رياسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ، ٠٠٠ » (٢٨٨) . ويقول أبو حيان التوحيدي في الشيخ المفيد : « وأما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل ، صبور على الخصم ، كثير الحيلة ، ظنين السر ، جميل العلانية » (٢٨٩) .

وأما اتهام ابن تيمية الشيعة بالكذب والالحاد ، فيعرف مما تقدم من قوله ، بأن الشيعة من أجهل الناس ، ومع هذا فالليك ما يقوله علماء أهل السنة ، فهذا الذهبي في ترجمته لأبان بن تغلب ، حيث يقول : « أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد ، لكنه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته ، وقد وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم ، فلقائل أن يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع ، وحد الثقة العدالة والإنقان ؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟ وجوابه أن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحريف ، فهذا كثير في التابعين وتابعهم مع الدين والورع والصدق ، ولو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بيته » (٣٩٠) .

وهذا قول صريح بأن رد أحاديث الشيعة التي يروونها عن النبي مفسدة للدين ، لأن أكثر الروايات التي تروى من التابعين وتابعهم ، كانوا هم الشيعة ، وكانوا يتصرفون بالصدق والدين والورع ، ولكن بدعتهم قولهم بأمامته على بن أبي طالب . ولذا نجد الذهبي يصف الشيعة ونقله

(٢٨٨) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٩٣ .

(٢٨٩) أبو حيان التوسي : الامتناع والمؤانسة - ج ١ - ص ١٤١ .

(٣٩٠) الذهبي : ميزان الاعتلال - ج ١ - ص ٤ .

ال الحديث والأخبار منهم بأنهم هم الصادقون . يقول الذهبي عن شريك بن عبد الله النخعى المولود سنة خمس وتسعين : « قال أحمـد بن حنـبل : شـريك فـى أبـى اسـحـاق أثـبـت مـن زـهـير . . . وـقـال أبـو حـاتـم : شـريك صـدـوق ، وـهـوـأـحـبـ إـلـى مـن أبـى الـاحـوص . . . وـاـن شـريـكـاـلـشـيـعـى . . . قـالـذـهـبـىـ: قـدـكـانـشـريـكـمـنـأـوـعـيـةـالـعـلـمـحـمـلـعـنـهـاسـحـاقـالـأـزـرـقـ تـسـعـةـأـلـافـحـدـيـثـ . . . وـقـالـالـنـسـائـىـلـيـسـبـهـ بـأـسـ . . . » (٣٩١) .

ويقول الخطيب البغدادى فى ترجمته ل محمد بن راشد ، أبو يحيى الخزاعى : « . . . قال عبد الرازق : ما رأيت أحداً أورع فى الحديث منه أى من محمد بن راشد . . . وقال أبو النضر كنت أرضى شعبة بالرصافة ، فخرج محمد بن راشد ، فقال شعبة : ما كتبت عن هذا ، أما أنه صدوق ، ولكنه شيعى ، أو قدرى ؟ . . . يقول الخطيب البغدادى أخبرنا ابن الفضل أخبرنا ابن درستويه حدثنا يعقوب بن سفيان ، قال سألت عبد الرحمن بن ابراهيم ، قلت له : محمد بن راشد ؟ قال : كان يذكر بالقدر الا انه مستقيم الحديث . . . الى غير هؤلاء من رواة الحديث الذين كانوا يتصنفون بالصدق والأمانة والورع من علماء الشيعة الذين حكم شيخ الاسلام ابن تيمية بكذبهم والحادهم ، وأن الكذب فيهم قدّيم . . . ناهيك أن مشايخ البخارى ومسلم كانوا من الشيعة . . . فمثلا عبد الله بن موسى العبسى الفقيه وكان شيعيا وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه (٣٩٢) . . . وأسماعيل بن أبان الأزدي الكوفى

(٣٩١) نفس المصدر : ص ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٣٩٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ٥ - ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٣٩٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - ج ٥ - ص ٢١٧ .
والذهبى : ميزان الاعتدال - ج ٢ - ص ١٦ .

الوراق ، شيخ البخارى حدى عن يحيى وأحمد ، وقال
البخارى : صدوق ، وقال غيره كان يتشيع (٣٩٤) .

أما الإمام مسلم فكان شيوخه وأساتذته كذلك من علماء الشيعة ، الذين حكم ابن تيمية بکفرهم ، فقد تلمنذ على يد عبد الله بن عمر بن محمد الكوفى الملقب مشكداًنه ، فهو شيخ مسلم وأبى داود ، والبغوى ، وخلق من طبقتهم أخذوا عنه (٣٩٥) يقول الذهبى فى ميزان الاعتدال : « عبد الله بن عمر بن أبان القرشى الكوفى مشكداًنه ، صدوق صاحب حديث ٠٠٠ قال أبو حاتم صدوق ، ويروى عنه أنه شيعى ، فقال بكر بن محمد الصيرفى الذى ذكره الحاكم فقال : محدث خراسان فى عصره سمعت صالح بن محمد جزرة يقول : كان عبد الله بن عمر بن أبان يمتحن أصحاب الحديث ، وكان غالياً فى التشيع » (٣٩٦) .

وأما علماء التاريخ من الشيعة ، الذين رماهم ابن تيمية بالجهل والأفتراء ، مثل أبى مخنف لوط بن على ، وهشام بن محمد بن السائب التلبى وغيرهما ، فدونك كتب التاريخ والمغازي والسير ، كتاریخ الخطيب البغدادى وابن الأثير ، بل وجميع كتب التاريخ التى ألفها علماء السنة ، ستجدوها مليئة بأخبار وروايات من حكم ابن تيمية بکذبهم وافترائهم وليك ما يقوله حملة الآثار من علماء أهل السنة : قال ، الأمام محمد بن ادريس الشافعى امام المذهب : « من أراد أن يتبحر فى المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق : وقال الزهرى : لا يزال بالمدينة علم

(٣٩٤) الذهبى : المصادر السابق - ج ١ - ص ٢١٢ .

(٣٩٥) عبد الحسين شرف الدين : المراجعات - ص ٩٨ .

(٣٩٦) الذهبى : ميزان الاعتدال - ج ٢ - ص ٤٦٦ .

ما بقى ذكر ابن اسحاق ٠٠٠ وقال المدينى مدار حديث رسول الله (ص) على ستة فذكرهم ، ثم قال : فصار علم السنة عنداثنى عشر أحدهم ابن اسحاق ٠٠٠ «(٣٩٧)» . وقال أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصرى : ومحمد بن اسحاق رجل قد أجمع الكباء من أهل العلم على الأخذ منه ٠ منهم سفيان ، وشعبة ، وأبن عيينة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وابراهيم بن سعد ٠٠٠ «(٣٩٨)» . وكان محمد بن اسحاق من الشيعة «(٣٩٩)» .

ونسوق المثال التالى فيما يقوله شيخ الاسلام ابن تيمية ، ليتبين لدى ذوى العقول المتعلم ما فى منهاج السنة من افتراءات ، التى نهى عنها الاسلام ٠ فهو يقول فى صفحة ٤ من منهاجه فى الجزء الأول : «والله تعالى قد أمر بالصدق والبيان ، ونهى عن الكذب والكتمان » ٠ ويقول أيضا فى صفحة ١ «واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة ، وكذلك الرافضة » ٠

هذا ما نسبه ابن تيمية الى الشيعة من أنهم قالوا بأن الله فرض خمسين صلاة ، كما قالت اليهود والله سبحانه وتعالى قد أمر ابن تيمية بالصدق والبيان ، ونهاه عن الذنب والكتمان ٠

فهذا شيخ الحديث البخارى ، يحدثنا فى صحيحه ، وهو أصح الكتب بعد القرآن عند ابن تيمية شيخ الاسلام

٢٩٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - ج ١ - ص ٢١٩ - ٢٢٠ .
وياقوت : معجم الادباء - ج ١٨ - ص ٦ - ٧ .

٢٩٨) الخطيب البغدادى : المصدر السابق - ص ٢٢٤ .
(٢٩٩) نفس المصدر : ص ٢٢٤ .

وياقوت : معجم الادباء - ج ١٨ - ص ٦ - ٧ .

فی « باب المراج » من جزئه الخامس ص ٥٣ ، ٥٢ ، ٥٤ عن أنس بن مالك بن صعصعة عندما عرج النبي صلی الله عليه وآلہ وسلم الى السماء ، فقد جاء فی ص ٥٤ هذا نصه : « . . . ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت ، قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانی والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائیل أشد المعالجة ، فارجع الى ربک فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنی عشراء ، فرجعت الى موسی ، فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنی عشراء ، فرجعت الى موسی فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنی عشراء ، فرجعت الى موسی ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت ، فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت الى موسی ، فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم . . . الى آخر الحديث .

وفي صحيح الجامع الصغير للسيوطى : ص ٩٤ - ٩٥ ، طبعة ١٩٦٩ م من الأحاديث الصحيحة ، وهو حديث ٨٧٢ جاء فيه : « . . . ففرض على خمسين صلاة كل يوم . . . فلم أزل أرجع بين ربی وبين موسی حتى قال : يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة . . . » . يقول السيوطى هذا حديث صحيح .

هذا ما يروى فی كتب أهل السنة ، واما اسناد ابن تيمية ذلك الى الشیعہ فمما لا سند له ولا دلیل . وان مقتضی ما ورد فی صحيح البخاری والجامع الصغير وغيرهما من كتب الحديث أن النبی صلی الله علیه وآلہ وسلم قال بمقالة اليهود كما یزعم ابن تیمیة ، وهذا افتراء على

رسول الله (ص) بالإضافة إلى ذلك فإنه يلزمه العبث وعدم علم الله بأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تطبق ذلك ، كما يؤدي إلى القول بالبداء والجهل من الله ، تعالى الله عن ذلك ، كما يلزمه النسخ قبل العمل ، وكل ذلك لا يقول به الشيعة ، ولذلك أطلق ابن تيمية قوله بأن اليهود قالوا ذلك ، وكذلك الرافضة بدون سند أو دليل ، كما هي عادته في كتابه منهاج السنة .

يقول ابن تيمية ص ١٥ من منهاجه « والمقصود هنا أن العلماء كلهم متفقون على أن الكذب في الرافضة أظهر منه فيسائر طوائف أهل القبلة » . وهذا القول يدل على أن سائر طوائف أهل القبلة يكذبون ، ولكن الرافضة أظهر منهم . والمنصف النبي يعرف مما ذكرناه من الحق من المبطل ، ومن الكاذب من الصادق . والمتبع لمنهاج السنة لابن تيمية يرى ذلك واضحا . هذا ما أردنا بيانه على سبيل المثال ليتضح ما في منهاج السنة .

١٩ - علم الجغرافيا :

ومن العلوم التي اشتغل بها الشيعة كذلك ، علم الجغرافية ، وقد صنفوا فيه كتبًا كثيرة ، وأول من صنف فيه من المسلمين هشام بن محمد الكلبي من أصحاب الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين ، صنف كتاب الأقاليم وكتاب البلدان الكبير وكتاب البلدان الصغير وكتاب تسمية الأرضين وكتاب الانهار وكتاب الحيرة وكتاب منازل اليمن إلى غير ذلك كما نص على ذلك ابن النديم في الفهرست (٤٠٠) .

يقول الدكتور أحمد سوسة : « في الجغرافية الوصفية وهي التي أطلق عليها أسم البلدان والمسالك والممالك ظهر

(٤٠٠) ابن النديم : الفهرست - ص ١٤٨ .

عدد من الجغرافيين العرب مثل الكلبي واليعقوبي والبلاذري . . . (٤٠١) . كما أن لأبي جعفر محمد بن خالد البرقى من أصحاب الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق كتابا فى الجغرافية ، وقد ذكر ابن النديم أن لأبنه أحمد بن محمد بن خالد كتاب البلدان قال أكبر من كتاب أبيه (٤٠٢) . وفي ذلك يقول الزركلى : «أحمد بن خالد البرقى : باحث أمامى : له نحو مائة كتاب منها . . . (٤٠٣) . وكتاب البلدان لليعقوبى المتوفى سنة ٢٧٨ هـ وقد طبع فى ليدن (٤٠٤) . يقول الزركلى : «ولأحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى : مؤرخ جغرافى كثير الأسفار له كتاب البلدان وتاريخه يسمى بـ تاريخ اليعقوبى . . . وسمى كتابه البلدان المالك والمسالك» (٤٠٥) .

ويرى جرجى زيدان أن «أول من دون الجغرافية منهم على نحو ما عند اليونان الشيخ أبو زيد البلخى ، ألف فى أول القرن الرابع كتابا فى الجغرافية سماه «صور الأقاليم » ذكر فيه أمثلة منها بعد أن قسمها إلى عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال . . . (٤٠٦) . وكان أبو زيد البلخى من الشيعة (٤٠٧) .

وأعظم جغرافي شيعي ظهر فى ذلك الوقت الأدرисى ،

(٤٠١) أحمد سوسة : الشريف الأدریسی فی الجغرافیة العربیة – الثقافة العربية – ص ٦٠ .

(٤٠٢) ابن النديم : الفهرست – ص ١٠٤ .

(٤٠٣) خير الدين الزركلى : الاعلام – ج ١ – ص ١٩٥ .

(٤٠٤) السيد حسن المصدر : الشيعة وفنون الاسلام – ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٤٠٥) الزركلى : الاعلام – ج ١ – ص ٩١ .

(٤٠٦) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى – ج ٣ – ص ١١٣ .

(٤٠٧) ياقوت : معجم الأدباء – ج ٣ – ص ٧٤ .

الف كتاب المشهور « نزهة المشتاق » في ذكر الأنصار والجزر والمدائن والأفاق بالخرائط اللازمـة التي زادت على الأربعين ، وكان هذا الكتاب أعظم كتاب للجغرافية في زمنه ، ترجم من أجل هذا إلى اللغة اللاتينية ، وطبع ، وجاءت خريطيـة مطابقة لـمـوـاقـعـ الـبـلـدـانـ ، وـلـمـ يـخـطـءـ الأـدـرـيـسـيـ فـيـ غـيـرـ القـلـيلـ مـنـهـ(٤٠٨) .

وقد قال الكاتب الفرنسي جوتـيهـ : « أنـ الشـرـيفـ الأـدـرـيـسـيـ الجـغـرـافـيـ كانـ الـاسـتـاذـ الذـىـ عـلـمـ أـورـبـاـ هـذـاـ عـلـمـ لـأـبـطـلـيمـوسـ الـاسـكـنـدـرـىـ ، وـقـدـ ظـلـ الأـدـرـيـسـيـ مـعـلـماـ لـأـورـبـاـ ثـلـاثـةـ قـرـونـ ، وـلـمـ يـكـنـ لـأـورـبـاـ مـصـدـرـ لـالـعـالـمـ الـأـمـارـسـمـهـ الأـدـرـيـسـيـ ، وـهـوـ خـلـاصـةـ مـعـارـفـ الـعـرـبـ فـيـ هـذـاـ الفـنـ وـلـمـ يـقـعـ الـأـدـرـيـسـيـ فـيـ الـأـخـطـاءـ التـىـ وـقـعـ فـيـهـ بـطـلـيمـوسـ»(٤٠٩) . ولـهـذـاـ اـسـتـاثـرـ كـتـابـ الـأـدـرـيـسـيـ باـهـتـمـامـ الـعـلـمـاءـ مـنـ مـسـتـشـرـقـيـنـ وـمـسـتـغـرـيـبـيـنـ وـبـاحـثـيـنـ فـيـ الـغـربـ وـالـشـرـقـ ، وـنـالـتـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ مـنـ تـقـيـيـمـ وـتـقـدـيرـ الـعـلـمـاءـ مـاـلـمـ يـنـلـهـ أـىـ كـتـابـ جـغـرـافـيـ عـرـبـيـ آـخـرـ قـبـلـهـ(٤١٠) . « اـذـ كـانـ الـأـدـرـيـسـيـ أـوـلـ جـغـرـافـيـ عـرـبـيـ اـعـتـبـرـ الـجـغـرـافـيـةـ عـلـمـ مـسـتـقـلـاـ يـشـمـلـ جـمـيعـ أـقـطـارـ الـعـالـمـ مـنـ ضـمـنـهـ أـورـبـاـ الـمـسـيـحـيـةـ ٠٠٠ـ»(٤١١) . وـحـسـبـهـ هـذـهـ الشـهـادـةـ التـىـ تـشـيدـ بـفـضـلـهـ ، وـمـنـ كـتـبـ الـأـدـرـيـسـيـ التـىـ تـرـجـمـتـ إـلـىـ الـلـاتـيـنـيـةـ تـعـلـمـتـ أـورـبـاـ الـجـغـرـافـيـةـ فـيـ الـقـرـونـ الـوـسـطـىـ»(٤١٢) . وـلـقـبـ بـالـشـرـيفـ ، لـأـنـهـ مـنـ الـأـدـارـسـةـ الـمـنـتـسـبـيـنـ إـلـىـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ بـنـ أـبـىـ

(٤٠٨) أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الإسلامية - ص ١٩٧

(٤٠٩) المصدر السابق : ص ١٩٨

(٤١٠) أحمد سوسة : الشريف الأدريسي - الثقافة العربية - ص ٥٦

(٤١١) المصدر السابق : ص ٥٦

(٤١٢) أحمد الحوفي : تيارات ثقافية - ص ٢٤٨

٢٠ - علم الأخلاق :

أهتم الشيعة بالتربيـة اهتماماً كـبـيراً ، حتى صنفوا فيها كـتـباً كـثـيرـاً ، تـتـعلـق بـالـأـخـلـاق وـالـسـلـوك ، وأـولـ من صـنـفـ فـي ذـلـك عـلـى بنـ أـبـى طـالـبـ ، كـتـبـ كـتـابـاً فـيـهـ عـنـ مـنـصـرـهـ مـنـ صـفـينـ وـأـرـسـلـهـ إـلـىـ ولـدـهـ الحـسـنـ أـوـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـنـفـيـةـ ، وـهـوـ كـتـابـ طـوـيلـ جـمـعـ فـيـهـ أـبـوـابـ عـلـمـ الـأـخـلـقـ ، وـطـرـقـ سـلـوكـهـ وـأـحـكـامـ الـمـلـكـاتـ وـكـلـ الـمـنـجـيـاتـ وـالـمـهـلـكـاتـ وـطـرـقـ التـخـلـصـ مـنـ تـلـكـ الـمـهـلـكـاتـ رـوـاهـ عـلـمـاءـ الـفـرـيقـيـنـ وـأـثـنـواـ عـلـيـهـ ، وـرـوـاهـ الـإـمـامـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـحـسـنـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ سـعـيدـ الـعـسـكـرـيـ وـأـخـرـجـهـ بـتـامـاـهـ فـيـ كـتـابـ الزـوـاجـرـ وـالـمـوـاعـظـ وـقـالـ : وـلـوـ كـانـ مـنـ الـحـكـمـةـ مـاـ يـجـبـ أـنـ يـكـتبـ بـالـذـهـبـ لـكـانتـ هـذـهـ ٠٠٠ (٤١٤) .

وـقـدـ صـنـفـ عـلـمـاءـ الشـيـعـةـ فـيـ الـأـخـلـقـ وـفـيـ الـمـصـطـلـحـ الـحـدـيـثـ فـيـ التـرـبـيـةـ كـثـيرـاـ مـنـ الـتـصـانـيـفـ يـذـكـرـ مـنـهـ الـبـاحـثـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـثالـ :

أـولـ مـنـ صـنـفـ فـيـهـ مـنـ الشـيـعـةـ ، اـسـمـاعـيلـ بـنـ مـهـرـانـ بـنـ أـبـى نـصـرـ السـكـونـىـ وـسـمـاهـ كـتـابـ صـفـةـ الـمـؤـمـنـ وـالـفـاجـرـ . وـهـوـ مـنـ عـلـمـاءـ الـمـائـةـ الـثـانـيـةـ (٤١٥) .

كتـابـ الـآـدـابـ لـلـقـاضـىـ أـبـىـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـرـ الـوـاقـدـىـ الـمـتـوفـىـ سـنـةـ سـبـعـ وـمـائـتـيـنـ (٤١٦) .

- (٤١٣) أـحـمـدـ مجـاهـدـ مـصـبـاحـ : تـارـيـخـ الـحـضـارـةـ الـاسـلـامـيـةـ - صـ ١٩٦ـ . وـأـيـضاـ أـحـمـدـ الـحـوـفـيـ : تـيـارـاتـ ثـقـافـيـةـ - صـ ٢٤٨ـ .
- (٤١٤) السـيـدـ حـسـنـ الصـدرـ : الشـيـعـةـ وـفـنـونـ الـاسـلـامـ - صـ ٩٧ـ .
- (٤١٥) المـصـدـرـ السـابـقـ : صـ ٩٨ـ .
- (٤١٦) أـغاـ بـزـرـكـ الطـهـرـانـيـ : الذـرـيعـةـ إـلـىـ تـصـانـيـفـ الشـيـعـةـ - جـ ١ـ - صـ ١٠ـ .

أدب المعاشرة لأبى جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقى المتوفى سنة أربع وسبعين ومائتين (٤١٧) . وله أيضا كتاب المحسن ، كتاب التراحم والتعاطف ، كتاب أدب النفس ، كتاب أدب المعاشرة ، كتاب التهذيب ، كتاب مذام الأخلاق ، كتاب الزهد والموعظة ، كتاب مكارم الأخلاق ، وغيرها كثير وكان جده قد حبسه يوسف بن عمر الثقفى . والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك ، بعد قتل زيد بن على ، ثم قتله عبد الملك (٤١٨) .

كتاب تحف العقول لأبى محمد الحسن على بن الحسين بن شعبه الحرانى من علماء القرن الثالث الهجرى . صنف كتاب تحف العقول فيما جاء فى الحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق . مطبوع (٤١٩) .

كتاب الأدب لأبى العباس احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة الزيدى المتوفى سنة ٣٣٣ هـ (٤٢٠) .

كتاب أدب العرب لابن مسکويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ (٤٢١) . « كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الاعراق يشتمل على ست مقالات لابن مسکويه ايضاً (٤٢٢) .

كتاب تلقيح العقول أكثر من مائة باب أوله باب العقل ثم باب الأدب ، ثم باب العلم وما جانس ذلك ، لأبى عبد الله المرزبانى المتوفى سنة ٣٧٨ هـ (٤٢٣) .

(٤١٧) المصدر السابق : ص ٢٩ .

(٤١٨) ياقوت : معجم الأدباء - ج ٤ - ص ١٢٢ .

(٤١٩) آغا بزرگ الطهرانی : الذريعة - ج ١ - ص ٢٠٤ .

(٤٢٠) المصدر السابق : ص ١٠ .

(٤٢١) المصدر السابق : ص ٢٠٤ .

(٤٢٢) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٩٨ .

(٤٢٣) ابن النديم : الفهرست - ص ١٩٧ .

أدب الحكماء في الأخلاق للشيخ ابن عبدون المعروف في عصره بابن الحاشر المتوفى سنة ٤٢٣ (٤٢٤) إلى غير ذلك مما صنفه علماء الشيعة في الأخلاق، وهي في الحقيقة كتب تربية في الدرجة الأولى، لأن التربية كانت تعتمد أولاً على تغيير السلوك الخلقي.

٢١ - الشعر التعليمي :

ومن الفنون التي استحدثها الشيعة، ولم تكن لها أى أصول قديمة في الشعر التعليمي. الذي دفع إليه رقى الحياة العقلية في هذا العصر فإذا نظر من الشيعة ينظرون القصص وبعض المعرفة والسير والأخبار.

« لا ريب في أن أبان بن عبد الحميد هو الذي عمل على اشاعة هذا الفن الشعري الجديد، فقد نظم فيه تاريخاً وفقها وقصصاً كثيرة. فأما التاريخ فنظم فيه سيرته أردشير وأنو شروان، وأما الفقه فنظم فيه الأحكام المتعلقة ببابي الصوم والزكاة، وصنع قصيدة في مبدأ الخلق وضمنها شيئاً من المنطق وأهم من ذلك كله أنه نظم في القصص كتاب كليلة ودمنة في أربعة عشر ألف بيت...»

ويتأثر ابنه حمدان في هذا الضرب من الشعر التعليمي فينظم مزدوجة طويلة مسروفة في الطول «٠٠٠» (٤٢٥) (٤٢٦).

وكان أبان بن عبد الحميد يتشيع للعلويين.

يقول بروكلمان: «... وقد عنى هذا الشاعر بنظم المواد الثقافية... فانتشر أدب العجم بهذه المنظومات

(٤٢٤) آغا بنزرك الطهراني: الذريعة - ج ١ - ص ١٧.

(٤٢٥) شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى - العصر العباسي الأول - ص ١٩٠ - ١٩١. وأيضاً ابن النديم: الفهرست - ص ٢٢٨ - ١٧٨.

وأيضاً الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد - ج ٧ - ص ٤٤ - ٤٥.

(٤٢٦) شوقى ضيف: المصدر السابق - ص ٣٣٢.

بين العرب . . . ولابن اللاحقى أيضا قصيدة كونية فى احوال الدنيا تسمى : ذات الحل ، كما نظم فى فرائض الصيام ، وصنف كتابا فى : حكم الهند . . . وتوفى ابن فى حدود سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م . . . وكان ابنه حمدان بن ابان ، وحفيده الحسن شاعرين موهوبين أيضا (٤٢٧) . وهكذا ظهر الشعر التعليمى لأول مرة على يد ابان بن عبد الحميد اللاحقى (٤٢٨) .

ودخلت شعارات من هذا الفن التعليمى الجديد الى بيتات الخبراء اذا اصمعى ينظم قصيدة طويلة فى ذكر الملوك والجبابرة الالاكين ، كما دخلت فى بيتات المتكلمين اذا معدان الاعمى الشيعى الشعيبى أحد متكلمى الشيعة الامامية ينظم قصيدة طويلة فى أصناف الشيعة وعقائدهم كما يقول الدكتور شوقى ضيف (٤٢٩) . وهكذا وجد الشعر التعليمى فى الثقافة الاسلامية .

٢٢ - الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية :

اختلف المسلمون فى جواز الخوض فى العلوم الطبيعية ودراستها فذهب علماء السنة الى تحريم دراسة العلوم الطبيعية والكونية . ويذكر الدكتور الأهوانى العلة التى من أجلها حرم المسلمين - اى اهل السنة - الخوض فى هذه العلوم بقوله : « . . . ولكن المسلمين لشدة غيرتهم على الدين وخوفهم من التحول عنه ، وجدوا من السلام الابتعاد عن البحث فى الطبيعة حتى لا يصرفهم ذلك عن الإيمان والعبادة . . . يضاف الى ذلك أن الفقهاء كانوا ينظرون بعين الريبة الى العلوم الطبيعية . والجمهور على هذا

(٤٢٧) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ج ٣ - ص ١٠٤ - ١٠٥

(٤٢٨) عز الدين اسماعيل : فى الشعر العباسي - ص ٤٠٥

(٤٢٩) شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى - ص ١٩٢

الرأي أيضاً «(٤٣٠) . ويستطرد الدكتور الأهوانى فى قوله : ، ومن الذين هاجموا العلوم الطبيعية هجوماً عنيفاً، وصرفوا الناس عن دراستها الغزلى للعلة التى ذكرناها ، قال الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم . وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخصائصها وكيفية است الحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة إليها . فاذن الكلام كان من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية ، حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدةعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع «(٤٣١)

اما موقف الشيعة من العلوم الطبيعية ، ودراستها وبحثها، فهو يختلف تماماً عن موقف أهل السنة ، فقد اعتبر الشيعة وأئمتهم أن الخوض فى هذه العلوم من الأمور اللازمه التي تؤدى الى قوة الإيمان بالله سبحانه وقدرته . ولهذا كان لهم الفضل في العلوم الملبوعية بكل فروعها ، حتى كانوا المؤسسين لها وواضعى قواعدها ، كما دعوا تلاميذهم الى الاشتغال بها ، لاثراء الثقافة الاسلامية والفكر الانسانى على السواء .

وأول من دعا الى دراسة العلوم الكونية في الاسلام ، الامام علي بن أبي طالب ، وفي كلامه لتلميذه كمبل حين ذكر حجج الله في الأرض دليلاً على ذلك ، فقال : « هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلأنوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون » (٤٣٢) . ومن كلامه في الكون : « ... ثم

(٤٣٠) احمد فؤاد الأهوانى : التربية في الاسلام - ص ١٥٥
 (٤٣١) المصدر السابق : ص ١٥٥ . وأيضاً الغزالى : المنقد من الضلال - ص ١١٦ - ١١٧
 (٤٣٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار - ج ٢ - ص ٣٥٥

زينها بزينة الكواكب ، وضياء الثوابق ، وأجرى فيها سراجاً
مستطيراً ، وقمراً منيراً . في ذلك دائرة ، وسقف سائرون ،
ورقيم دائرة ، ثم فتق ما بين السموات العلا . . . (٤٣٣) .
الى آخر كلامه .

وقد سار أئمة الشيعة على نهج الامام على بن ابي طالب في دراسة العلوم الكونية والطبيعية ، منهم الامام جعفر الصادق ، الذي يعتبر المؤسس الأول لهذه العلوم في الاسلام بعد الامام على . وفي ذلك يقول أبو زهرة « . . . ان الامام جعفر (رض) كان له علم بالكونيات ، وعنى بدراساتها فقد كان عنده من القوى العقلية والنفسية والفراغ ما يجعله يتوجه الى طلب المعرفة من اى نوع كانت المعرفة ، وعندنا الكثير من الأدلة المقربة التي تدل على أنه كان له علم بالكونيات ، وقد طلب ذلك ليتخد منه ذريعة لبيان وحدانية الله تعالى » (٤٣٤) . ولذلك عكف الصادق على دراسة الكون ، وما اشتمل عليه وحث تلاميذه ان يسلكوا مسلكه في هذه الدراسة ، حتى تخرج من مدرسته جابر بن حيان واضع علم الكيمياء . وقد ذكر ابن خلكان ذلك ، فقد قال : « أبو عبد الله جعفر الصادق . . . حد الأئمة الاثنى عشر ، على مذهب الامامية . . . ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفال ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة » (٤٣٥) .

(٤٣٢) محمد عبد : نهج البلاغة - ج ١ - ص ١٨ . المائة .
المتحرك .

(٤٣٤) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - ص ٢٠ .

(٤٣٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ١ - ص ٢٩١ .

يقول السيد أمير على : « ولا نزاع في أن الكيمياء بوصفها علمًا من اختراع المسلمين ويعود أبو موسى جابر بن حيان أبا الكيمياء الحديثة بحق ، ويعد اسمه عنواناً على عصر جديد في علم الكيمياء يقارع في الأهمية اسم « برسلي » و « لفوازييه » (٤٣٦) . ويعرفه الأوربيون باسم Geber وقد ألف جابر كتاباً كثيرة في الكيمياء والمعادن والأحجار انتفع بها الأوربيون (٤٣٧) . كما ترجمت منها طائفة كبيرة إلى اللاتينية وأفاد منها الأوربيون فوائد كبرى مما كان له أكبر الاثر في نهضة الابحاث الكيميائية بديارهم ، وهو ، دون نزاع ، المؤسس الأول لعلم الكيمياء عند العرب . كما يقول الدكتور شوقي ضيف (٤٣٨) . وفي ذلك يقول الرحالة : « ... حتى قام جابر بن حيان ... وهو تلميذ جعفر الصادق (رضي) فكتب سفراً جليلاً في علل المعادن ودون الكيمياء في سبعين رسالة ربطها بأصول العلم ونبذ من مذاهب المتقدمين مالم يؤيده التحقيق في مجرياته ، وقد قسم هذه الصناعة إلى قسمين منها القوة النفسية وهي السيميماء ، ومنها القوة العلمية وهي الكيمياء ... وقد وضع القواعد على منهاج لم يشركه فيها أحد ولا قدر على مثله حكماء اليونان أنفسهم ، ولذلك نسب إليه هذا العلم وصار علم الكيمياء يسمى بعلم جابر (٤٣٩) . هذا وقد « قام المستشرق (هوليمار) بجمع عدد من الوثائق الملائمة التي تدعم العرف السادس ، فهو يؤكد أن جابراً عاش في حدود القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) وأنه كان تلميذاً للإمام جعفر

(٤٣٦) السيد أمير على : روح الإسلام - ج ٢ - ص ٢٧١ .

(٤٣٧) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول - ص ٣٥٢ .

(٤٣٨) المصدر السابق : ص ١١٦ - ١١٧ .

(٤٣٩) جميل نخلة المدور : حضارة الإسلام في دار السلام - ص ١٩٧ .

الصادق ، الامام السادس ، وهو فعلاً صاحب المجموعة
الضخمة التي تنسب اليه والتي يناهز عددها نحواً من ثلاثة
الاف رسالة » (٤٤٠) .

وقد تتعلمذ جابر على يد الامام جعفر الصادق ، فـى
الاعتقاد وأصول الايمان ، واقتباسه منه جميع العلوم
الانسانية والكونية ، وقد تضافت أقوال المؤرخين أيضاً
ـ كما يقول أبو زهرة ـ على أنه تحدث اليه في طبائع
الأشياء وخواص المعادن ، ومزج الأشياء بعضها
بعض (٤٤١) . وفي ذلك يقول السيد محمد باقر الصدر :
ـ « ولم يكن لجابر هذا استاذ غير الامام الصادق عليه السلام
وقد كرر جابر ذكر اسم استاذه في أكثر كتبه وبتعابير
مختلفة . ويقول الأستاذ هوليمار في بحثه عن جابر بن
حيان : « أن جابرا هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه ، وقد
وجد في امامه الفذ سندًا ومعيناً وراشدًا أميناً وموجها
لا يستغنى عنه . وقد سعى جابر لأن يحرر الكيمياء بارشاد
استاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الاسكندرية ،
فنجح في هذا السبيل إلى حد بعيد » . . . حتى قال عنه
الأستاذ برتلوا في كتابه الذي نشره بباريس عن الكيمياء
عند العرب قال ما نصه : « أن اسم جابر ينزل في تاريخ
الكيمياء منزلة اسم أرسطوفى تاريخ المنطق » (٤٤٢) .

وهكذا سجل المسلمون انتصارات واسعة في دراسة
العلوم الطبيعية وعلى رأسهم علماء الشيعة ، وابتكرت
فيها التجربة العلمية ، وقد دون أخوان الصدفة الشيعية

(٤٤٠) هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٤٤١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - ص ٦٩٦ .

(٤٤٢) محمد باقر الصدر : جعفر الصادق - دائرة المعارف
الشيعية - ج ٢ - ص ٧٥ .

سبعة عشر فصلاً في الدراسات الكيميائية من مجموع
فصول رسائلهم ، وكان الفضل في ذلك لجابر ، يقول الأستاذ
سارييف : « وأول باحث عظيم في علم الكيمياء ، هو جابر
بن حيان (٧٦٦م) وقد أصبحت كتبه عند ظهورها في
القمة ، وصارت بعد القرن الرابع عشر أهم مصادر هذه
الدراسات وأكثرها في التأثير وقيادة التفكير العلمي في
الشرق والغرب ، مما سجل بحق اسم جابر في مقدمة من
أندادوا علم الكيمياء وطوروه من الناحيتين النظرية
والعلمية » (٤٤٣) . ولهذا يقول كوييلر يونج : « وفي ميدان
العلوم الطبيعية ظهرت جهود الاسلام في الطبيعة والكيمياء
والمعروف أن مؤسس هذا العلم هو جابر بن حيان
الковفي » (٤٤٤) .

هذا وقد قسم جابر العلوم الى دينية ودنيوية : فالدينية
عنه تنقسم الى شرعية وعقلية ، والشرعية منها ظاهرة
وباطنة . والعقلية تنقسم الى علوم معان وعلوم حرف
وعلوم الحرف تنقسم الى علوم طبيعية وروحانية .
اما علوم المعانى فهي فلسفية والهية وبذلك تكون العلوم
الدينية في رأيه أسبق في الذكر من العلوم الدنيوية ، وأن
زمن الانتفاع هنا هو الأساس في التفرقة بين العلوم الدينية
والدنية (٤٤٥) .

وقد اشتغل الشيعة بهذه العلوم في فترة مبكرة من
الاسلام ، فقد نقل الأستاذ عباس محمود العقاد عن ابن بابويه
القمي أحد علماء الشيعة قوله : « وهذه الرواية رواها ابن

(٤٤٣) سارييف الفكر الاسلامي منابعه وأثاره - من ١٢٧ .

(٤٤٤) كوييلر يونج : اثر الاسلام الثقافى فى المسيحية - الثقافة
الاسلامية والحياة المعاصرة - بحوث اسلامية - من ٢٤٨ .

(٤٤٥) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات فى الفلسفة الاسلامية -
ص ١٩٢ .

بابويه الصدوق في الخصال عن جابر بطريقين بينهما اختلاف يسير ، ورواهما الحافظ القمي عن جابر في تفسير قوله تعالى : « أَنِّي رأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا » ثُمَّ سُمِيَّ تِلْكَ النَّجُومَ بِتَغْيِيرٍ يَسِيرٍ ٠ ٠ ٠ يَقُولُ الْعَقَادُ : « لَا نَحْرُضُ عَلَى رَوْاِيَتِهِ إِلَّا لِأَنَّ الصَّوَابَ وَالخَطَأَ فِي هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ يَدْلَانَا مَعًا عَلَى مَوْقِفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا حَرْجٌ عِنْهُمْ فِي دِرَاسَةِ النَّظَرِيَّاتِ الْعُلُمِيَّةِ ، وَلَا مَانِعٌ فِي دِينِهِمْ يَمْنَعُهُمْ أَنْ يَتَقْبِلُوهَا كَأَنَّهَا مَطَابِقَةً لِآيَاتِ التَّنْزِيلِ » (٤٤٦) ٠ وَهَذَا حَسْبُ رَأْيِ الشِّيَعَةِ ٠

وَنَنْتَهَى مِنْ هَذَا إِلَى أَنَّ مُؤْرِخِي الْمُسْلِمِينَ يَتَفَقَّوْنَ عَلَى حَقِيقَتَيْنِ كَمَا يَقُولُ أَبُو زَهْرَةُ : اشْتَغَالُ جَابِرَ بِالْكِيمِيَّاءِ وَالْطَّبِيعَةِ ، وَالثَّانِيَةُ حَسْلَتُهُ بِالْإِمامَ الصَّادِقَ ، وَأَنَّهُ كَانَ تَلَمِيذَهُ وَمُتَشَيِّعًا لِآلِ الْبَيْتِ (٤٤٧) ٠ وَيَقُولُ أَيْضًا : « يَذَكُرُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الصَّادِقَ (رَضِيَّ) تَكَلَّمُ فِي كَثِيرٍ مِنِ الْعِلُومِ ، وَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ مَقْصُورًا عَلَى عِلُومِ الْإِسْلَامِ وَمَا يَتَصلُّ بِهَا ، بَلْ تَصَدِّي لِلْكَلَامِ فِي الْطِبِّ وَعِلُومِ الطَّبِيعَةِ وَكُتُبِ أَخْوَانِنَا الْإِمَامِيَّةِ كَتَبَا فِي طَبِّهِ ، وَفِي عِلُومِهِ وَلِيُسَعَ عَنْدَنَا مَا نَرَدَ بِهِ كَلَامُهُ ، وَلَا يَسُوغُ لَنَا أَنْ نَتَصَدِّي لِرَدِّهِ » (٤٤٨) ٠ كَمَا أَنَّ هَشَامَ بْنَ الْحَكَمَ تَلَمِيذَ الْأَئْمَامِ جَعْفَرَ الصَّادِقَ لَهُ نَظَرِيَّاتٌ خَاصَّةٌ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَطَبَقَاتِ الْأَرْضِ ، حِيثُ ذَهَبَ إِلَى القُولِ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْضَ مِنْ طَبَائِعِ مُخْتَلِفَةٍ يَمْسِكُ بِعِصْبَاهَا بَعْضًا ، فَإِذَا ضَعَفَتْ طَبَيْعَةٌ مِنْهَا غَلَبَتِ الْأُخْرَى فَكَانَتِ الْزَّلْزَلَةُ ، وَإِنْ ضَعَفَتْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ كَانَ الْخَسْفُ (٤٤٩) ٠ وَهَذَا أُثْرُ الشِّيَعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِهَذِهِ الْعِلُومِ ٠

(٤٤٦) عَبَّاسُ مُحَمَّدُ الْعَقَادُ : التَّفْكِيرُ فِي رِبْضَةِ اسْلَامِيَّةٍ - ص ٥٨ - ٥٩ ٠

(٤٤٧) ، (٤٤٨) مُحَمَّدُ أَبُو زَهْرَةُ ! الْإِمامُ الصَّادِقُ - ص ٢٤٧ - ٢٤٦ ٠

(٤٤٩) الْأَشْعَرِيُّ : مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ - ج ١ - ص ١٣٤ ٠ وَأَيْضًا الْبَغْدَادِيُّ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرَقِ ص ٦٨ ٠

٢٣ - المنهج العلمي التجريبي :

من الواضح أن المنهج طريق يسلكه العقل وفق قواعد عامة ترشده وتقوده إلى الحقيقة . كما أن المنهج العلمي ، هو حصيلة التأمل الدقيق ، والعقل المبدع ، الذي يحدد القواعد ، ويميز الصحيح من الفاسد ، ويخلص إلى القوانين . وإن الفيلسوف المنهجي ، هو الذي يتتجاوز حدود التخصص المعين ، ويستقرئ المناهج المختلفة للعلوم ، محاولا الاتجاه نحو التعميم ، حتى يقدم صورة واضحة للمناهج التي يسلكها العقل الإنساني للكشف عن الحقيقة في العلوم^(٤٥٠) . « فالمنهج أذن هو : طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية »^(٤٥١) .

وإذا فهمنا المنهج بهذا الشكل يتضح أنه لم يكن لليونان وحدهم مناهج ساروا عليها ، بل كان من قبلهم من أمم الشرق أيضا – وقد وصلت إلى بحوث عميقة في العلم التجريبي والعلم الرياضي – مناهج وموافق نحو البحث العلمي . و « لم تضع أمة من الأمم أو مفكرو وعلماء أمة من الأمم قبل العرب المنهج التجريبي أو الاستقرائي كمنهج »^(٤٥٢) .

ثم أن منهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لأمة من الأمم ، ومدى اصالتها ، فحيث توجد حضارة ، يوجد منهج فالمنهج المعبر عن روح الحضارة اليونانية هو المنهج العقلي القياسي ، وقد احتقر أرسطو التجربة والتجريب

- (٤٥٠) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات في الفلسفة الإسلامية - ص ١٩١ .

- (٤٥١) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ٣٦ .

- (٤٥٢) المصدر السابق : ص ٣٦ .

حيث أعلن «النظر للسادة ، والتجربة للعبيد » . والمنهج المعيّر عن روح الحضارة الأوربية هو المنهج التجاريبي . ولن نستقصى هنا تاريخ الحضارات ، لكي نتبين منهج كل حضارة وإنما نحاول أن نعرض لنهج الحضارة الإسلامية والمنهج الذي وضعه أصحابها ، وهو المنهج المعيّر عن روحها الحقيقية ، والذي صبغ حضارتها وثقافتها معاً (٤٥٢) . وأن « من شروط قيام العلم أن تكون هناك طريقة تجمع شتات الواقع المتفرقة المبعثرة لتفسير ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين ثابتة وهذا هو المنهج التجاريبي » (٤٥٤) .

وتعتبر الشيعة من أقدم الفرق الإسلامية التي امتد بالمنهج العلمي بقسميه النظري والعملي ، كما ساهمت في وضعه وتطوير نظرياته ، ولهذا بنى علماء الشيعة بعض العلوم على التجربة والاختبار (٤٥٥) . فالإمام الصادق « آمن بالتجربة والنظر العقلى والجدل طريقاً إلى الأيمان ، وسلطته معرفته الواسعة العميقه بالعلوم فى الاستدلال والاقناع وجذب أصحاب العقول المبتكرة الى الدين » (٤٥٦) .

أما أول من استخدم المنهج العلمي في مختلف العلوم بعد الإمام الصادق ف תלמידه جابر بن حيان . يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « أن مذهب جابر في خطوات السير في البحث العلمي ، خطوات تطابق ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمي اليوم وتتلخص في ثلاثة خطوات

(٤٥٣) المصدر السابق : ص ٣٦ .

(٤٥٤) علاء الدين القزويني : المعتزلة فلسفتهم وأراءهم في التربية والتعليم - ص ٣٠١ .

(٤٥٥) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ٦٢ - ٦٣ .

(٤٥٦) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات إسلامية - ص ٤١ .

رئيسية الأولى أن يستوحى العالم مشاهداته فرضاً يفرضه ليفسر الظواهر المراد تفسيرها . والثانية أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهة النظرية الصرف والثالثة أن يعود بهذه النتائج إلى الطبيعة ليرى هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداته الجديدة فان صدقت تحول الفرض إلى قانون علمي يرکن إلى صوابه في التنبؤ بما عساه أن يحدث لو أن ظروفها بعينها توافرت . ومنهاج جابر هذا لم يفصل القول فيه قليلاً لجاء من نتاج العصر الحديث « ٤٥٧) .

أما المنهج التجريبي ، فيرجع أصله في الثقافة الإسلامية إلى الشيعة أيضاً . يقول الأستاذ جلال مظهر : « والحق أن جابر بن حيان عبقرية نسيج وحدها ، وهو للشرق مفخرة ، بل انه من مفاخر الإنسانية كلها ويكتفيه فخراً أن يكون النبي الذي بشر بالمنهج التجريبي ، فالتدريب الذي يحدثنا عنه جابر هو ما نسميه اليوم تجربة . يقول جابر : « فمن كان درباً متمرنا حاذقاً ، كان عالماً حقاً ، ومن لم يكن درباً لم يكن عالماً وحسبك بالدرية في جميع الصنائع ان الصانع الدرء يحذق وغير الدرء يعطّل » (٤٥٨) .

ولجابر شهرة كبيرة عند الأفرنج بما نقلوه عن كتبه ، في بدء يقطتهم العلمية . قال بريلو : « لجابر في الكيمياء ما لا رسطوطاليس قبله في المنطق وهو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية وأول من استحضر ماء الذهب وينسب إليه استحضار مركبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم

(٤٥٧) جلال مظهر : الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث - ص ٧٢ .

(٤٥٨) المصدر السابق : ص ٧١ - ٧٢ .

وكربونات الصوديوم . . . وقال لوبيون : « تتألف من كتب جابر موسوعة علمية تحتوى على خلاصة ماوصل اليه علم الكيمياء عند العرب فى عصره . . . » (٤٥٩) . . . « . . . فان طرق التحسين فى عمليات التبخر والترشيح والتصعيد والتذويب والتقطير والتبلور ترتبط كلها باسم « جابر » وكذلك ينسب اليه أنه وصف عملية التكليس والتحويل وصفا علميا ، وأنه جهز مواد كيماوية كثيرة منها سلفيد الزئبق ، أوكسيد الزرنيخ ، الماء الملكى ، الزاج النقى . . . وقد ظلت الأعمال التى تحمل اسمه كبيرة التأثير فى هذا العلم فى أوروبا وأسيا من القرن الرابع عشر الى الثامن عشر » (٤٦٠) .

وكان لجابر معمل فى بغداد يجرى فيه تجاربه وبحوثه، وله بحوث قيمة فى التكليس وفى ارجاع المعدن الى أصله بالأوكسجين ، وفى تحسين طرق التبخير والتصعيد والصهر والتبلور (٤٦١) . وقد زود الامام الصادق تلميذه بكل ما يحتاجه من أدوات للقيام بتجاربه (٤٦٢) . وقد ترجم عددا من كتبه الكثير الى اللغة اللاتينية . . . فدل هذا على دوام نفوذه العلمى مدة طويلة فى أوروبا (٤٦٣) .

وكان جابر أول من حضر الحوامض ، ولذلك كان أبا الكيمياء اذ لا يمكن أن يتصور علم الكيمياء بغير حوامض

(٤٥٩) خير الدين الزركلى : الاعلام - ج ٢ - ص ٩١ . وأيضاً احمد الحوفي : تيارات ثقافية - ص ٢٥٢ .

(٤٦٠) كوييلر يونج : اثر الاسلام الثقافى فى المسيحية - الثقافة الاسلامية - ص ٢٤٨ .

(٤٦١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية - ص ٢٥٢ . وانظر ابن النديم : الفهرست - ص ٥١٣ - ٥١٤ .

(٤٦٢) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - ص ٤١ .

(٤٦٣) احمد الحوفي : تيارات ثقافية - ص ٢٥٢ .

ولم يكن يعرف قبله حامض أقوى من الخل المركز . كما كان أول من وصف طريقة تحضير حامض التنريك في كتابه صندوق الحكمة ، كذلك حضر الحامض الليموني . وكان يعرف أن إضافة ملح النشادر وهو كلوريد الأمونيا إلى حامض التنريك إنما يكون الماء الملكي ، وهو محلول يذيب الذهب . وهذه حقيقة لها أهمية تعدينية كبرى وبذلك أوجد جابر فعلا الحل للمشكلة الكيماوية الكبرى في الحصول على الذهب على شكل سائل (٤٦٤) .

وقد استخدم جابر بن حيان في تجاربه ، قياس الغائب على الشاهد ، في مجال أبحاثه الكيماوية ، وهو بهذا يلتقي مع المنهج التجاريبي الحديث في فكرة الاحتمال ، إذ أنه لا يجوز الحكم على ما لم يشاهد إلا على سبيل الاحتمال (٤٦٥) . ولهذا استطاع جابر أن ينجح في العبور من الكيمياء السحرية الخرافية إلى الكيمياء العلمية التجريبية ، ودعماً إلى الاعتماد على الملاحظة والتجربة (٤٦٦) .

فالمنهج التجاريبي اذن نشأ على يد الشيعة . وكان أولهم جابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق . وبالرغم من أنه « أحد العباقرة الذين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق والطب والرصد والرياضيات والكيمياء ، والميكانيك والفلك وسوها من المعرفة الإنسانية إلا أنه طفت عليه شهرته بالكيمياء ، وعرف بها ، ويأنه امام هذا الفن من غير منازع » (٤٦٧) . ثم جاء من بعده الكندي المتوفى سنة

(٤٦٤) جلال مظہر : الحضارة الإسلامية - ص ٧٢ .

(٤٦٥) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات في الفلسفة الإسلامية - ص ٢٠٠ .

(٤٦٦) عبد فراج : معالم الفكر الفلسفى فى الإسلام - ص ٨٠ .

(٤٦٧) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ١٨٥ .

٢٦٠ فقد قسم علوم الفلسفة الى ثلاثة : العلم الرياضي ، والعلم الطبيعي ، وعلم الربوبية ، وهو اعلاها في الطبع ، ثم يأتي من بعده أبو نصر الفارابي المتوفى ٣٣٩ هـ في مقدمة احصاء العلوم . ومن بعده ابن سينا فانه يبدأ التصنيف ببيان ماهية الحكمة المنضمة لنوعين من المعرفة النظرية والعملية « (٤٦٨) ٠

وكل هؤلاء من مفكري الشيعة وفلسفتهم (٤٦٩) ٠ وقد توفي جابر بن حيان سنة ١٦٠ هـ وكان له أول تصنيف عربي واسلامي في هذا العلم (٤٧٠) ٠

(٤٦٨) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات في الفلسفة الاسلامية - ص ١٩٣ - ١٩٤ ٠

(٤٦٩) عبد الله نعمة : فللسنة الشيعة - ص ٣١ ٠ وانظر المدرسة الفكرية من هذا البحث .

(٤٧٠) عبد اللطيف محمد العبد : مناهج البحث العلمي - ص ٣١ ٠

**ثانيا : نشأة الفكر الفلسفى عند الشيعة ،
وأثره فى الفكر والثقافة
- الإسلامية -**

مقدمة :

من المعطيات الثورية للحرية الفكرية في الإسلام ، الحرب التي شنها على التقليد وجمود الفكر ، والاستسلام العقلى للأساطير أو لآراء الآخرين ، دون وعي أو تمحيص ، والهدف الذى يرمى إليه الإسلام من ذلك ، تكوين العقل الأستدلالي أو البرهانى عند الإنسان ، فلا يكفى لتكوين التفكير الحر لدى الإنسان أن يقال له : فكر كما يحلو لك ٠٠٠ بل لابد فى رأى الإسلام لإنشاء الفكر الحر أن ينشئ فى الإنسان العقل الأستدلالي أو البرهانى الذى لا يقبل فكرة دون بحث ، ولا يؤمن بعقيدة مالم تحصل على برهان ، ليكون هذا العقل الواقع ضماناً للحرية الفكرية وعاصماً للإنسان من التفريط بها ، بداعي من التقليد أو التعصب أو الركون إلى الخرافات . وفي الواقع أن هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلى للإنسان ، فهو كما حرر الإرادة الإنسانية من عبودية الشهوات كذلك حرر الوعى الإنساني من عبودية التقليد ، وبهذا وذاك أصبح الإنسان حراً في تفكيره وحراً في ارادته (١) .

وقد اختلف المسلمون في جواز الخوض أيضاً في القضايا العقلية والفلسفية ، كما اختلفوا في جواز الخوض في علم الكلام ، فذهب البعض إلى حرمة ذلك ، لأنها تبعد الإنسان عن الدين . يقول الدكتور عبد الحليم محمود : « فالمدرسة العقلية في الدين لم تسجد لله سجدة خضوع واذعان ، وإنما سجدت للعقل ، وعبدت العقل فتفرقـتـ إلى مالـا يـكـاد يـحـصـىـ منـ الفـرقـ » (٢) .

(١) محمد باقر الصدر : المدرسة الإسلامية - ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل - ص ٤٠ .

ويقول أيضا : « وقد ثار على هذا الاتجاه - العقلى - أئمة المسلمين الأصفياء ، وقادتهم الاتقياء ، ثار عليه الإمام الشافعى ، والامام مالك ، والامام أحمد بن حنبل ، والامام سفيان ، بل ثار عليه جميع أئمة المحدثين من السلف . رضوان الله عليهم »^(٣) . وليس أدل من تحريم ذلك ما قام به الامام الغزالى فى كتابه تهافت الفلسفه ، وتكفيره للفلسفه فى كتابه المنقد من الضلال^(٤) ، وللهذا نشأ الفكر الفلسفى والتفكير العقلى فى الاسلام على أيدي الشيعة وأئمتهم . وفي ذلك يقول الدكتور ابراهيم مذكر : « ففى حين أن الشيعة يتقبلون بقبول حسن كثيرا من الآراء الفلسفية ، نرى أهل السنة يقرون من هذه الآراء موقف الحذر والحيطة »^(٥) . وبهذا يقول احمد أمين : « ولذلك كانت الفلسفة الصدق بالتشييع منها بالتسنن »^(٦) . وقد بسط هذا الرأى « كارادى فو » الذي بين التضاد بين التشيع والاسلام السنى فى قوله : « نزاوا بين فكر حر طليق وسنة ضيقة جامدة »^(٧) .

يقول هنرى كوربيان : « فلقد أهمل العامل الشيعى بكليته تقريبا ، مع أنه لا يمكن التفكير بمصير الفلسفه فى الاسلام وبمعنى الصوفية ، بشكل مستقل عن معنى التشيع »^(٨) . ويقول أيضا : « فنحن لا نستطيع أن نتعرض لما كان من أمر الحكمه فى الاسلام ، دون أن نبحث فى التصوف ، أعنى الصوفية فى مظاهرها المختلفة ، سواء

(٣) نفس المصدر : ص ٥٥ .

(٤) الغزالى : المنقد من الضلال - ص ١٠٤ .

(٥) ابراهيم مذكر : في الفلسفة الاسلامية - منهج وتطبيقه - ج ١ - ص ١٠٩ .

(٦) احمد أمين : ظهر الاسلام - ج ١ - ص ١٩٠ .

(٧) جولد تسيهير : العقيدة والشريعة فى الاسلام - ص ٢٠٥ .

(٨) هنرى كوربيان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٤٢ .

من حيث التجربة الروحية ، أو من حيث حكمتها الالهية النظرية التي تجد جذورها في التعليم الفلسفى الشيعي «^(٩) » . ولهذا يقول عباس محمود العقاد « لأن هذه المسألة بذاتها – مسألة الدراسة العقلية – قد كانت في طليعة المسائل التي اشتغل بها الشيعة الإماميون ، ومن أفواه الشيعة الإماميين تلقى أسطoirine الفلسفه الاسلاميه كلامهم في العقل والنفس وفي مذهب الأفلاطونية الحديثة ومذهب أفلاطين منها على التخصيص »^(١٠) . « فانه من الطبيعي أن يكون الشيعة عموماً والاسماعيليون خصوصاً، أول الأساتذة الكبار في التأويل »^(١١) . ولهذا كانت أول مدرسة فلسفية ظهرت في الاسلام هي مدرسة الشيعة ، يقول الدكتور على سامي النشار : « ... ظهرت أول مدرسة فكرية في تاريخ الاسلام ، وهي مدرسة محمد بن الحنفية الأبن الثالث لعلى بن أبي طالب ... ولم يتتبه الباحثون الى أهمية هذه المدرسة الأولى ، بالرغم من أهميتها ... ولم يتتبه الباحثون أيضا الى أن نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام انما كان في المدينة ، حيث ازدهرت تلك المدرسة ... »^(١٢) . وهذه المدرسة هي امتداد لمدرسة الامام على بن أبي طالب .

يقول محمد أبو زهرة : « ان الصادق كان على علم دقيق بالفلسفة ومناهج الفلاسفة – وعلى علم بمواضع التهافت عندهم وأنه كان مرجع عصره في رد الشبهات ... »^(١٣) . وقد تخرج من مدرسته الفيلسوف

٩) نفس المصدر : ص ٢٢ .

١٠) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية – ص ٤٠ .

١١) هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية – ص ٥٢ .

١٢) على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى – ج ١ -

ص ٢٢٩ .

١٣) محمد أبو زهرة : الامام الصادق – ص ٩٩ .

الكبير ، جابر بن حيان الصوفى : « ٠٠٠ من أشهر مشاهير تلاميذ الامام جعفر الصادق ، مولده فى طوس بخراسان سنة ٨٠ هـ وتفنن فى العلوم الرياضية والنجوم ٠٠٠ ولقب بالصوفى لا لتصوفه ، بل لاشتهاره بالحكمة والفلسفة ٠٠٠ ١٤) . ولهذا فالامام جعفر الصادق المولود سنة ٨٠ هـ ، « ٠٠٠ كان قوة فكرية فى هذا العصر ، لم يكتفى بالدراسات الاسلامية ، وعلوم القرآن والسنة والعقيدة ، بل اتجه الى دراسة الكون وأسراره ، ثم حلق بعقله القوى الجبار فى سماء الأفلاك ومدارك الشمس والقمر والنجوم ، ٠٠٠ وانه وان كان قد درس الكون، وأصل الكون ، وخاض خوضا مع الفلسفة ٠٠٠ قد عنى عناية كبيرى بدراسة النفس الإنسانية ، وإذا كان تاريخ الفلسفة يقرر أن سocrates قد أنزل الفلسفة من السماء الى الإنسان ، فالامام الصادق قد درس السماء والأرض والانسان وشرائع الأديان ٠٠٠ ١٥) .

وكان لأئمة الشيعة تأثير كبير فى تنشيط الحياة العقلية والفكرية فى الاسلام ، ولهذا عكفوا على دراسة سائر فروع المعرفة والعلم ، وكان تأثير مدرسة الامام محمد الباقر وجعفر الصادق من الأسباب التى أدت الى ظهور الاتجاهات الفلسفية بين العرب ١٦) . ولهذا انبثقت الفلسفة الاسلامية من بيت علوى وهى مدرسة محمد بن الحنفية ، « ٠٠٠ تلك هى المدرسة الاسلامية الفكرية الأولى التى خرج اكبر رواد الفكر الاسلامى الأولين منها . نشأت فى المدينة ١٧) . اذن « فالدراسات المنطقية وسائل الدراسات

١٤) نفس المصدر : ١٠١ .

١٥) نفس المصدر : ص ١٠١ - ١٠٢ .

١٦) السيد امير على : روح الاسلام - ج ٢ - ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

١٧) على سامي النشار : شاهة الفكر الفلسفى - ج ٢ - ص ٢٣١ .

العقلية كانت من شواغل الشيعة الاماميين «(١٨)» . حتى كان أول نقد ظهر في الاسلام لفلسفة ارسططاليس كان من مفكري الشيعة ، ومن تلاميذ الامام جعفر الصادق ، يقول الدكتور النشار : « بل اننا نرى لهشام بن الحكم ، هذا المتكلم الشيعي الأول ، وفي زمن مبكر ، كتابا في نقد ارسططاليس » (١٩) . وقد ذكر ابن النديم في الفهرست هذا الكتاب (٢٠) . ولهذا جاء في وصية الامام موسى بن جعفر لهشام بن الحكم في قوله : « ياهشام ان كل الناس يبصر النجوم ، ولكن لا يهتدى بها الا من يعرف مجاريها ومنازلها . وكذلك انتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدى بها منكم الا من عمل بها » (٢١) . ولكن « من الملاحظ في المباحث العامة المتعلقة بالفلسفة الاسلامية ، أن الدور والأهمية القاطعة التي كانت للفكر الشيعي في ارتقاء الفكر الفلسفى في الاسلام ، لم تؤخذ بعين الاعتبار اطلاقا . لا بل كان بين صفوف المستشرقين حيالها بعض التكتم والميل الذي يصل إلى حد العداء ، وهم في ذلك على وفاق مع الجهة التي كان يعلم الاسلام السنة به بعض مسائل التشيع الحقيقة » (٢٢) .

ويظهر من النصوص ، أن أول من وضع الأصول الفلسفية في الاسلام ، وتكلم في قضایاها المختلفة ، قبل عصر الترجمة والاختلاط ، هو الامام علي بن أبي طالب ، ولهذا جاءت الفلسفة عند الشيعة فلسفة اسلامية بحتة ، واذا كان فيها بعض القضايا المذكورة من فلاسفة غير اسلاميين ، انما هي لأجل المقارنة والمناظرة . أو أنها ترجمة

(١٨) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - ص ٤٠ .

(١٩) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى - ج ١ - ص ١٠٨ .

(٢٠) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٦٤ .

(٢١) الحرانى : تحف العقول - ص ٢٨٩ .

(٢٢) هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ٦٦ .

لبعض كتب الفلسفه ، كما هو موجود مثلا في بعض كتب أبي نصر الفارابي . يقول السيد حسن الصدر : « ان بعض العلماء يتسرع في تفكير الفارابي ، حيث وجد في كتابه ما يدل على عدم العالم وانكار المعاد وأمثال ذلك ، ولم يلتفت أن هذا كله ترجمة بالعربي لكتب بعض الفلسفه ، لا أنه كتاب عقيدة لأبي نصر الفارابي ، أو ليس في رسالة النصوص المنسوبة اليه خلاف هذه الكلمات ٠٠٠ » (٢٣) . ولهذا يقول العقاد : « والذى اتفق عليه جلة الثقات ان فلسفة الفارابي فلسفة اسلامية لا غبار عليها ، فلم ير فيها جمهرة المسلمين المعنين بالبحث الفكرى حرجا ولا موضوع ريبة ، ولا نخالها تغصب متديننا بالاسلام او بغيره من الأديان ٠٠٠ » (٢٤) . يقول أبو نصر الفارابي في أول سطر من كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة ، « الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها » (٢٥) .

فإذا كانت فلسفة الفارابي فلسفة اسلامية لا غبار عليها ، اذن ، فلماذا حكم الامام الغزالى بکفره ، مع أنه يؤمن بوجود العلة الأولى ، وهو الله سبحانه ، لهذا الكون ، مع أن فلسفة الفارابي لا تغصب متديننا ، والسر في ذلك واضح ، لأنـه كان أحد فلاسفة الشيعة . بل أعظم فيلسوف شيعي ، حتى لقب بالعلم الثاني عند فلاسفة المسلمين .

ومهما يكن من أمر ، فإن الامام على يعتبر أول من تكلم في الفلسفة من المسلمين ، لأن « الحكمة والبحث في الأمور الالهية لم يكن من فن أحد ٠٠٠ وأول من خاض

(٢٣) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ٣٨٥

(٢٤) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - ص ٤٧

(٢٥) عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى في الاسلام - ص ١٠٢

فيه من العرب على عليه السلام «(٢٦) ثم أبناؤه وشيعته . يقول هنرى كوريان : « ان الأدلة التى يقدمها الفارابى ليدعم قوله بضرورة وجود الانبياء ، واللاماح التى يصف بها السكين الداخلى للنبي والمرشد ، والامام ، كل ذلك مطابق للأدلة التى أقامها علم النبوة عند الشيعة ، استنادا الى أقوال الأئمة الموصومين وأرائهم » (٢٧) . ويقول أيضا : « ان بعض المسائل الفلسفية الأساسية التى تطرحها خطب الامام على ، تأخذ كل مذاها عند «الملا صدرا» ومدرسته ، ونحن عندما نعود الى أحاديث الامام مع تلميذه «كميل بن زياد» عندما يجيب عن هذا السؤال : ما هي الحقيقة ، وعندما يصف التعاقب الباطنى للحكماء فى العالم الخ نجد فى هذه الصفحات نموذجا خاصا من التفكير يتسم بطبع يميزه عن غيره ، من هنا تأخذ الفلسفة الشيعية سيماءها الخاص . . . باعتقادهم أن خطب الامام تشكل دورا فلسفيا متكاما » (٢٨) . وعلى هذا كانت فلسفة صدر المتألهين الملا صدرا ، مجدد الفلسفة الاسلامية ، فلسفة متكاملة ، مستندة الى المبادئ والأصول الفلسفية العامة ، التى أصلها الامام على في خطبه . يقول الملا صدرا في الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الاربعة : « وللأشعار بأن المعتبر من كمال القوة العملية ، ما به نظام المعاش ونجاة المعاد ، ومن النظرية العلم بأصول المبدء والمعاد والتدبیر فيما بينهما من حق النظر والاعتبار ، قال امير المؤمنين عليه السلام : « رحم الله امراً عد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من أين ، وفي أين ، والى أين » والى ذينك الفنين رممت الفلسفه الالهيون » (٢٩) .

(٢٦) ابن أبي الحديد : شرح النهج - ج ١ - ص ٦ .

(٢٧) هنرى كوريان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٢٤٩ .

(٢٨) المصدر السابق : ص ٨١ .

(٢٩) صدر الدين الشيرازى : الحكمة المتعالية - الجزء الأول من السفر الأول - ص ٢٢ - ٢١ .

ويقول أيضاً : « وأعلم أن الأحاديث المنشورة من آئمننا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في هذا الباب كثيرة اكتفينا بهذا لثلا يؤدي ذكرها جميعاً إلى الاطناب ٠٠ » (٣٠) . ولهذا يقول « وقد وقع في كلام مولانا وأمامنا مولى العارفين وأمام الموحدين ما يدل على نفي زيادة الصفات لله تعالى بأبلغ وجهه وأكدته حيث قال في خطبة المشهورة :

« أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الأخلاص له ، وكمال الأخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادتها كل موصوف أنه غير المصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ٠٠٠ وهذا الكلام الشريف مع وجازته متضمن لأكثر المسائل الآلهية ببراهينها ونشر إلى نبذة من بيان أسراره ونموذج من كنوز أنواره » (٣١) .

ويظهر من النصوص أن الإمام على عليه السلام هو الواضع الحقيقي للمبادئ الفلسفية في الإسلام ، يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « فلنقرأ للإمام على هذه العبارات ، لنرى كيف صبغت الأحكام الفلسفية العامة في لفظ أحاذ : « من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق » . كفى بالمرء جهلاً لا يعرف قدره » ، « لسان الصدق خير من المال الموروث » (٣٢) . وفي عباراته أيضاً كما في الفرق بين الفرق للبغدادي : « إن الله تعالى خلق العرش اظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته ، وقال أيضاً : « قد كان

(٣٠) صدر الدين الشيرازي : الحكمة المتعالية - ج ١ - من السفر الثالث - ص ٣٥٨ .

(٣١) المصدر السابق : ص ١٣٦ .

(٣٢) زكي نجيب محمود : العقول واللامعقول - ص ٥٥ .

ولا مكان ، وهو الآن على ما كان «(٢٣) . ومن أرائه الفلسفية قوله : «كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، انشأ الخلق انشاء ، وابتداه ابتداء ، بلا رؤية آجالها ، ولا تجربة استفادها .. عالما بها قبل ابتدائها ، محظيا بحدودها وانتهائها ..» (٢٤) . وتنجلى المبادئ الفلسفية في خطبته عليه السلام ، المعروفة بالاشباح ، ذلك عندما سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه ، جاء فيها :

«الأول الذي لم يكن له قبل فиكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، والرادرع أناسم ، الابصار عن أن نناله أو تدركه ، ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ... الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتهنه ، ولا مقدار احتذى عليه من خلق معهود كان قبله ... وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلًا عليه ... وأشهد أن من شبهه بتباين أعضاء خلقك ... لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ، كذب العادلون بك أذ شبھوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم ، وجزعوك تجزئة المجرمات

(٢٣) البغدادي : الفرق بين الفرق - ٢٣٢ .

(٢٤) محمد عبده : شرح نهج البلاغة - ج ١ - ص ١٦ .

وتشتمل هذه النصوص على أهم المبادئ والأصول الفلسفية ، التي تدور حولها الفلسفة ، عامة ، وأهمها : أولاً اثبات القدرة لله سبحانه ، وأنه مرید . ثانياً : نفي الجسمية الموجبة للتركيب ، لأن كل مركب ممكن ، والله واجب الوجود وليس ممكنا . ثالثاً : مبدء الوجود والعدم . رابعاً : مبدء القدر والازلية للذات الآلية مع خلقه للمكان ، لأنه كان قبل وجود المكان ، خامساً : مبدأ السرمدية والبقاء للذات الآلية . سادساً : مبدء العلية والمعلوية ، فالله علة الموجبات مع القدرة والاختيار . سابعاً : مبدء العلم والاحاطة بجميع المخلوقات .

بخواطthem . . . فاقام من الاشياء اودها ، ونهج حدودها ،
ولاءم بقدرته بين متضادها . ووصل أسباب قرائتها .
وفرقها أجناسا مختلفلات في الحدود والغرائز والهيبئات ،
بدايا خلائق أحكام صنعتها وفطرها على ما أراد وابتدعها .
وذلل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة
معراجها^(٣٥) . ناداها بعد اذ هي دخان . فالتحمت عرى
أشراجها . . . «(٣٦)

وفي خطبة له عليه السلام في التوحيد ، وقد جمعت
الأصول العامة لهذا العلم ، وهي خطبة طويلة نختار منها
الفقرات التالية :

«ما وحده من كيده ، ولا حقيقته أصاب من مثله .
ولا اياد عنى من شبهه ، ولا صمده من أشار اليه وتوهمه .
كل معروف بنفسه مصنوع ، وكل قائم في سواه معلول .
فاعدل لا باضطراب الله . مقدر لا بجول فكرة ، غنى
لا باستفادة . لا تصحبه الأوقات ، ولا ترتفعه الأدوات ،
سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والابتداء أزله ،
بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبمضادنه بين
الامور عرف أن لا ضد له . وبمقارنته بين الاشياء عرف
أن لا قرين له ، . . . لا يجري عليه السكون والحركة .
وكيف يجري عليه ما هو اجراء ، ويعود فيه ما هو أبداه ،
ويحدث فيه ما هو أحداثه . اذا لتفاوت ذاته ، ولتجزأ

(٣٥) الهابطين والصاعدين الأرواح المعلوية والسفلية كما يقول محمد عبد ص ١٦٦ من الجزء الأول من الشرح .
ومن هنا يعلم أن الانسان مركب من جسد وروح . وهذا ما ذهب
اليه أكثر الفلاسفة المسلمين متأثرين بآراء الشيعة وأئمتهم كما سوف
يتضح .

(٣٦) انظر محمد عبد : شرح النهج - من ص ١٦٠ الى ص ١٨١
من الجزء الأول .

كنه ، ولا متنع من الاذل معناه ، ولكان له وراء اذ وجد له امام ، ولالتمس التمام اذ لزمته النقصان . و اذا لقامت اية المصنوع فيه ، ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه . وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره الذي لا يحول ولا يزول ، ولا يجوز عليه القول . . . لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ، ولا تدركه الحواس فتحسسه ، ولا تلمسه الايدي فتتسمه لا يتغير الحال ، ولا يتبدل بالأحوال . . . ولا يوصف بشيء من الاجراء ولا بالجوارح والاعضاء . ولا بعرض من الاعراض ، ولا بالغيرية والابعاض ، ولا يقال له حد ولا نهاية . . . لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجرى عليه الصفات المحدثات . . . وليس فناء الدنيا بعد ابتعادها بأعجب من اشتبئها واحتراعها . . . الخ » (٣٧) .

وتشتمل هاتان الخطيبتان على أمهات المبادئ الفلسفية التي أدلّى بها الامام على ، وتقع في عشرین صفحة ، بين فيها الامام على القضايا التي تدور حول الفلسفة الاسلامية . باسلوبه البلاغي الرائع . ولهذا يقول الدكتور زكي نجيب محمود : « وماذا أقول في موقف امترزج فيه أدب وفلسفة وفروسيّة وسياسة . . . والاديب هنا يصوغ العبارة بحكمة الفيلسوف ، والفيلسوف هنا ينتزع الحكمه ببديهته . . . فهو الأديب الذي جادت عبارته ان شئت ، وهو الفيلسوف الذي نفت بصيرته ان شئت . فإذا حاولنا أن نصنف هذه القوال تحت رؤوس عامة تجمعها ، وجدناه تدور . . . على الأغلب - حول موضوعات رئيسية ثلاثة هي نفسها الموضوعات الرئيسية التي ترد إليها محاولات الفلسفة قديمها وحديثها على السواء ، لا وهي : الله ، والعالم ، والانسان ، واذن

(٣٧) نفس المصدر : ج ٢ - ص ١١٩ الى ص ١٢٦ .

فالرجل ٠٠٠ فيلسوف بمادته وان خالق الفلسفة «(٢٨)

وهكذا وضع الامام على بن أبي طالب الأصول العامة للفلسفة الاسلامية ، ثم نمت على ايدي ابنائه وشيعته ، أمثال محمد بن الحنفيه وأبنائه . وعلى بن الحسين وولده محمد الباقر وحفيده جعفر الصادق الذى استقرت الفلسفة الاسلامية في عهده ، حتى كان هؤلاء هم أساس الفلسفة الاسلامية . يقول أحد المؤرخين الفرنسيين : « لولا اغتيال على ، لكان من المحتمل أن يشهد العالم الاسلامى تحقيق التعاليم النبوية ، وذلك بالتفريق بين العقل والشرع ووضع المبادئ الاولى للفلسفة الحقة موضع التنفيذ » (٢٩) .

وللننظر الى المبادئ الفلسفية التى وضعها أئمة الشيعة ، وأخذها عنهم فلاسفة المسلمين ما جاء عن الامام محمد الباقر بن على بن الحسين المولود سنة ٦٢ للهجرة كما عن الكافى للكلينى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، أن رجلا سأله الامام محمد الباقر فقال له أخبرنى عن ربك متى كان فقال له الباقر :

« ويلك انما يقال لشيء لم يكن : متى كان ، ان ربى تبارك وتعالى كان ولم ينزل حيا بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كون ، كيف ولا كان له اين ، ولا كان فى شيء ، ولا كان على شيء ولا ابتدع لكانه مكانا ، ولا قوى بعد ما تكون الاشياء ولا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا ٠٠٠ لم ينزل حيا بلا حياة وملكا قادرها قبل أن ينشيء شيئاً وملكا جبارا بعد انشائه للكون فليس لكونه كيف ، ولا له اين ولا له حد ولا يعرف بشيء يشبهه ، ٠٠٠ كان حيا بلا حياة

(٢٨) زكي نجيب محمود : المعقول واللامعقول - ص ٢٩ . ٣٠ . ٠

(٢٩) السيد أمير على : روح الاسلام - ٢٤٨ - ٢٤٩

حادثة ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أين موقوف عليه ولا مكانجاور شيئاً ، بل حتى يعرف وملك لم ينزل له القدرة والملك أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته ، لا يحد ولا يبعض ولا يفني ، كان أولاً بلا كيف ويكون آخر بلا أين وكل شيء هالك إلا وجهه ٠٠٠ (٤٠) ٠

وجاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق المولود سنة ٨٠ للهجرة كما عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى الإمام الصادق (ع) ، فكان من قول الإمام الصادق : « لا يخلو قولك إنهم اثنان من أن يكونا قدبيين قويين ، أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والأخر ضعيفاً ، فإن كنا قويين فلم لا يدفع كل واحد منها صاحبه وينفرد بالتدبير ، وإن زعمت أن أحدهما قوى والأخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني ، فإن قلت : إنهم اثنان ، لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة ، أو مفترقين من كل جهة ، فلما رأيناخلق منتظمًا ، والفلك جارياً ، والتدبير واحداً ، والليل والنهر والشمس والقمر ، دل صحة الأمر والتدبير واتفاق الامر على أن المدبر واحد ، ثم يلزمك أن ادعية اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قد يعدهم فيلزمك ثلاثة ، فإن ادعية ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ملانهاية له في الكثرة ٠ قال هشام : فكان من سؤال الزنديق أن قال : فما الدليل عليه ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً صنعوا ، ألا ترى إنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً ، وإن كنت لم تر الباني ، ولم تشاهد ، قال : فما هو ؟ قال : شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي إلى اثبات

(٤٠) الكليني : الكافي - ج ١ - ص ٨٨ ، ٨٩ ٠

معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الازمان « (٤١) .

وقد تخرج من هذه المدرسة العلوية أكبر فلاسفة المسلمين من الشيعة ، وكان لهم الأثر البالغ في اثراء الفكر الفلسفى فى الاسلام . يقول عبد الله نعمة : « وهنا تبرز شخصية الفكر الشيعي بوضوح وجلاء ، أكثر من أي موضوع آخر ، ويكفى دلالة على هذا ، أن ألمع الشخصيات الفلسفية والرجالات الفكرية كانوا من الشيعة ، وعرفوا بميولهم الشيعية فى آرائهم ونظرياتهم . ومن هؤلاء هشام بن الحكم ، وجابر بن حيان ، وأبو يوسف الكندى ، ونوبخت ... والفارابى ، وأبو زيد البلخى ، وأبو بكر الرازى ، وابن سينا ... وابن مسكويه ، والبيرونى ... » (٤٢) . والباحث يقتصر على ذكر أبي يوسف الكندى ، ثم الفارابى ، ومن بعده ابن سينا ، حيث يرجع الى هؤلاء - كما يقال - الفضل فى ارساء الفلسفة الاسلامية ، وتأثيرها فى الثقافة والفكر الانساني على السواء .

يقول جوستاف : « وليس ثمة مجال للشك فى أن رجالاً من أمثال الكندى (المتوفى ٨٧٣) والفارابى المتوفى ٩٥٠ كانوا أعظم عقولاً وأعظم تشرباً بالروح الهلينية من عاصرهم من المعتزلة » (٤٣) . وعلى هذا أخرج الكندى عن دائرة الاعتزال . « والفارابى أستاذ ابن سينا بالاطلاع والقدوة ... ورعى أقوال الشيعة الإمامية فى شروط الامامة ... وكان أخوان الصفاء يدينون بمذهب

(٤١) نفس المصدر : ص ٨٠ ، ٨١ .

(٤٢) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ٢١ .

(٤٣) جوستاف : الحضارة الاسلامية - ص ٤١٢ .

فى الامامة لهذا المذهب ، ويؤلفون الرسائل مع هذا فى
المنطق وفى علوم الرياضة والفالك وما اليها من علومهم
العقلية «(٤٤) . وهكذا كانت الفلسفة والتفكير العقلى
تدور فى مدارس الشيعة .

١ - الكندى :

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى ، كان شريفاً
الأصل ، وكان جده ولى الولايات لبني هاشم (٤٥) . وقد
ولد عام ١٨٩ هـ فى الكوفة مهد التشيع ، يقول الدكتور زكي
نجيب محمود : « ٠٠٠ وأهل الكوفة هم أشياع أهل
البيت » (٤٦) . وكان شيعي المذهب (٤٧) . يقول الرحـ.
عند وصوله الى الكوفة : « ٠٠٠ وقد طاب لى المقام بين
أهلها لما وجدت فيهم من الحب لأهل البيت ٠٠٠ ولاسيما
في قوم كندة من ملوك النصرانية ، وهم من غلة الشيعة
وأكثرهم عالم وحكيم وأديب ، وكان بينهم معدن العلم
ومظهر الحكمـة ، وقد لقيت منهم أـسـحـاقـ الـكـنـدـىـ » (٤٨) .
وهو أبو فـيلـسـوـفـناـ يـعـقـوبـ الـكـنـدـىـ .

وفى الذريعة الى تصانيف الشيعة : « اختلاف الـكنـدـىـ »
ـ لأـبـىـ يـوسـفـ يـعـقـوبـ بنـ اـسـحـاقـ الـكـنـدـىـ منـ ولـدـ مـحـمـدـ
بنـ الاـشـعـثـ بنـ قـيـسـ الـكـنـدـىـ ، قالـ السـيـدـ اـبـنـ طـاوـوسـ
فيـ الجـزـءـ الـخـامـسـ منـ كـتـابـهـ فـرـجـ المـهـمـوـمـ ، أـنـهـ مـنـ عـلـمـاءـ
الـشـيـعـةـ الـعـارـفـيـنـ بـالـنـجـوـمـ » (٤٩) وـانـ النـجـوـمـيـاتـ تـسـعـةـ

(٤٤) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية – ص ٤٠

(٤٥) محمد عبد الهادى أبو ريدـه : الـكـنـدـىـ وـفـلـسـفـهـ – ص ٢

(٤٦) زـكـىـ نـجـيبـ مـحـمـدـ : المـعـقـولـ وـالـلـامـعـقـولـ – ص ١٠١ ، ١٠٠

(٤٧) عبد الله نعمة : فلاـسـفـةـ الشـيـعـةـ – ص ٥٩٢ ، ١٠٧

(٤٨) جميل نخله المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام –
ص ٢١٥

(٤٩) آغا بزرگ الطهراني : الذريعة الى تصانيف الشيعة – ج ١ –
ص ٢٧٧

عشر كتابا ، قال ابن طاووس وصل اليـنا من تصانيفه رسالتـه فى علم النجوم فى خمسـة أجزاء (٥٠) . وقد ذكرـه الطهرانـى فى مؤلفـى الشـيعة ، وأورد بعضا من مؤلفـاتـه فى كتابـه الذـريـعة (٥١) .

يقول الشـيخ عبد الله نـعمة : « وقد عـلمنـا أنه ولـد بالـكوفـة عـاصـمة التـشـيع وهـى موطنـ آبـائـه وأـجدـادـه ، والـعـادة تـقتـضـى بأنـ يـتـأـتـر بـروحـ مـحيـطـه ، كـما وجـدـناه يـختـم رسـالـتـه بـتعـابـير مـا اـعـتـادـه الشـيعـة وـاخـتصـوا بـه دونـ سـواـهم ٠٠٠ مثلـ ما جاءـ فى خـاتـام رسـالـتـه « فـى سـجـودـ الـجـرمـ الـاقـصـى » : وـالـحـمدـ لـلـه ربـ الـعـالـمـينـ وـالـصـلـاةـ عـلـىـ مـحـمـدـ الـمـصـطـفـىـ وـآلـهـ الطـاهـرـينـ (٥٢) . وـفـى ذـلـكـ يـقـولـ الـدـكـتـورـ عـبـدـ الـفـتـاحـ اـسـمـاعـيلـ شـلـبـىـ : « وـالـدـعـاءـ بـالـسـلـامـ لـسـيـدـنـاـ عـلـىـ مـنـ شـانـ الشـيعـةـ توـقـيرـاـ مـنـهـمـ لـشـخصـهـ ٠٠٠ » (٥٣) . بـالـاضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـ جـدـهـ الـأـشـعـثـ بـنـ قـيـسـ كـانـ عـلـىـ رـاـيـةـ كـنـدـةـ يـوـمـ صـفـينـ مـعـ عـلـىـ بـنـ أـبـىـ طـالـبـ ، وـحـضـرـ قـتـالـ الـخـوارـجـ بـالـنـهـرـوـانـ (٥٤) . وـلـكـنـ الـأـشـعـثـ لـمـ يـكـنـ مـرـضـيـاـ عـنـدـ الشـيعـةـ . مـاتـ الـأـشـعـثـ فـىـ الـوقـتـ الـذـىـ وـقـعـ فـيـهـ الـصـلـحـ بـيـنـ الـإـمـامـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ وـمـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـىـ سـفـيـانـ بـعـدـ مـقـتـلـ الـإـمـامـ عـلـىـ ، وـصـلـىـ عـلـيـهـ الـإـمـامـ الـحـسـنـ (٥٥) .

وـمـنـ الـقـرـائـنـ الدـالـلـةـ عـلـىـ تـشـيعـ الـكـنـدـىـ ، مـاـ يـرـوـىـ عـنـهـ مـنـ الـأـخـبـارـ الـتـىـ تـنـصـ عـلـىـ ظـهـورـ الـإـمـامـ الثـانـىـ عـشـرـ مـنـ أـئـمـةـ

(٥٠) نفسـ المـصـدرـ : جـ ٧ـ - صـ ١٢ـ .

(٥١) عبدـ اللهـ نـعـمةـ : فـلـاسـفـةـ الشـيـعـةـ - صـ ٥٩٢ـ .

(٥٢) نفسـ المـصـدرـ : صـ ٥٥٣ـ .

(٥٣) عبدـ الفتـاحـ اـسـمـاعـيلـ : أبوـ عـلـىـ الـفـارـسـىـ - صـ ٨٥ـ .

(٥٤) الخطـيبـ الـبـغـدـادـىـ : تـارـيـخـ بـغـدـادـ - جـ ١ـ صـ ١٩٦ـ -

وـالـعـسـقلـانـىـ : الـأـصـابـةـ - جـ ١ـ - صـ ٨٨ـ ، ٨٩ـ .

(٥٥) عبدـ الـحـلـيمـ مـحـمـودـ : التـفـكـيرـ الـفـلـسـفـىـ فـىـ الـاسـلـامـ - صـ ٧٩ـ .

الشيعة ، وهو الامام المهدى – علماً بأن هذه الأخبار التي تروى عن الامام المنتظر ، قبل تولده عليه السلام – فالكندى الذى يروى روايات المهدى ، كان فى زمن الامام الثامن والتاسع من أئمة الشيعة ، وهما الامام على بن موسى الرضا ، والامام محمد بن على الجواد ، ولا شك أن هذه الروايات مسندة الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

يقول ابن خلدون فى مقدمته – بعد عرضه للأخبار الدالة على ظهور الامام المهدى ، وانه من ولد فاطمة عليها السلام ، وزعمه أن هذه الروايات اما من وضع الشيعة ، او أن رواتها من الضعفاء . « . . . وذكر الكندى إن هذا الولى يصلى بالناس صلاة الظهر ويجدد الاسلام ويظهر العدل . . . وقال الكندى أيضا الحروف العربية غير المعجم يعني المفتاح بها سور القرآن جملة عددها سبعمائة وثلاث وأربعون وسبعين دجالية ثم ينزل عيسى . . . »^(٥٦)

ويقول أيضا : « . . . وذكر الكندى يعقوب بن اسحاق فى كتاب « الجفر » الذى ذكر فيه القراءات أنه اذا وصل القرآن الى الثور . . . ينزل المسيح »^(٥٧) ويقول أيضا : « وقد كان يعقوب بن اسحاق الكندى . . . وضع فى القراءات الكائنة فى الملة كتابا سماه الشيعة « بالجفر » باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق »^(٥٨) .

وكان من الطبيعي أن ينال أبناء الأشعث بن قيس وأحفاده من نهاية الذكر ورفعه المكانة ، ومع هذا لم يكونوا مرضيين عند خلفاء بني أمية ، وب مجرد انتهاء الدولة

^(٥٦) ابن خلدون : المقدمة – ص ٣٢٥ .

^(٥٧) نفس المصدر : ص ٣٢٦ .

^(٥٨) نفس المصدر : ص ٣٢٨ .

الأموية ، واستيلاء الدولة العباسية على الحكم ، تولى والد فیلسوفنا الكندي – وهو اسحاق – ولاية الكوفة^(٥٩) . ولد الكندي في أواخر حياة أبيه ، وتوفي والده ، وهو لم يبلغ سن الشباب ، فنشأ في الكوفة ثم انتقل من الكوفة إلى بغداد ، وفي بغداد اشتغل بعلم الأدب ، ثم بعلوم الفلسفة^(٦٠) .

يقول الدكتور أبو ريده : « كان للكندي مقام كبير عند الخلفاء الذين آيدوا مذهب المعتزلة ، ولكن لانستطيع من أجل هذا وحده أن نقطع بأنه كان معتزلي المذهب ، لأن سمو مكانته ربما كان يرجع أيضاً إلى شرف نسبه وفضله في العلم والحكمة ، غير أننا نلاحظ أن الكندي قد ألف كتاباً في مسائل من أصول مذهب المعتزلة ، فله كما يذكر المؤرخون ، كتاب في « التوحيد »^(٦١) . ويقول أيضاً : « ولا تخلو رسائل الكندي من أفكار أخرى تشبه ما عند المعتزلة بحسب طريقتهم في التعبير ، مثل فكرة الأصلح ، غير أن الكندي يطبقها على نظام الكون في جملته وتفصيله »^(٦٢) .

هذا ما يقوله الدكتور أبو ريده عن الكندي ، فليس له دليل يرکن إليه في إثبات كون الكندي من المعتزلة ، ثم إن مجرد وجود الشبه بين أفكار الكندي وأفكار المعتزلة ، لا يصلح أن يكون دليلاً ، والا لجأوا القول بأن هشام بن الحكم كان معتزلياً ، لأنه تكلم في العدل والتوكيد ، وألف

(٥٩) عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الإسلام - ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦٠) نفس المصدر : ص ٨١ .

(٦١) محمد عبد الهاشمي أبو ريده : الكندي وفلسفته - ص ٢٧ - ٢٨ .

(٦٢) نفس المصدر : ص ٣١ .

فيهما ، وكذلك بقية متكلمي الشيعة . مع أن التوحيد والعدل عنصران قرآنيان اسلاميان ، تكلم فيهما جميع الفرق الاسلامية على اختلاف اتجاهاتهم . اضافة الى ذلك أن الشيعة سبقو المعتزلة في ذلك وأفوا المصنفات في العدل والتوحيد ، فلو أن الكندي كان معتزلياً لذكر في طبقاتهم ، لما يتمتع به من مكانة فكرية واجتماعية ، ولهذا أخرج جوستاف من دائرة المعتزلة (٦٣) . والظاهر أن الخلط بين آراء الشيعة الكلامية وأراء المعتزلة أدى إلى عدم تمييز الكندي ، مع أن جميع القراءن تدل على أن الكندي من فلاسفة الشيعة ، خصوصاً وأن المعتزلة كانوا من المتكلمين وليسوا من الفلاسفة . ولهذا يقول هنري كوربان : « كان الكندي على علاقة وثيقة مع المعتزلة . . . ولكن مع ذلك لم يكن معهم كواحد من جماعتهم ، بل أن الكندي ذهب إلى غير ما ذهب إليه علماء الكلام » (٦٤) .

ويؤيد ما قلناه ، ما ي قوله الدكتور زكي نجيب محمود : « فقد بدأ حياته العقلية متكلماً ، وشارك المعتزلة في بحوثهم عن العدل والتوحيد وغيرها من مبادئ المعتزلة . . . لكنه انصرف فيما بعد عن علم الكلام ، إلى التفلسف النظري المجرد » (٦٥) . فقوله : شارك المعتزلة دليلاً على كون الكندي ليس معتزلياً ، مع العلم أن مفكري الشيعة اختلفوا عن المعتزلة ، من حيث أن الشيعة جمعوا بين علم الكلام والفلسفة حتى أن هشام بن الحكم وهو أكبر متكلمي الشيعة في وقته كان له كتاب في الرد على أرسططاليس ، وهو أول رد ظهر في الفكر الإسلامي في عصره المبكر ،

(٦٢) جوستاف - الحضارة الإسلامية ، ص ٤١٢ .

(٦٤) هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية - ص ٢٢٨ .

(٦٥) زكي نجيب محمود : المعقول واللامعقول - ٢٩٥ - ٢٩٦ .

كما مر ذلك في علم الكلام ، ولهذا فإن من مبادئ الشيعة الأساسية القول بالعدل والتوحيد حتى عدوهما من أصول مذهبهم .

ويتضح مما تقدم أن الكندي هو أحد فلاسفة الشيعة ، « وقد وضع دعائيم المدرسة الأولى للفلاسفة المسلمين » (٦٦) . فهو « أول فلسفه الاسلام على الحقيقة وهو أول علمائه في ميدان العلوم الانسانية النظرية منها والعملية ، ولذلك كانت آراؤه وأثاره بعنایة الباحثين » (٦٧) . ولهذا كان أول من مهد الطريق لدراسة الفلسفه – حسب هذا الرأي – عند المسلمين فجمع أشتاتا من المعارف الفلسفية من بينها آراء لفيثاغورس . وأخرى لأفلاطون وغيرها لارسطو ، ومن هنا يعتبر الرائد الأول في ميدان الفلسفه الاسلامية (٦٨) .

ولم يقتصر عمل الكندي على الفلسفه ، بل كان ذا علم بالطب والفلاء والموسيقى ، كما كان على علم بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية ، وترجم بعض كتب أرسطو ، وأصلاح ترجمة البعض الآخر ، كما اشتغل الى جانب الترجمة بالتأليف (٦٩) . فكان دائرة معارف لكثرة الموضوعات التي كتب فيها ، والكتب التي دونها ، فيروى أنه كتب ٢٦٥ كتابا في موضوعات شتى (٧٠) . ولهذا كان أول فيلسوف رأى ضرورة الأستعانة بالرياضيات في حل المسائل الفلسفية ، وينسب الى ديكارت خطأ أنه كان أول من اتجه هذا الاتجاه ، وقد كتب الكندي كتابا كاملا برهن فيه على صحة هذا الاتجاه (٧١) .

(٦٦) محمود أبو القيس المنوفي : تهافت التلصيفه – ص ١٥٦ .

(٦٧) محمد أبو ريده : الكندي وفلسفته – ص ١ .

(٦٨) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى – ص ٢٢٢ .

(٦٩) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى – ص ٨١ – ٨٢ .

(٧٠) ساريف : الفكر الاسلامى منابعه وأثاره – ص ١٧٦ .

(٧١) نفس المصدر : ص ١٧٦ .

وللKennedy رسالة خاصة بالتعريفات ، هي « رسالة في حدود الأشياء ورسومها » . يقول أبو ريده « تشمل هذه الرسالة على نحو مائة تعريف من علوم المنطق والرياضيات والطبيعة وما بعد الطبيعة والنفس والأخلاق وغيرها .. ان هذه المجموعة من التعريفات هي على الأرجح أول قاموس وصل اليانا المصطلحات الفلسفية عند العرب » (٧٢) .

هذا وقد ساهم Kennedy في حركة نقل التراث اليوناني إلى العربية ، فكان يهذب ما يترجمه غيره ، وذلك كما فعل بكتاب أثولوجيا أوسططاليس ، وكان له نفر من التلاميذ يقومون بالترجمة تحت اشرافه (٧٣) .

كما أن للKennedy كتابا في علم البصريات ، يعتبر عمدة في موضوعه ، وقد كان مرجعا هاما للباحثين في هذا العلم بالشرق والغرب على السواء ، وقد أبدى « بيكون » و « كاردان » عظيم الاهتمام بأبحاث Kennedy ، وأفكاره ، ووافقه كاردان على قوله بوحدة العالم وارتباطه (٧٤) .

وللKennedy في المعرفة نظرية لاتزال مدرسة « كانت » تعنى بها ، حتى الآن ، فهو يرى أن مصادر المعرفة هي الحواس والعقل والخيال ، وقد كان يظن حتى وقت قريب أن « كانت ١٨٠٤م » هو الذي جعل الخيال وسطا بين الحواس والعقل ، ثم ظهر أن فلاسفة آخرين سبقوها « كانت » في تقرير هذه المسألة . ولكن الحقيقة – كما يقول ساريف – أنه لا « كانت » ولا هؤلاء الفلاسفة هم الذين ابتكروا هذه المسألة ؟ بل يرجع الفضل في ابتكرها إلى Kennedy الذي عاش قبل « كانت » بحوالي

(٧٢) محمد أبو ريده : Kennedy وفلسفته – ص ١٩ .

(٧٣) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى – ح ٢٢٨ .
وعبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة – ص ٦٦ .

(٧٤) ساريف : الفكر الاسلامي منابعه وأثاره – ص ١٧٦ – ١٧٧ .

٧٥) قرون قرعة

هذا وقد ثار علماء السنة في وجه الكندي ، وقاوموه نفر منهم ، كان من بينهم أبو معشر جعفر بن محمد البلخي الذي تهجم على الكندي وشنع عليه وأثار عليه الجمهور(٧٦) .

وقد تخرج من مدرسة الكندي ، الفيلسوف الشيعي ، أحمد بن سهل البلخي أبو زيد ، أحد تلامذته(٧٧) . يقول ياقوت : « ثم حدثت أنه كان في عنفوان شبابه ، وطراة زمانه ، وأول حداثته ، ٠٠٠ دعنه نفسه إلى أن يسافر ويدخل أرض العراق ، ويجهزوا بين يدي العلماء ، ويقتبس منهم العلوم ، ٠٠٠ وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي ، وحصل من عنده علوماً جمة ، وتعمق في علم الفلسفة ، وهجم على أسرار علم التنجيم ، والهيئة ، وبرز في علم الطب والطبائع ، وبحث عن أصول الدين أتم بحث ، وأبعد استقصاء ، حتى قاده ذلك إلى الحيرة ، وزل به عن المنج الأوضح ، فتارة كان يطلب الإمام ٠٠٠ »(٧٨) .

ويقول ياقوت أيضاً : « اعلم ان أبي زيد في أول أمره كان خرج في طلب الإمام إلى العراق ، اذ كان قد تقلد مذهب الإمامية »(٧٩) .

وكان أبو زيد « فاضلاً ، قائماً بجميع العلوم القديمة والحديثة ، يسلك في مصنفاتة طريقة الفلسفه ، ٠٠٠ وكان معلماً للصبيان ، ثم رفعه العلم إلى مرتبة علية ٠٠٠ »(٨٠) . « وأنه لم يعثر له مع ماله من المصنفات الجمة ، على كلمة

(٧٥) نفس المصدر : ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٧٦) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى - ص ٢٢٢ .

(٧٧) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ١٠٦ .

(٧٨) ياقوت : معجم الأدباء - ج ٣ - ص ٧٢ - ٧٣ .

(٧٩) نفس المصدر : ص ٧٤ .

(٨٠) نفس المصدر : ص ٦٤ - ٦٥ .

تدل على قدر في عقيدته ، ثم لما قضى وطره من العراق ، وصار في كل فن من فنون العلم قدوة ، وفي كل نوع من أنواعه أاما ، قصد العودة إلى بلده ، فتوجه إليها ، . . . حتى وصل إلى بلخ ، وانتشر بها علمه ٠٠٠ «(٨١)»

وقد ذكر ياقوت مصنفات أحمد بن سهل ، فكان عددها سبعة وخمسين مصنفا ، منها : كتاب أقسام العلوم ، كتاب شرائع الأديان ٠٠٠ كتاب السياسة الكبير ، كتاب السياسة الصغير كتاب كمال الدين ، كتاب فضل صناعة الكتابة ، كتاب مصالح الأبدان والأنفس ، كتاب أسماء الله وصفاته ٠٠٠ كتاب الأسماء والكنى والألقاب ، كتاب رسالة حدود الفلسفة ، كتاب ما يصح من أحكام النجوم ، كتاب فضيلة علوم الرياضيات ، كتاب في أقسام علوم الفلسفة ، كتاب عصمة الأنبياء ، كتاب البحث عن التأويلات كبير ، كتاب الوصية ، كتاب صفات الأمم ٠٠٠ وغير ذلك «(٨٢)» . قال أبو بكر الفقيه : «ما صنف في الإسلام كتاب أنسع لل المسلمين من كتاب البحث عن التأويلات ، صنفه أبو زيد البلخي ، وهذا الكتاب يعني كتاب كمال الدين «(٨٣)» .

وهكذا بدأت المدرسة الفلسفية الشيعية على أيدي رجالات الشيعة ، ليظهر في آفق الفلسفة المعلم الثاني الفارابي ، ثم الشیخ الرئیس ابن سینا ، كل هؤلاء ، كان لهم الفضل في إثراء الفكر الإنساني والثقافة الإسلامية على السواء ٠

٨١) نفس المصدر : ص ٧٤ - ٧٥ ٠

٨٢) نفس المصدر : ص ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ ٠

٨٣) نفس المصدر : ص ٨٠ ٠

٢ - أبو نصر الفارابي :

« ويعتبر الفارابي المؤسس الحقيقى للفلسفة الاسلامية . . . وبلغ رسوخه فى الفلسفة فى نظر معاصرية أن أطلقوا عليه المعلم الثانى ، أى بعد أرسطو المعلم الأول » (٨٤) . وكان أبو نصر الفارابي من متكلمى الشيعة ، وأول حكيم بلغ فى الاسلام مبلغ التعليم وشارك المعلم الأول فى ذلك ، ومات سنة ٣٣٩هـ (٨٥) . كما كان أحد فلاسفة الشيعة (٨٦) .

يقول آغا بزرك الطهرانى فى الذريعة الى تصانيف الشيعة : « آراء أهل المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة ، والمدينة الفاسقة ، . . . والمدينة الضالة ، للمعلم الثانى الشيخ أبي نصر الفارابي محمد بن أحمد بن طرخان بن أوزلغ المتوفى بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان . . . وكان قبل ارتحاله الى دمشق واتصاله بسيف الدولة فى بغداد مصاحبًا لكافى الكفأة الوزير الصاحب بن عباد وغيره من الشيعة ، وكان من الامامية » (٨٧) .

يقول الدكتور محمد عاطف العراقي : « كما نجد عند الفارابي عنصراً افلوطينياً . . . نجد عند أىضاً نزعة شيعية امامية . . . نقول الى حد ما بالنسبة للعنصر الشيعي ، اذ ان النزعة الشيعية لم تكن السبب الرئيسي الذى دعا الفارابي الى الجمع والتوفيق . . . » (٨٨) ولهذا

(٨٤) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى من ٨٨ ، ٨٩ .

(٨٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٩١ .

(٨٦) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ٥١٢ ، ٥١٣ .

(٨٧) آغا بزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - ج ١ - ص ٣٣ .

(٨٨) محمد عاطف العراقي : ثورة العقل فى الفلسفة العربية - ص ٩١ .

يقول أحمد أمين : « . . . ومزج في هذا الكتاب -أى المدينة الفاضلة - بين آراء أفلاطون في الجمهورية وبين أقوال الشيعة في الإمام المعموم ، اذ كان سيف الدولة بن حمدان مقرب الفارابي وحاميه شيعيا » (٨٩) .

ويقول هنري كوربان : « وتشير كل القراءن مؤكدة الرأى الرائج في بلاد فارس من أن هذا الفيلسوف الكبير من الشيعة . فقد غادر الفارابي بغداد قاصداً حلب عام ٩٤١هـ / ٣٣٠م ، حيث حل في كنف الحمدانيين هناك ، وهم من الشيعة . وكان سيف الدولة يكن له كل احترام وتقدير ، ولم تكن هذه الحماية الشيعية التي حظى بها الفارابي من قبيل الصدفة ، بل هي تتسم بطبع خاص ، اذا استطعنا أن ننظر ما في فلسفة الفارابي عن النبوة من قضايا تتفق وتلك التي عرضنا لها . . . والتي تقوم على ما كان ينادي به أئمة الشيعة » (٩٠) . وفي ذلك يقول عبد المجيد مزيان في كلامه عن حدود الخيال السياسي عند الفارابي :

« . . . ولا يمكننا الادعاء بأنها مطابقة عفوية مادمنا نعلم مقدار الجاذبية التي تكونها نظرية الفيض وتفاوت العقول ، وانطباع أدناها بأعلاها عند مفكري الشيعة الذين أرادوا لمجتمعهم أن يكون ارستقراطياً يرأسه أئمة حكماء ملهمون معصومون . فالنزعة الشيعية في الفكر السياسي عند الفارابي لا تحتاج إلى سرد مطول للأدلة ، لأنها واردة بكل وضوح في مختلف النصوص . . . » (٩١) .

(٨٩) أحمد أمين : مبادئ الفلسفة - ص ١٢٠ .

(٩٠) هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية - ص ٢٤٢ .

(٩١) عبد المجيد مزيان : حدود الخيال السياسي عند الفارابي - دراسات فلسفية - ص ١١٥ - ١١٦ .

يقول الدكتور أحمد صبحى : « وأول فيلسوف نعرض بعض آرائه التى تقترب من التشيع ، بل قد تكون بعض نظرياته من آثار عقائد الشيعة ، هو الفارابى الذى لقب بالمعلم الثانى ، أما آراؤه التى تستحق العرض من حيث قربها من التشيع فتتلخص فى نظريتين : الأولى : نظريته فى النبوة وتفسير الوحي . . . والنبوة عند الشيعة ليست منفصلة عن الامامة ، ومصدر المعرفة الذى يفيد اليقين قد يتفق عليه الفلسفه المسلمون عامه ، والفارابى خاصة مع الشيعة فيه ، الثانية : نظرية الفارابى السياسية فى كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة » (٩٢) . غير أن نظرية الفارابى السياسية أوثق اتصالاً بمعتقدات الشيعة الامامية » (٩٣) .

ونخلص من ذلك كله :

أولاً : أن أبا نصر الفارابى ، كان أحد متكلمى الشيعة الامامية وفلسفتهم ، وقد « اتصل الفارابى ببلاط سيف الدولة الحمدانى صاحب حلب ، وصاحب سيف الدولة عند فتحه مدينة دمشق ، ومات بها سنة ٥٣٩هـ » (٩٤) « وصلى عليه سيف الدولة فى أربعة من خواصه » (٩٥) . يقول القاضى نور الدين المرعشى فى طبقات الشيعة فى ترجمته، ولم يرد سيف الدولة بذلك الا ايقاع الصلاة على طريقة الشيعة الامامية (٩٦) . ونحن نعلم أن الدولة الحمدانية ، كانت دولة شيعية ، والفارابى أحد خواص سيف الدولة والمقربين إليه .

(٩٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - ص ٤٨٢ .

(٩٣) نفس المصدر : ص ٤٨٥ .

(٩٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ - ص ٣٨٤ .

(٩٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٤ - ص ٢٤٢ .

(٩٦) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - ص ٣٨٥ .

ثانيا : والذى يدل على تشيع الفارابى ، آراءه فى الامامة ، وشروط الامام ، وأهمها العصمة ، التى تعتبر الفارق المميز بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية ، ولا يمكن أن يذهب أحد من المسلمين الى هذا المذهب الا اذا كان شيعيا ، علما بأن الفرق الاسلامية حتى ذلك الوقت ، تدور بين الشيعة ، والمعتزلة ، والاشاعرة ، أما كونه أشعرى فمما لا يقول به أحد ، حتى أن الامام الغزالى الاشعرى حكم بکفر الفارابى فى كتابه « تهافت الفلسفه » و « المنقد من الضلال » . كما کفره غير واحد من علماء أهل السنّة تبعا للغزالى . وأما دخوله فى المعتزلة ، فما لا محصل له أيضا ، لعدم وجود القائل بذلك ، خصوصا ولم يذكر فى طبقاتهم ولا طبقات الاشاعرة . ولما كان الثابت أن أبا نصر الفارابى أحد فلاسفة المسلمين ، وأنه ليس من الاشاعرة ، ولا من المعتزلة ، فيتعين كونه شيعيا اماميا . ولهذا كانت آراؤه فى النبوة والامامة ، هي آراء جميع الشيعة وفلسفتهمأخذها عن أئمة الشيعة .

ويعتبر الفارابى أعظم فيلسوف مسلم ، لم يرق الى مكانته في الفلسفة الاسلامية أى فيلسوف آخر ، حتى عرف في تاريخ الفكر بأنه « المعلم الثاني » أما المعلم الأول فهو ارسطو ، ولهذا يعترف المفكرون المتأخرون بأنهم مدینون له فيما وصلوا اليه من علم ومعرفة ، وأثره واضح تمام الوضوح في أفكار الفلاسفة الذين جاءوا من بعده ، يقول « كارادى ذو » . ان منطق الفارابى كان عظيم التأثير على الباحثين الأوروبيين الذين عنوا بالمنطق (٩٧) .

يقول ابن سبعين : « الفارابى أفهم فلاسفة الاسلام وأذکرهم للعلوم القديمة ، وهو الفيلسوف فيها لا غير ، ومات وهو مدرك ومحقق » ، ويقول ابن خلkan : « الفارابى

(٩٧) ساريف : الفكر الاسلامى منابعه وآثاره - ص ١٧٧ .

أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ، والرئيس ابن سينا بكتابه تخرج ، وبكلامه انتفع في تصنيفاته « ٩٨ ٠ »

وتميز فلسفة الفارابي بظاهرتين رئيسيتين : « نزعة روحية نامية ، واتجاه صوفي واضح . والمذهب الروحي والتصوف يقتربان في الواقع ويتقابلان في موقع كثيرة ، وهاتان الظاهرتان تبدوان لدى فلاسفة الإسلام بدرجات مختلفة ، وقد نفذ التصوف الفارابي على الخصوص إلى أعمق المدرسة الفلسفية العربية ، أثر في صوفية المسلمين بوجه عام . ولم يقف أثره عند القرون الوسطى ، بل تعداها إلى التاريخ الحديث « ٩٩ ٠ » ولعل أحسن خصائص النظرية الصوفية التي نادى بها الفارابي ، أنها قائمة على أساس عقلي يعتمد على الدراسة والتأمل ، وطهارة النفس في رأيه لا تتم عن طريق الجسم والأعمال البدنية فحسب ، بل عن طريق العقل والأعمال الفكرية أولاً وبالذات (١٠٠) ٠

وهذا المعنى الذي ذهب إليه الفارابي ، في نظريته الصوفية ، هو انعكاس لفلسفة التصوف عند أئمة أهل البيت ، فقد نادى أئمة الشيعة بهذا المعنى من قبل ، حيث أوضح الإمام موسى بن جعفر حقيقة ذلك في وصيته لتلميذه هشام بن الحكم ، جاء فيها : « ٠ ٠ ٠ يا هشام كيف يزكيك الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربك ، وأطعت هواك على غلبة عقلك ، يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ٠ ٠ ٠ نصب الخلق لطاعة الله ،

(٩٨) محمد عاطف العراقي : ثورة العقل - ص ٨٥ ٠

(٩٩) إبراهيم مذكر : في الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه - ج ١ من ٤٨ ٠

(١٠٠) نفس المصدر : ص ٣٩ ٠

ولانجاة الا بالطاعة ، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعقل يعتقد . . . قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف ، وكثير العمل من اهمل الهوى والجهل مردود . . . ان العاقل رضى بالثواب من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرضى بالندى من الحكمة مع الدنيا . فلذلك ربحت تجارتهم . . . ان كان يغريك ما يكفيك فاذن ما في الدنيا يكفيك ، وان كان لا يغريك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغريك . . . ياهشام ان العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وأخرته . . . الخ «(١٠١)».

ويقول الامام جعفر الصادق : « . . . ودليل العاقل شيئاً : صدق الفول ، وصواب الفعل ، والعاقل لا يتحدث بما ينكره العقل ، ولا ينعرض للتهمة ، ولا يدع مداراة من ابتلى به ، ويكون العلم دليلاً في أعماله ، والحلم رغيد في احواله ، والمعونة تعينه في مذاهبه ، والهوى عدو العقل ، ومخالف الحق ، وقرير الباطل ، وقوة الهوى من الشهوة ، وأصل علامات الشهوة أكل الحرام ، والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي » «(١٠٢)».

يقول ابن أبي الحميد المعتزلي في ذكر العلوم التي أسسها الامام علي بن أبي طالب « ومن العلوم علم الطريق والحقيقة وأحوال التصوف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام اليه ينتهون ، وعند هذه

(١٠١) محمد باقر المجلسي : بحار الانوار - ج ١ - ص ١٣٧ الى ١٣٩

(١٠٢) نفس المصدر : ص ١٣٠ .

يقولون ، وقد صرخ بذلك الشبلی ، والجندی ، وسری ، وأبو یزید البسطامی ، وأبو محفوظ معروف الکرخی ، وغيرهم . ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم الى اليوم ، وكونهم یسندونها باسناد متصل اليه عليه السلام « ١٠٣) .

يقول هنری کوربان : « يقتضى اذن القول أن أقدم شرح روحي انما يتكون من تعالیم أئمة الشیعہ خلال أحادیثهم الى تلامذتهم ، ولقد أخذ الصوفیون مبادئهم عنهم في التفسیر الروحانی . فأحادیث الامامین الأول وال السادس التي ذكرناها ، مدرجة في المحل الأول في الشرح الصوفی الكبير ٠٠ « ١٠٤) . ولهذا يقول شیخ الصوفیة في وقته الشیخ علی بن عثمان بن الجلابی المتوفی سنة ٤٣٤ھجریة في كتابه کشف المحبوب : « ومنهم ابن عم المصطفی وغريق بحر البلا ٠٠٠ ومقتدی الاولیاء والاصفیاء ، أبو الحسن علی بن ابی طالب : ان شهرته ومقامه في طریق الصوفیة في غایة العلو ، فقد شرح أصول الحقيقة الالهیة بدقة بالغة حتى أن الجندی قال : « على شیخنا في الاصول والباء » أی أنه شیخنا في الصوفیة نظریا وعملیا ٠٠٠ « ١٠٥) . ويقول أيضا : « وأهل البيت هم المختصون بالطهارة الحقة ، ولكل منهم في هذا الأمر قدم ثابتة ، وهم بجملتهم قدوة أهل هذه الطائفة ، خاصتهم وعامتهم ٠٠ « ١٠٦) .

(١٠٣) ابن ابی الحدید : شرح النهج - ج ١ - ١٩٠ - ط ٢ نسخة ١٩٧٥ .

(١٠٤) هنری کوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٤٧ .

(١٠٥) أبو الحسن علی بن عثمان : کشف المحبوب - ص ٩٠ ، ٨٩ .

(١٠٦) نفس المصدر : ص ٩١ .

هكذا يصور أئمة الشيعة الفلسفية ، على هيئه مبادىء عامة ، ترتكز على العقل ، والجمع بين الروح والجسد ، وذلك عن طريق اعمال العقل في كل القضايا التي تتعلق بالانسان في آخرته ودنياه ، ولهذا استقى الفارابي هذا المعنى من أئمة آل البيت ، وبينى عليه فلسفته الصوفية . ولهذا « أقام دعائين مذهب فلسفى متصل بالحلقات . ومن أهم أجزاء هذا المذهب وعلى قمة البناء نرى نظرية صوفية امتازت بها الفلسفة الاسلامية عن كثير من الفلسفات الأخرى . . . وقد أثر هذا التصوف تأثيرا عميقا فيمن جاء بعده من فلاسفة الاسلام » (١٠٧) .

يقول محمود أبو الفيض : « الفارابي هو الأب الحقيقى للفلسفة التى يسمونها الاسلامية ولو جهل البعض . ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه من الاسلاميين الا ولها أصل لديه . . . ويخيل اليانا أنه أعظم متفلس فى الاسلام علما بتاريخ الفلسفة » (١٠٨) .

ويعتبر الفارابي ذا أصلالة فى الفكر الفلسفى وفى تحليل الفنون من شعر وموسيقى ، فلم يقتصر على مجرد تمثيل فلسفة أرسططاليس ودراساته للمنطق الازسطى وشرحه اياه ، بل زاد الفارابي على ذلك من تفكيره الفلسفى والنقدى ما عظمت به مكانته فى عالم « العقل » فى تراثنا الفكرى (١٠٩) . وفي ذلك يقول الدكتور العراقي : « ييد أن وجود هذه العناصر والمصادر التى استفاد منها الفارابي لايعنى أنه لم يكن له شخصية مستقلة الى حد كبير - اذ أن الفارابى كانت لديه القدرة على أن

(١٠٧) ابراهيم مذكر : فى الفلسفة الاسلامية - ج ١ - ص ٣٩ .

(١٠٨) محمود أبو الفيض - تهافت الفلسفة - ص ١٥٨ .

(١٠٩) زكي نجيب محمود : المعقول واللامعقول - ص ٢٠١ .

يطلع على الكثير من الآراء والاتجاهات ويهمضها جيداً ، ثم يقول لنا بأراء ان كانت فيها بعض الجذور التي استفادها من الآخرين ، الا أنها آراء خاصة به وحده ، ومن هنا كان فيلسوفنا صاحب شخصية مستقلة متميزة الى حد كبير جداً « (١١٠) ٠

ويحتل الفارابي في تاريخ الفلسفة العربية مكانة كبيرة ، بالإضافة إلى الأثر العميق الذي تركه في الفلسفه الذين جاءوا بعده (١١١) ٠ إذ أنه قرب معانى المصطلحات الفلسفية الارسطية وشرح الكثير منها ، سواء في المنطق أو الطبيعة أو ما بعد الطبيعة والأخلاق ، والقواعد التي أوردها المؤرخون القدماء لاسماء كتبه الشارحة أو كتبه المؤلفة ، تشهد على ذلك ، حيث كانت هذه الكتب مفيدة لكل من جاء بعده من الفلسفه (١١٢) ٠

ولم يقف أثر كتب الفارابي في نشر الأفكار الاسلامية عند القرون الوسطى ، بل جذورتها إلى العصور الحديثة ، خصوصاً عند « اسبنوزا » فهناك آراء كثيرة الشبه بين آراء الفارابي وأراء « اسبنوزا » فنظرية النبوة عند الثاني تشبه شبهها كبيراً النظرية التي أخذ بها الفارابي . كما أن نظرية السعادة التي قال بها الفارابي ، تشبه الأفكار الصوفية الحديثة ، وخاصة عند « اسبنوزا » الذي تربطه بالفارابي أكثر من علاقة . وتصوفهما عقلي نظرى مبني على العلم والدراسة (١١٣) ٠

(١١٠) محمد عاطق العراقي : ثورة العقل - ص ٩١ ٠

(١١١) نفس المصدر : ص ٨٧ ٠

(١١٢) نفس المصدر : ص ٨٩ ٠

(١١٣) ابراهيم مذكر : في الفلسفة الاسلامية - ج ١ ص ٧١، ٧٠ ٠

يقول الامام الغزالى : « على انه لم يقم بنقل علم ارسطو طاليس » أحد من متكلمسة الاسلاميين كقياما هذين الرجلين - يقصد الفارابى وابن سينا - وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط ، يتشوش فيه قلب المطالع حتى لايفهم ، وما لا يفهم ، كيف يرد او يقبل ٠٠٠ (١١٤) ٠

ولهذا « كان المعلم الثانى معلما كاملا ، له معضلات الفلسفة الالهية بجملتها ، لأنه أضاف مسائل الحكم الدينية الى مسائل الحكم المنطقية ، وأدخل مسألة التوفيق بين العقل والوحى فى حسابه ، وقد كانت من المسائل الحديثة فى الاسلام ، فلم يبلل أحد بلاء الفارابى ، ولا جاوز أحد فيها مداه الذى انتهى اليه ، وان تبعه في هذا المجال كثيرون » (١١٥) . وهكذا كان الفارابى أحد فلاسفة الشيعة والمعلم الثانى ، معلما من جاء بعده من الفلاسفة والمتكلمين على مدى العصور . وهكذا أثرى الشيعة الفكر الانسانى والترااث الاسلامى بالمفاهيم الفلسفية التى استحدثوها لكي ينموا بها الفكر والعقل . ولهذا كانت فلسفة الفارابى فلسفة اسلامية خالصة لا غبار عليها كما يقول العقاد (١١٦) ٠

قال الجوزجاني : « كان - أى الفارابى - ترجمان الفلسفه ولسان المشائين وفصيح البهلوين ومفتاح الأشراقيين ، ومقدام الاسلاميين ، والمقدم فى كل فنون اليونانيين ، لم يشاركه فى التعليم الا المتقدم عليه ارسطو ، وكان لا يتصل الا بأهل الفضل من الشيعة لجامعة العقيدة

(١١٤) الغزالى : المقدمة من الضلال - ص ١١٣

(١١٥) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - هـ ٤٧ ، ٤٨

(١١٦) نفس المصدر : ص ٤٨ ٠

في المذهب ٠٠٠ «(١١٧) . وقد ذكر السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة مصنفات الفارابي ، وقد شملت أكثر العلوم العقلية والنقلية(١١٨) .

٣ - الشيخ الرئيس ابن سينا :

من متكلمي الشيعة وفلاسفتهم ، أبو على بن سينا ،
شيخ الحكمة في المشائين ، وحاله في الفضل أشهر من أن
يذكر ، وقد أطال القاضي المرعشى في طبقاته الفارسية
في الاستدلال على امامية الشيخ الرئيس(١١٩) . فهو
من أصل فارسي ولد سنة ٩٨٠ هـ - ٣٧٠ م ، بقرية
بخارى ٠٠٠ وأن آباءه كان من أجابوا دعوة داعي المصريين
من الشيعة(١٢٠) . فكان هو وأبوه وأخوه من
الشيعة(١٢١) .

وكان ابن سينا أحد أعضاء جماعة أخوان الصفا
الشيعية الذي انتهت بموته سنة ٤٢٨ هـ كما يقول Dietriei
- حركة الفلسفة في المشرق(١٢٢) . ولهذا يقول هنري
كوربان : « الا أن فيلسوفنا كان يأبى دائماً أن يرتبط
مع الأسماعيليين . وبال مقابل ، فإنه اذا كان يسعى للخلاص
من الشيعة الأسماعيلية ، على أن الحفاظ التي لاقاها عند
امرأء الشيعة في همدان وأصفهان تسمح لنا على الأقل

(١١٧) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام -
ص ٣٨٣ .

(١١٨) نفس المصدر : ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(١١٩) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - ص ٩٢ .

(١٢٠) عبده فراج : معلم الفكر الفلسفى - ص ١٠٢ .

(١٢١) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلسفتها -

ص ٢١١ . وعبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ٦٤ ، ٦٥ .

(١٢٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢ -

ص ٣٨٤ .

أن نشير الى أنه كان ينتمي الى الشيعة الاثنى عشرية «(١٢٣)» . وقد ذكره الشيخ عبد الله نعمة في كتابه فلسفه الشيعة (١٢٤) .

وفي كتاب توفيق التطبيق الذي نشره الدكتور مصطفى حلمي ، يثبت فيه مؤلفه أن ابن سينا شيعيا اثناء عشريا ، ومؤلف هذا الكتاب هو على بن شيخ فضل الله الجيلاني ، ويتبين من أقوال الجيلاني أن ابن سينا كان من الآخذين بمذهب الامامية الاثنى عشرية ، سواء في المسائل الشيعية الاعتقادية ، كمسألة العصمة ، ومسألة الامامة ، ومسألة الخلافة ، أم في المسائل الاعتقادية الأخرى ، كمسألة النفس الانسانية وخواص القسوة القدسية ، ومشكلة النبوء ، وأوصاف الكاملين والعارفين ، وأحوال المعاد وغير ذلك من المسائل التي يعرف بها ابن سينا (١٢٥) .

ويقترب ابن سينا - حسب تعبير الدكتور أحمد صبحي - من رأى الشيعة مرة أخرى في خلعة العصمة على الانبياء بعد أن اتفق مع الشيعة في قوله بوجوب بعث الانبياء ، اتفق معهم في قولهم بالوجوب على الله (١٢٦) . بل أن ابن سينا يرى مايراه جميع الشيعة ، من أن النبي (ص) استخلف الامام عليا من بعده . وفي ذلك يقول الدكتور أحمد صبحي أيضا : « وهكذا اقترب ابن سينا من رأى الشيعة في مسألة جوهرية تفوق ما سبق من المسائل أهمية ، وذلك حين عد الاستخلاف من النبي أصوب ، لماذا اذن يترك النبي الأصوب ؟ ٠٠٠ ويزيد ابن سينا الموقف تعقيدا حين يقول : ويسن عليهم أنهم اذا

(١٢٣) هنري كوريان : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ص ٢٥٨ .

(١٢٤) عبد الله نعمة : فلسفه الشيعة - ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٢٥) محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى - ص ٢٨٦ .

(١٢٦) احمد محمود صبحي : نظرية الامامة - ص ٤٩٢ .

افترقوا وتنازعوا للهوى والميل أو أجمعوا على غير من
وجدوا الفضل فيه والاستحقاق له فقد كفروا بالله ، فهذه
العبارة وان كانت عامة الا أنها تعبر عن رأى الشيعة فى
اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) ٠٠٠ وعلى
اية حال . فلا يمكن أن نعد ابن سينا شيعيا ، ولكننا لايمكن
أن نغفل الاتجاهات الشيعية الخطيرة التي أقرها في آرائه
السياسية كالعصمة ، وتفضيل الاستخلاف والنص على
البيعة والاختيار ، والحكم بتکفير الأمة ان لم تنصب مستحقة
الخلافة او أن قعدت عن نصرته ان خرج عليه خارجي ٠٠٠
ولابن سينا آراء سياسية أخرى جديرة أن تذكر لما فيها من
تشابه مع عقائد الشيعة «(١٢٧)» .

ونحن نطرح السؤال التالي الى الدكتور أحمد محمود
صبحي : اذا لم يكن ابن سينا شيعيا ، مع كل ما ذكر تموره
من آراء ، هي في الواقع آراء الشيعة ، والتي لايشك فيها
أحد ، خصوصا مسألة عصمة الامام ، ومسألة الاستخلاف
والنص ، بل وجميع المسائل العقائدية – أيكون أشعريا ،
مع أن الخلاف بين الأشاعرة والشيعة الامامية في جوهره ،
خلاف حول النص والتعيين من قبل النبي (ص) . فقد
انكر الأشاعرة أن يكون هناك نص من النبي (ص) ، كما
أنكروا أن يكون الامام معصوما ، مع أن آراء ابن سينا
الفلسفية والكلامية تدور حول هذه المسائل ، مدللا عليها
بالبراهين العقلية والنقلية – أم أنه من المعتزلة ، في آرائه
ومعتقداته ، وهذا مما لا قائل به ، ولا دليل عليه ، لا من
المعتزلة أنفسهم ، ولا من غيرهم ، ولهذا نجد حجة
الاسلام الغزالى في منقذه من الضلال ، وتهافت الفلسفه ،
كفر الفيلسوفين العظيمين الفارابى وابن سينا . ومن هنا
يتquin القول بأن ابن سينا كان شيعيا اثنا عشريا .

١٢٧) نفس المصدر : ص ٤٩٣ .

ويidel على ما قلناه ، ما يقوله الدكتور احمد صبحى نفسه : « لا شك ان القول بالنصل التصريح على امامه على هو الخط الفاصل بين التشيع الاثنى عشر وبين غيره من المذاهب ، ومن العسير ان يذهب متكلم الى هذا الرأى، ولا يعد من خلص التشيعين » (١٢٨) . وهذا تناقض واضح ، بين رأيه الاول ونفيه كون ابن سينا شيعيا ، وان قال بالنصل ، وبين قوله هذا فالشيعة الامامية ذهبوا الى القول بالنصل ، وابن سينا والفارابى يتافقان معهم فى هذا القول ، نخرج بالقياس المنطقى التالى وهو من الشكل الأول ، الذى تكون كبراه بديهية ضرورية حسب رأى الدكتور صبحى ، ولهذا يلزمها اليمان بها ، والقياس المنطقى هو :

الفارابى وابن سينا قالا بالنصل	فهو من خلص الشيعة وكل من قال بالنصل	فالتنتجة : الفارابى وابن سينا من خلص الشيعة .
-----------------------------------	--	---

وهذا القياس منتج لأن شروط الشكل الاول متوفرة في القياس ، وهى ايجابية الصغرى وكيلية الكبرى . ولهذا كانت النتىحة صحيحة ، فيتعين التسليم بها . ولهذا يقول الدكتور أيضا : « لا يختلف ابن سينا عن الفارابى فيما خلعه على رئيس المدينة من صفات الهيبة ، ولا يختلف الاثنان في رأيهما في حاكم المدينة عن رأى الشيعة في الأمام (١٢٩) » . فعدم اختلافهما عن الشيعة دليل على تشيعهما كما مر .

اما الموضوعات التي طرقها ابن سينا ، وأظهر فيها اصالة واستقلالا ، وترك بها أثرا باقيا في الفلسفات الاسلامية وال المسيحية ، موضوع النفس الذي ورد عنه في

(١٢٨) نفس المصدر : ص ٤٥٧ .

(١٢٩) نفس المصدر : ص ٤٩٣ .

تاريخ الفكر والعقائد ولهذا عارض ابن سينا اتباع مذهب الذرة من المعتزلة والأشاعرة القائلين بأن النفس ما هي الا عرض من اعراض الجسم (١٣٠) . وهذا دليل آخر على تشيع ابن سينا .

وقد توسع ابن سينا في قضية النفس ، وكان لهذا التوسع في بيان «أن النفس جوهر روحي » اثر كبير في الدراسات الاسلامية ، حتى لقد تنوسرى تعريف أرسطو المشهور ، ووصل الأمر بفخر الدين الرازى ٠٠٠ أن قال : «طبق الفلسفه على أن النفس جوهر ليس بجسم » . وكان الفلسفه اذا ما ذكرها فى العالم الاسلامى بعد القرن الخامس الهجرى ، انما يراد بهم ابن سينا . وبهذا أصبح القول بجواهرية النفس وتجردتها هو التعريف الفلسفى المأثور (١٣١) .

وجواهرية النفس من القضايا التي عالجها أئمة الشيعة ، وفلسفتهم ، قبل ابن سينا بحوالى قرنين ، ولكن درج الباحثون على اهمال الفكر الفلسفى لدى أئمة الشيعةمنذ القديم ، واستمر هذا الأهمال والاعراض حتى الزمن الحديث . ففى وصية الإمام موسى بن جعفر لهشام بن الحكم - القرن الثانى الهجرى - يذكر النفس ، وانها مفأيرة لهذا الجسد ، فقد جاء فيها : « ٠٠٠ يا هشام : ان ضوء الجسد فى عينه ، فان كان البصر مضيئا استضاء الجسد كله - المراد بالبصر هنا العقل والنفس - وان ضوء الروح العقل ٠٠٠ وكما لا يقوم الجسد الا بالنفس الحية ، فكذلك لا يقوم الدين الا بالنسبة الصادقة ، ولا تثبت النية الصادقة الا بالعقل » (١٣٢) . وبهذا اعتبر الإمام موسى

(١٣٠) عبده فراج : معالم الفلسفة الاسلامية : ص ١٠٧ .

(١٣١) ابراهيم مذكر : في الفلسفة الاسلامية - ج ١ - ص ١٦٩ .

(١٣٢) محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار - ج ١ - ص ١٥٣ .

بن جعفر ، أن النفس غير الجسد ، وأن الحياة للنفس ، ولهذا اعتبر النفس جوهرًا حيًا خارجًا عن هذا الجسم المادي الذي لا حياة فيه ، وإنما الحياة للنفس .

وهذا التفسير للنفس ، وأنها جوهر روحى تغاير الجسد المادى ، أخذه الشيعة عن آئتمهم وقد ذهب إلى هذا الرأى هشام بن الحكم ، تلميذ الإمام جعفر الصادق وموسى بن جعفر . فقد جاء عن أبي الحسن الأشعري في مقالاته ، أن هشام بن الحكم يذهب إلى : « أن الأنسان أسم لمعينين : لبدن وروح ، فالبدن موات ، والروح هي الفاعلة الدراكمة الحساسة وهو نور من الأنوار ٠٠٠ » (١٣٣) .

وإذا كان ابن سينا المولود سنة ٢٧٠هـ ، قال بجوهرية النفس ، فقد سبقه في ذلك الكليني المتوفى سنة ٢٨٠هـ ، بأكثر من نصف قرن ، حيث جاء في كتابه ، الكافي في تفسير قول أمير المؤمنين على بن أبي طالب : « اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة ٠٠٠ » . يقول الكليني : - « ومعنى قوله عليه السلام : اعرفوا الله بالله ، يعني أن الله خلق الأشخاص والأنوار والجواهر والاعيان . فالاعيان : الأبدان ، والجواهر : الأرواح ، وهو جل وعز لا يشبه جسما ولا روحًا وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدراك أمر ولا سبب ، هو المنفرد بخلق الأرواح وال أجسام ، فإذا نفي عنه الشبيهين : شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله ، وإذا شبهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله » (١٣٤) .

وقد سبق هؤلاء جميعا الإمام جعفر بن محمد الصادق المتوفى سنة ١٤٨هـ ، في القول بجوهرية النفس ، ففي كلام له عن خلق الإنسان وتركيبه ، كما نقله الحراني - القرن

(١٣٣) أبو الحسن الأشعري : مقالات المسلمين - ج ١ - ص ١٣٢ .

(١٣٤) الكليني : الكافي - ج ١ - ص ٨٥ .

الثالث الهجرى - من كلام طويل ، جاء فيه ، « ٠٠٠ فهكذا
الانسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة ، فاذا جمع
الله بينهما صارت حياته فى الأرض ، لانه نزل من شأن
السماء الى الدنيا ، فاذا فرق الله بينهما - أى بين الروح
والجسد - صارت تلك الفرقـة الموت برد شأن الآخرة الى
السماء . فالحياة فى الأرض ، والموت فى السماء ، وذلـك
أنه يفرق بين الروح والجسد ، فـرـدت الروح والنور الى
القدرة الاولى ، وترك الجسد ، لأنـه من شأن الدنيا . وانـما
فسـد الجـسد فى الدـنيـا لأنـ الـريـح تـنـشـف المـاء فـيـبـسـ الطـينـ
فيـصـير رـفـاتـا ويـبـلـى ، وـيـرـد كلـاـى جـوـهـرـهـ الأولـ ، وـتـحـرـكـتـ
الـروحـ بـالـنـفـسـ ، وـالـنـفـسـ حـرـكـتـهاـ مـنـ الـرـيـحـ ، فـمـاـ كانـ مـنـ
نـفـسـ الـمـؤـمـنـ فـهـوـ نـورـ مـؤـيـدـ بـالـعـقـلـ وـمـاـ كانـ مـنـ نـفـسـ الـكـافـرـ
فـهـوـ نـارـ مـؤـيـدـ بـالـنـكـرـاءـ ، فـهـذـاـ مـنـ صـورـةـ نـارـهـ ، وـهـذـاـ
مـنـ صـورـةـ نـورـهـ ، وـالـموـتـ رـحـمـةـ مـنـ اللهـ لـعـبـدـهـ الـمـؤـمـنـ وـنـقـمةـ
عـلـىـ الـكـافـرـ » (١٣٥) .

وقد استـنـ اـبـنـ سـيـنـاـ فـيـ الـبـرـهـنـةـ عـلـىـ وـجـودـ النـفـسـ سـنـةـ
لـمـ تـكـنـ مـعـرـوفـةـ مـنـ قـبـلـ بـكـلـ مـعـالـمـهاـ ، لـاـ فـىـ الـعـالـمـ الـيـونـانـيـ
وـلـاـ فـىـ الـعـالـمـ الـعـرـبـىـ ، وـقـدـ آثـرـتـ هـذـهـ الـبـرـهـنـةـ كـثـيرـاـ مـنـ
الـبـاحـثـيـنـ ، وـالتـزـمـواـ بـهـاـ مـنـهـمـ ، الـغـزـالـىـ ، وـمـنـ بـعـدـ فـخـرـ
الـدـيـنـ الرـازـىـ . وـهـذـهـ الـبـرـهـنـةـ هـىـ الرـمـزـ عـلـىـ وـجـودـ النـفـسـ
وـأـنـهـاـ تـغـاـيـرـ الـبـدـنـ (١٣٦) . وـعـلـىـ هـذـاـ فـاـلـأـصـولـ الـعـامـةـ
لـلـفـلـسـفـةـ الـاسـلـامـيـةـ عـنـدـ الشـيـعـةـ وـفـلـاسـفـتـهـ مـاـ هـىـ
إـلـاـ انـعـكـاسـاتـ لـأـرـاءـ أـئـمـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ . فـالـإـمامـ جـعـفرـ الصـادـقـ
الـمـتـوـفـىـ سـنـةـ ١٤٨ـهـ «ـ قـدـ عـنـىـ عـنـيـةـ كـبـرـىـ بـدـرـاسـةـ النـفـسـ
الـانـسـانـيـةـ »ـ فـيـ تـارـيـخـ الـفـلـسـفـةـ الـاسـلـامـيـةـ (١٣٧) .

(١٣٥) الحـرـانـيـ : تحـفـ العـقـولـ - صـ ٢٦١ .

(١٣٦) اـبـراهـيمـ مـذـكـورـ : فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـاسـلـامـيـةـ جـ ١ـ - صـ ١٥٢ـ .
١٥٣ـ .

(١٣٧) محمدـ اـبـوـ زـهـرـةـ : الـإـمامـ الصـادـقـ - صـ ١٠٢ـ .

ويعتبر ابن سينا أحد علماء النفس ، ولهذا قال : بأن للمنخ مكاناً محدداً ، وفي مطلع القرن العشرين ، كان هذا الاتجاه غير مؤكّد عند الباحثين ، ولم يتحقق إلا بعد ذلك ، وابن سينا قال بذلك قبل عشرة قرون . كما أن ابن سينا بحث في الأخلاق ، وكان له رأي مخالف في ذلك أرسطو ، فقد اعتبر أن الفضائل الخلقية أسمى من الفضائل العقلية .
كما يراه ساريف(١٣٨) .

أما نظرية النشوء والارتقاء ، فان ابن مسكونيه ومعاصره ابن سينا ، قد طورا النظرية التي قال بها قبلهما أخوان الصفا(١٣٩) . وكل هؤلاء من فلاسفة الشيعة . « ولم يقل ابن سينا بمبدأ دارون الذي يقرر أن صراعاً حدث في الكون من أجل البقاء . . . وإنما قرر . . . مبدأ الصراع من أجل التطور الذاتي والرغبة في الوصول إلى المثالية . . . ولن يستطع نظرية ابن سينا هذه إلا سبقاً رائعاً متزوجاً بطبع الخيال الشرقي للنظرية الحديثة عن الارتقاء الضروري الذي يحدث في الكون دائماً»(١٤٠) .

وقد أثرت نظرية ابن سينا في النفس الإنسانية ، وأنها مغایرة للبدن ، في مفكري الأشاعرة ، حتى أصبحت دعامة من دعائم عقيدة أهل السنة ، فأبو المعالي أمam الحرميين ، عدل عن نظرية أستاذه ، وأعلن أن النفس جوهر روحي لايفنى بفناء البدن ، فوضع بذلك أساس المذهب الروحي الذي اعتنقه تلميذه الغزالى(١٤١) .

(١٣٨) ساريف : الفكر الإسلامي - منابعه وأثاره - ص ١٨٥ .

(١٣٩) نفس المصدر : ص ١٨١ .

(١٤٠) نفس المصدر : ص ١٨٣ .

(١٤١) ابراهيم مذكر : في الفلسفة الإسلامية - ص ١٥١ .

وأما الطب فكان ابن سينا أمير الأطباء وزعيمهم ، كما أطلق عليه ، فكان أعظم الأطباء وأشهر أساتذة الطب في القرون الوسطى برمتها . وأكثر من استشهد به المؤلفون وأكثر المدرسين ، كتب ابن سينا في جميع الموضوعات تقريباً طبية وغير طبية ، وأهم كتبه القانون في الطب وهو مبحث ضخم في علم الصحة والصيدلة وعلم وظائف الأعضاء والعلاج مع استطرادات متفرقة في الفلسفة^(١٤٢) . وقد ترجم كتابه القانون عدة ترجمات ، وانتشر انتشاراً لم يسبق له مثيل .

وقد طبع في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر ست عشرة طبعة ، وربما لم يدرس كتاب في الطب على مر العصور كما درس هذا الكتاب ، والحق أن الطب الإسلامي – كما يقول الاستاذ مظہر بلغ بمجهودات ابن سينا عميد الأطباء وأميرهم في القرون الوسطى أوج عظمته^(١٤٣) . وترجع شهرته إلى ما امتاز به من التنظيم وحسن السبک مع الاحاطة بكل ما يحتاج إليه الأطباء ، فكان بذلك أهم مرجع طبی في العصور الوسطى ، يدرس في مدارس الشرق والغرب على السواء وظل هذا الكتاب قروناً عديدة هو الكتاب المفضل عند الأطباء العرب والفرس واللاتين^(١٤٤) .

وصفوته القول : أن : ابن سينا هو فيلسوف الشرق العظيم ، وقد أنصفه المتقدمون والتأخرن من علماء العرب والأقرنج ، فأعترفوا بأنه من أصحاب الثقافة العالمية ، والاطلاع الواسع ، والمواهب النادرة ، والعبقرية الفذة ،

^(١٤٢) جلال مظہر : الحضارة الإسلامية - ص ٨٥ .

^(١٤٣) نفس المصدر : ص ٧٩ .

^(١٤٤) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - ص ٨٥ .

اشتغل بالطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، والمنطق وقد ترك في كل ذلك مجهوداً عظيماً ساعد في رقي الانسان ... وكان يستثمر كل دقيقة من حياته استثماراً تاماً ، فكان يشتغل بشئون الدولة ويشتغل بالتدريس والتاليف ويعالج المرضى ... ولقد أضاف الشيخ الرئيس كثيراً إلى ثروة البشر العلمية ... وتميز مؤلفاته بmadatها الغزيرة وبعقلية ابن سينا الجبارية ، وتفكيره واستباطه وتجاربه ، كما تقسم بالدقة والعمق في البحث والترتيب ... وقد أحصى الآباء « جورج قنواتي » لابن سينا مائتين وستة وسبعين كتاباً ورسالة ، أودعها كتاباً ضخماً له ... وكان مؤلفات ابن سينا أثر كبير في نهضة أوروبا العلمية فامتدت آفاق النظر عند الغربيين ، وأصبح لل الفكر العربي أثر بعيد في بلاد الفرنجة ... وكانت فلسفة ابن سينا تدرس في أكثر الجامعات الأوروبية ، وما زال جانب منها إلى اليوم يدرس بالجامعات الكاثوليكية^(١٤٥) ... وهذا « ظلت زهاء ستة قرون المرجع العالمي في الطب ، واستخدمت أساساً للتعليم في جامعات فرنسا وإيطاليا جميعاً ... وظلت تدرس في جامعة مونبلطيه حتى أوائل القرن الثامن عشر كما يدلنا الاستاذ - جوستاف لوبيون^(١٤٦) ...

ويظهر مما سبق عرضه أن الفكر الشيعي حق تقدماً رائعاً خلال الفترة الواقعة بين القرن الأول والخامس الهجري ، وكيف تلقى الفكر والثقافة الإسلامية ما دونه الباحثون من الشيعة في مختلف العلوم ، وكيف طوروها وزادوا عليها ؟ كما ظهر لنا ما ابتكره الشيعة من أبحاث علمية وفلسفية - بالإضافة إلى تأسيسهم لعلوم الإسلام ، وأخيراً شاهدنا هذا النتاج يقدمه الشيعة زاداً ناضجاً

^(١٤٥) الأبراشي : التربية الإسلامية - ص ٢٢٤ .

^(١٤٦) جلال مظہر : الحضارة الإسلامية - ص ٧٩ .

ل الفكرى الاسلام ب بصورة خاصة . وللعالم على وجه العموم ،
فكان هذا الزاد أساساً شيدت عليه النهضة الاوربية .

يقول ساريف : « ولكن الفكر الاسلامى انحدر بعد القرن الثالث عشر ، فكان فى خلال الفترة من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ضعيفاً هزيلًا وذلك لأن المبالغة التى أدخلها الغزالى فى الشرق الاسلامى وابن رشد فى الغرب الاسلامى على الفلسفه الاسلاميه ، فاما الاول فقد اتجه بالفلسفه الاسلاميه الى الجانب الروحاني حتى انماقت فى سحب التصوف ، وأما الثانى فاتجه اتجاهها مضاداً لاتجاه الغزالى فانحدر بها الى هوة الماده (١٤٧) » .

على أن الفكر الاسلامي لم يمت عند الشيعة ، بل استمر هذا الشاطط على ايدي مفكريهم من الفلسفه ، أمثال الخواجه نصير الدين الطوسي ، والعلامة الحلبي ، وعلى بن ميمون البحريني ، وصدر الدين الشيرازي الملقب بصدر المتألهين صاحب كتاب الاسفار في الفلسفه ، وغير هؤلاء من فلاسفه الشيعة . يقول ابن حثير في تاريخه : « بعد أن أخذت التمار ببغداد ، عمل الخواجه نصير - الدين - الطوسي الرصد ، وعمل دار حكمة فيها فلاسفه لكل واحد في اليوم ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للحكيم درهمان وصرف لأهل دار الحديث لكل محدث نصف درهم في اليوم ومن ثم نشأ الاشتغال بالعلوم الفلسفية وظهرت (١٤٨) . على ايدي الشيعة أيضاً ، وهكذا كان الشيعة أساس العلوم الاسلامية .

وختاماً ، نسأل الله سبحانه أن يتم نعمته علينا وعلى

(١٤٧) ساريف : الفكر الاسلامي - ص ٢٠٣ .

(١٤٨) عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل - ص ٧٩ .

المؤمنين ويهدينا الى صراطه المستقيم ويرينا الحق حقا
لاتباعه والباطل باطل لاجتنابه والحمد لله والصلوة على
أشرف أنبيائه محمد وعلى آله الهداة وأصحابه النجباء
المخلصين .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مصادِر البحث

- ١ - ابراهيم مذكر : في الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه - ط ٣ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧ .
- ٢ - ابن الأثير «أبو الحسن على بن أبي الكرم» : الكامل في التاريخ - ط ٣ - بيروت - دار الكتاب العربي ١٩٨٠ .
- ٣ - ابن النديم : الفهرست - القاهرة - مطبعة الاستقامة - بدون تاريخ .
- ٤ - ابن حجر العسقلاني : الأصابة في تمييز الصحابة - القاهرة - دار نهضة مصر - ١٩٧١ .
- ٥ - ابن خلدون : المقدمة - مطبعة مصطفى محمد بمصر - بدون تاريخ .
- ٦ - ابن خلكان «أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي الكرم» : وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط ١ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٤٨ .
- ٧ - أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة - دار نهضة مصر - بدون تاريخ .
- ٨ - أبو الحسن الأشعري على بن اسماعيل : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط ٢ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٦٩ .

- ٩
- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي :
مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد
محى الدين عبد الحميد - ط ٣ - مطبعة
السعادة بمصر - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ .
- ١٠
- أبو الحسن علي بن عثمان الهجويرى : كشف
المحجب - القاهرة - دار التراث العربى -
١٩٧٦ .
- ١١
- أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم
الشهير بابن تيميه الحرانى : منهاج السنة
النبوية - بيروت - دار الكتب العلمية .
بدون تاريخ .
- ١٢
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد
الشهرستانى : الملل والنحل - تحقيق محمد
سید کیلانی - مطبعة مصطفى البابى
بمصر - ١٩٦١ .
- ١٣
- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادى : تاريخ
بغداد - المدينة - المكتبة السلفية - بدون
تاريخ .
- ١٤
- أبو جعفرأحمد الشهير بالمحب الطبرى - الرياض
النصرة فى مناقب العشرة - ط ١ - محل
السدات محمد أمين الخانجى بالاستانه
ومصر - بدون تاريخ .
- ١٥
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : جامع
البيان عن تأويل القرآن - ط ٢ - مطبعة
مصطفى البابى الحلبي بمصر - بدون تاريخ .
- ١٦
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - تاريخ
الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم -
القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٢ .

- ١٧ - أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني :
أصول الكافي - ايران - مطبعة حيدري -
 بدون تاريخ .
- ١٨ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : المنفذ من
الخلال - تحقيق عبد الحليم محمود - القاهرة
 - مطبعة حسان - بدون تاريخ .
- ١٩ - أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة - بيروت
 - مكتبة الحياة - بدون تاريخ .
- ٢٠ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي -
ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تحقيق على
محمد الجاوي - ط١ - دار احياء الكتب
 العربية - ١٩٦٣ .
- ٢١ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : **البيان والتبيين**
 تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط٤ -
 مكتبة الخانجي بمصر - ١٩٧٥ .
- ٢٢ - أبو محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة
الحرانى - تحف العقول عن آل الرسول -
النجف الاشرف - المطبعة الحيدرية -
 ١٣٨٥ .
- ٢٣ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : **الأمامية**
 والسياسة - ط٣ - مطبعة مصطفى البابى
 بمصر - ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
- ٢٤ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - **الشعر**
 والشعراء - تحقيق أحمد محمد شاكر - ط٢
 - القاهرة - دار التراث العربي - ١٩٧٧ .
- ٢٥ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - عيون
 الاخبار - القاهرة - دار الكتب - ١٩٢٨ .

- ٢٦ - أبو محمد على بن حزم الاندلسي : الفصل في
الملل والأهواء والنحل - بغداد - مكتبة مثنى -
بدون تاريخ .
- ٢٧ - أحمد أمين : فجر الاسلام - ط ٢ - القاهرة -
دار الشباب للطباعة - ١٩٧٨ .
- ٢٨ - أحمد أمين : ضحى الاسلام - ط ٩ - القاهرة -
النهاية المصرية - ١٩٧٨ .
- ٢٩ - أحمد أمين : ظهر الاسلام - ط ٤ - القاهرة -
النهاية المصرية - ١٩٦٦ .
- ٣٠ - أحمد أمين : يوم الاسلام - دار المعارف بمصر -
١٩٥٢ .
- ٣١ - أحمد بن حجر الهيثمي المكي : الصواعق المحرقة
في الرد على أهل البدع والزنادقة - ط ٢ -
القاهرة - شركة الطباعة الفنية المتحدة -
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- ٣٢ - أحمد بن يحيى البلاذري - أنساب الأشراف -
تحقيق الدكتور محمد حميد الله - دار
المعارف بمصر .
- ٣٣ - أحمد شلبي - التاريخ الاسلامي والحضارة -
الاسلامية - ط ٥ - القاهرة - النهاية -
المصرية - ١٩٧٨ .
- ٣٤ - أحمد شلبي : تاريخ المناهج الاسلامية - القاهرة
النهاية المصرية - ١٩٧٨ .
- ٣٥ - أحمد فؤاد الأهوازى - التربية في الاسلام -
القاهرة - دار المعارف - بدون تاريخ .
- ٣٦ - أحمد كمال زكي : الحياة الأدبية في البصرة الى

نهاية القرن الثالث الهجرى - القاهرة -
دار المعارف - ١٩٧١ .

٣٧ - أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الإسلامية
والفكر الإسلامي - ط ٢ - دار الطباعة
المحمدية بالأزهر - ١٩٧٨ .

٣٨ - أحمد محمد الحوفي : أبو حيان التوحيدى - ط ٢
القاهرة - مطبعة نهضة مصر - بدون
تاريخ .

٣٩ - أحمد محمد الحوفي : تيارات ثقافية بين العرب
والفرس - ط ٣ - القاهرة - دار نهضة
مصر - ١٩٧٨ .

٤٠ - أحمد محمود صبحى : في علم الكلام - المعتزلة ،
الاشاعرة - الاسكندرية - مؤسسة الثقافة
الجامعة - ١٩٧٨ .

٤١ - أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة
الاثنى عشرية - القاهرة - دار المعارف
بمصر - ١٩٦٩ .

٤٢ - ادم متز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع
الهجرى - ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده
- ط ٣ القاهرة - مطبعة لجنة التأليف
والترجمة - ١٩٥٧ .

٤٣ - أغابزرک الطهرانی : الذريعة الى تصانيف
الشيعة - ط ٢ - طهران - ١٩٦٨ .

٤٤ - السيد أمير على : روح الإسلام - ترجمة أمين
محمود الشريف - المطبعة النموذجية -
بالجامايز - ١٩٦٣ .

٤٥ - السيد حسن الصدر - الشيعة وفنون الإسلام -
صيدا - مطبعة العرفان - ١٣٣١ هـ .

- ٤٦ - السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بدون تاريخ .
- ٤٧ - السيد على نقى الحيدرى : أصول الأستنباط ط ٢ - بغداد - مطبعة الرابطة - ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٤٨ - السيد محمد الحسينى الشيرازى : شرح منظومة السبزوارى - قم - ايران - مطبعة مهر - بدون تاريخ .
- ٤٩ - الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقى : تاريخ الجهمية والمعزلة - ط ١ - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٥٠ - الشيخ علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال من سنن الاقوال والافعال - ط ٢ - حيدر آباد - مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- ٥١ - القاضى النعمان بن محمد : اختلاف أصول المذاهب - تحقيق مصطفى غالب - بيروت - دار الأندرس - ١٩٧٣ م .
- ٥٢ - الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد - بيروت - مؤسسة المعارف - ١٩٧٧ م .
- ٥٣ - تقى الدين احمد بن على المقرىزى : الخطط - طبعة بولاق - ١٢٧٠ هـ .
- ٥٤ - جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - دار الهلال - ١٩٥٨ م .
- ٥٥ - جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء - تحقيق

محمد محى الدين عبد الحميد - ط - ٣٦ -
القاهرة - مطبعة المدى - ١٩٦٤ .

- ٥٦ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي :
الدر المنثور في التفسير بالتأثر - الكاظمية
دار الكتب العراقية - بدون تاريخ .
- ٥٧ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاء
في طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى البابي
الحلبي - ١٩٦٥ .
- ٥٨ - جلال مظهر : الحضارة الإسلامية أساس التقدم
العلمي الحديث - القاهرة - مطبعة مخيم -
١٩٦٩ .
- ٥٩ - جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القبطي :
أنباء الرواية على أنباء النحاة - تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم - ط ١١ - القاهرة - دار
الكتب المصرية - ١٩٥٠ .
- ٦٠ - جميل نخله المدور : حضارة الإسلام في دار
السلام - القاهرة - المطبعة الأميرية ببولاق
- ١٩٣٥ .
- ٦١ - جوستاف جرونيباوم - الحضارة الإسلامية -
ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة مصر
- بدون تاريخ .
- ٦٢ - جولد تسيهير : العقيدة والشريعة في الإسلام -
ترجمة محمد يوسف موسى - وأخرون
القاهرة - دار الكاتب المصري - ١٩٤٦ .
- ٦٣ - حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسمى الكتب
والفنون - بغداد مكتبة المثنى - ١٩٤١ .
- ٦٤ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ،

- والدينى والثقافى والاجتماعى - ط ٢ -
القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٤٨ .
- ٦٥ - حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية للفكر
السياسى الاسلامى - رساله دكتوراه غير
مطبوعة - جامعة القاهرة - قسم العلوم
السياسية ١٩٨٠ .
- ٦٦ - حسون ملارجى الدلفى : فضائل آل الرسول فى
المعقول والمنقول - بيروت - مؤسسة الأعلمى
- ١٩٧٣ .
- ٦٧ - حسين مروة : النزعات المادية فى الفلسفة العربية
الإسلامية بيروت - دار الفارابى - ١٩٧٩ .
- ٦٨ - خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الأندلس -
ترجمة الطاهر احمد مكى - القاهرة - دار
المعارف - ١٩٧٧ .
- ٦٩ - خير الدين الزركلى : الاعلام - ط ٢٦ بيروت -
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٧٠ - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - بيروت
دار التعارف - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٧١ دوأيت م . دونلدسن : عقيدة الشيعة - تعریب
عـم - مصر - مطبعة السعادة - ١٩٤٦ .
- ٧٢ - رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة
- رساله دكتوراه مطبوعة جامعة الأزهر .
كلية الشريعة والقانون - بغداد - مطبعة
دار السلام - ١٩٧٣ .
- ٧٣ روکس بن زائد العزيزى : الامام على - النجف -
مطبعة النعمان - ١٣٨٧ م - ١٩٦٧ م .
- ٧٤ - زكي نجيب محمود - المعقول واللامعقول فى

١٩٧٨ .

- ٧٥ - زهدى جار الله : المعتزلة - بيروت - ١٩٧٤ .
- ٧٦ - ساريف : الفكر الاسلامى منابعه وأثاره ترجمة
أحمد شبى - ط٦ القاهرة - النهضة
المصرية - ١٩٧٨ .
- ٧٧ - سبط بن الجوزى يوسف بن فرغلى بن عبد الله
البغدادى : تذكرة الخواص - طهران - مكتبة
نينوى الحديثة - بدون تاريخ .
- ٧٨ - سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الاسلامية -
دراسات فى فلسفة التربية القاهرة - عالم
الكتب - ١٩٨١ .
- ٧٩ - سليم بن قيس الكوفى الھالى العامری : كتاب
الأصل - بيروت - منشورات دار الفنون
للطباعة والنشر - ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ .
- ٨٠ - سيف الدين الأمدي : غاية المرام فى علم الكلام
- تحقيق محمد عبد اللطيف - القاهرة -
مطبع الأهرام التجارية - ١٩٧١ .
- ٨١ - شوقي ضيف : التطور والتجدد فى الشعر
الأموى - ط٥ - القاهرة - دار المعارف -
١٩٧٣ .
- ٨٢ - شوقي ضيف : المدارس النحوية - القاهرة - دار
المعارف - ١٩٦٨ .
- ٨٣ - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربى - العصر
العباسى الأول - ط٧ - القاهرة - دار
المعارف - ١٩٧٨ .
- ٨٤ - شيخ سليمان البلاخي القندوزى : ينابيع المودة
ط٢ - صيدا مطبعة العرفان - بدون تاريخ .

- ٨٥ - صحيح البخاري : ط ١ - المطبعة العامرة
المليجية - ١٣٣٢ هـ .
- ٨٦ - صحيح مسلم : مطبعة محمد على بميدان الأزهر
- ١٣٣٤ هـ .
- ٨٧ - طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح
السعادة - مطبعة دائرة المعارف - النظامية
بحير آباد - دكن - الهند - ١٣٢٨ هـ .
- ٨٨ - عباس القمي : الكنى والألقاب - النجف -
المطبعة الحيدرية - ١٩٥٦ .
- ٨٩ - عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية -
ط ٦ - القاهرة - دار نهضة مصر - بدون
تاريخ .
- ٩٠ - عبد الحسنى شرف الدين : المراجعات - بيروت -
مؤسسة الأعلمى - بدون تاريخ .
- ٩١ - عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل - القاهرة -
دار المعارف - ١٩٨٠ .
- ٩٢ - عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفى فى الإسلام -
ج ٢ - الانجلو المصرية - بدون تاريخ .
- ٩٣ - عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات إسلامية -
أنئمة الفقه التسعة - بيروت - دار أقرأ -
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٩٤ - عبد الرحمن جلال الدين السيوطي : المزهر -
مطبعة عيسى البابى بمصر - بدون تاريخ .
- ٩٥ - عبد الفتاح اسماعيل شلبى : أبو على الفارسى -
رسالة دكتوراة مطبوعة - القاهرة - مطبعة
نهضة مصر - ١٣٧٧ هـ .

- ٩٦ - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - مطبعة المدى - بدون تاريخ .
- ٩٧ - عبد اللطيف محمد العبد : دراسات في الفلسفة الإسلامية - النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٩٨ - عبد اللطيف محمد العبد : مناهج البحث العلمي - النهضة المصرية - ١٩٧٩ م .
- ٩٩ - عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي - رسالة دكتوراه مطبوعة - بغداد - مطبعة أسعد - ١٩٧٢ .
- ١٠٠ - عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - حياتهم وأراؤهم - بيروت - دار مكتبة الحياة - بدون تاريخ .
- ١٠١ - عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى - ط١ - القاهرة - الأنجلو مصرية - ١٩٦٩ .
- ١٠٢ - عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابوري : شواهد التنزيل لقواعد التفصيل - ط١ - بيروت - مؤسسة الأعلمى - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١٠٣ - عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر - بدون تاريخ .
- ١٠٤ - عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية

في التراث العربي - بيروت - دار النهضة
العربية - ١٩٧٦ .

- ١٠٥ - عز الدين اسماعيل : في الشعر العباسى - الرؤية
والفن - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠ .
- ١٠٦ - علاء الدين أمير محمد القزويني : المعتزلة
فلسفتهم وأراؤهم في التربية والتعليم - رسالة
ماجستير غير مطبوعة - كلية التربية - عين
شمس - أصول التربية - ١٩٨١ .
- ١٠٧ - على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى
الاسلام - ط ٧ - القاهرة - دار المعارف -
١٩٧٧ .
- ١٠٨ - فؤاد زكريا : آراء نقدية في مشكلات الفكر
والثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٥ .
- ١٠٩ - فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه - مكتبة
الحرية الحديثة - عين شمس - ١٩٨٢ .
- ١١٠ - كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ترجمة
د / عبد الحليم النجار - ط ٢ - القاهرة - دار
المعارف - ١٩٦٩ .
- ١١١ - كويير يونج : أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية -
الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة - بحوث
اسلامية - جمع محمد خلف الله - ط ٢ -
القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٦٢ .
- ١١٢ - مجذ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد
الجزري ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث
والآثار - تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود
محمد الطناحي - بيروت - دار احياء التراث
العربي - بدون تاريخ .

- ١١٣ - محمد أبو زهرة : الامام الصادق - حياته وعصره
آراؤه وفقهه - القاهرة - دار الفكر العربي
العربي - بدون تاريخ .
- ١١٤ - محمد أبو زهرة : الامام زيد - حياته وعصره -
آراؤه وفقهه - القاهرة - دار الفكر العربي
١٩٧٤ .
- ١١٥ - محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية -
القاهرة - دار الفكر العربي - بدون تاريخ .
- ١١٦ - محمد أبو زهرة : محاضرات في أصول الفقه
الجعفرى - القاهرة - معهد الدراسات العربية
١٩٥٥ .
- ١١٧ - محمد باقر الصدر : المعالم الجديدة للأصول -
النجف - مطبعة النعمان - ١٣٨٥ هـ .
- ١١٨ - محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية - ط ٢ -
بيروت - دار الزهراء للطباعة والنشر ١٤٠٠ هـ
١٩٨٠ .
- ١١٩ - محمد باقر المجلسى : بحار الأنوار - طهران -
شركة طبع بحار الأنوار - ١٣٧٦ هـ .
- ١٢٠ - محمد جواد مغنية : في ظلال الصحيفة السجادية
- بيروت - دار التعارف - ١٩٧٩ م .
- ١٢١ - محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية -
ط ٢ - بيروت - دار القلم - ١٩٧٣ م .
- ١٢٢ - محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة
وأصولها - بيروت - مؤسسة الأعلمى
للمطبوعات - بدون تاريخ .
- ١٢٣ - محمد حسين هيكل - حياة محمد - القاهرة -
٦ ط - دار المعارف - ١٩٨١ .

١٢٤ - محمد عاطف العراقي : ثورة العقل في الفلسفة العربية - ط٤ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٨ .

١٢٥ - محمد عبد المنعم خفاجي : أعلام الأدب في عصر بنى أمية - دار العهد الجديد للطباعة - ١٩٥٤ .

١٢٦ - محمد عبده : شرح نهج البلاغة - بيروت دار المعرفة - بدون تاريخ .

١٢٧ - محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام - الاسكندرية - دار الجامعات المصرية ١٩٧٤ .

١٢٨ - محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - ٢٦ - بيروت - المؤسسة العربية - ١٩٧٩ .

١٢٩ - محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - ط١ - بيروت المؤسسة العربية ١٩٧٢ .

١٣٠ - محمد مهدي الأصفى : مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية لمحمد بن جمال الدين العاملى - ط١ - منشورات جامعة النجف - ١٣٨٦ هـ .

١٣١ - محمود أبو ريه : أصوات على السنة الحمدية - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠ .

١٣٢ - محمود حب الله : موقف الاسلام من المعرفة - الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة بحوث ودراسات اسلامية - جمع وتقديم محمد خلف الله - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٦٢ .

١٣٣ - هاشم معروف الحسنى - الشيعة بين الاشاعرة والمعزلة - ط١ - بيروت - دار القلم - ١٩٧٨ .

١٣٤ - هاشم معروف الحسني : سيرة الأئمة الائتى
عشر - بيروت - دار التعارف - للمطبوعات -
١٣٩٧ - ١٩٧٧ م.

١٣٥ - هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية -
بيروت - ١٩٧٧ .

١٣٦ - ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى :
معجم الادباء - الطبعة الأخيرة - مطبعة
المأمون - بدون تاريخ .

١٣٧ - يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية
القرن الثانى للهجرة - القاهرة - دار الكتاب
العربى - ١٩٦٨ .